السبت 28 أيار 2022
العدد 4639 السنة السادسة عشرة
Samedi 28 Mai 2022 nº 4639 16ème année

24 صفحة
5000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

عبد المجيد الشرفي
الإسلام... قراءة حداثيّة

سعدنات الحاكم مستمرّة: المضاربات تتصاعد بضخّ الدولارات [2]

من اقترح إقالة رياض سلامة وقائد الجيش؟ [3]

الفاتيكان – حزب الله: وقائع من حوار يتقدّم [2]

اطلب القوس مع الأخبار

روسيا تتمدّد ميدانياً
الغرب يجوّع العالم

[10 ـ 11]

(أ ف ب)

البلاد

عاصمة البلاد

«مسيرة الأعلام» تُنذِر بجولة نار:
موعد جديد مع القدس!

[16]

إسرائيليات

«لعنة الثمانين»:
نبوءة الزوال تحاصر إسرائيل

[18]

ملف

كولومبيا تلفظ «إسرائيلها»

13 - 12

قضية اليوم

لقاءات متواصلة بين حزب الله والفاتيكان

روما تشجّع على الحوار لحماية المسيحيّين

بعدَ كلّ ما قيل حول رؤية «الفاتيكان» للبنان والعلاقة مع حزب الله والردود المعارضة للانفتاح عليه، شهدت الفترة الماضية خطوات أكدت نشوء علاقة جديثة يحتمل أن تتطوّر، وتمثّلت بعقد اجتماعات في السفارة البابوية مع وفد من الحزب، حيث نوقشت ملفات عديدة بمعزل عن الخلاف حول مسألة السلاح

ميسم رزق

كلّ الرهانات على محاولة عزْل حزب الله باءت بالفشل. المتآمِلون في ذلك، خطؤهم أنّ رهاناتهم حبلى بأوهام عائمة على وعود الغرب، بينما الواقع كان ولا يزال نقيضَ ذلك. نظرياً، لا حدود لاستعراض «القوة» ضدّ الحزب و«هيمنته» على البلد، وإعطاء معلومات وتوجيهات ونصائح حول ضربه. ثم حشد كل عناصر العداء في وجهه، بدءاً من الخطاب «العنصري» بتصويره وبيئته دخيلين على نسيج المجتمع، وتحميله مسؤولية ما آلت إليه الأوضاع في السنوات الأخيرة وابتزاز اللبنانيين باستقرارهم ودورهم السياسي وحضورهم والتهديدات المحيطة بهم بسبب الانهيار الذي يضرب لبنان، فضلاً عن ارتباط لبنان بالأزمة السورية ومشكلة النازحين التي تشكّل خطراً الوطني الحرّ ورئيسه جبران باسيل لا تخرج عن هذا السياق.

ولكنّ للبعد العملاتي سياقٍ آخر، دفعَ بعدد من القوى الخارجية الفاعلة كي تعود إلى واقعيتها بالحدّ الأدنى بتسليمها أن الحزب هو فصيل لبناني وشريك أساسي في اتخاذ أي قرار متعلق بمستقبل البلد، أو أقلّه يملك حقّ الفيتو عليه، فانكفأت إلى مدار البحث في نقاط وهموم مشتركة معه. مِن هذا المنطلق، وخلافاً لكل السرديات الداخلية، كانَ لـ«الفاتيكان» موقف متقدّم بدأ يتظهّر منذ ما قبل زيارة الرئيس عون لها في آذار الماضي، وكانت الإشارات الأولية قد صدرت خلال زيارة وزير خارجية الفاتيكان بول ريتشارد غالاغير للبنان قبل عدة أشهر، عندما تحدث عن ضرورة الحوار مع الحزب والتحذير من عزله. وقد سمع الرئيس عون الكلام نفسه الذي قاله الواقع في مكان آخر، نظرياً، لا حدود لاستعراض «القوة» ضدّ الحزب و«هيمنته» على البلد، وإعطاء معلومات وتوجيهات ونصائح حول ضربه. ثم حشد كل عناصر العداء في وجهه، بدءاً من الخطاب «العنصري» بتصويره وبيئته دخيلين على نسيج المجتمع، وتحميله مسؤولية ما آلت إليه الأوضاع في السنوات الأخيرة وابتزاز اللبنانيين باستقرارهم ودورهم السياسي وحضورهم والتهديدات المحيطة بهم بسبب الانهيار الذي يضرب لبنان، فضلاً عن ارتباط لبنان بالأزمة السورية ومشكلة النازحين التي تشكّل خطراً في لبنان، بل خصوم سياسيون، لذا هو يؤيد فكرة أن اللبنانيين محكومون بالحوار والتفاهم، وأشار أكثر من مرة إلى استعداد الحزب للتعاون في شتى المجالات، بما في ذلك ميدان الدعم والمساندة الاجتماعية. وفي ملف النازحين، تطرّق وفد الحزب إلى الحصار المفروض على سوريا والعقوبات الاقتصادية التي تحول دون عودة النازحين الى ديارهم، مشدداً على أنّ أكبر مساعدة يمكن أن يقدّمها المجتمع الدولي للبنان هي تسهيل هذه العودة. كما جرى التطرق إلى دور الحزب في حماية المسيحيين في العراق وسوريا والعلاقات التي نشأت مع الشخصيات المسيحية في هذه الدول، فضلاً عن علاقات واسعة نسجها الحزب مع المجتمع المسيحي في لبنان، مبدياً اهتماماً بموضوع هجرة الشباب، وخاصة الشباب المسيحي وما يترتّب على ذلك من تفريغ للبنان من طاقاته.

ما من شك، أن الطرفين يجدان مساحة مشتركة تفرض استكمال الحوار بينهما حول قضايا ذات طبيعة جوهرية في البلاد، ومن أبرزها الحضور المسيحي والمحافظة عليه وتعزيزه. ومع أن قوى كثيرة لن يُناسبها هذا الانفتاح لأنه يضرب مشروعها، يبدو «الفاتيكان» مُصرّاً على استكمال هذا التواصل في المجال السياسي المتّصل بدور المكوّنات الأساسية في لبنان ومسؤوليتها، ويُمكن أن يتطور إلى التعامل مع ملف المجلس الوطني للدولار سيعتمد؟ عملياً، ستحال قنبلة الأزمة والأسعار على مجلس يبني قراراته بالخضوع التام لقوى السلطة الحاكمة.

على أي حال، فإنه رغم وجود قانون لحماية المستهلك ساري المفعول، تشتعل أسعار المحروقات، وغابت ربطة الخبز الكبيرة الحجم، ورفعت السوبرماركات أسعارها بشكل عشوائي وبلا أي رقابة، ما حوّل لبنان إلى بقعة جحيم تستخدم فيه حرب التجويع من أجل مصالح سياسية ضيقة. فهل المقصود إمرار انتخابات هيئة مكتب المجلس النيابي من دون «شوشرة»، ولا سيما أنه في غضون 12 يوماً من تاريخ يوم الانتخابات ليس في 15 الجاري لغاية ظهر أمس، قفزَ الدولار أكثر من 10 آلاف ليرة بلا مبرّرات لهذه الوتيرة المتسارعة. صحيح أنه لم يحصل ما يعكس مفاعيل الانهيار أو يوقفها، إلا أن الوتيرة السريعة بمعدل 800 ليرة يومياً أمر مبالغ فيه رغم استمرار مصرف لبنان بضخّ 30% من الطلب الذي يضمّ مسيحيين، هو مساحة الحرية التي يتمتّع بها.

وبينما أشارت مصادر إلى أن اللقاء الكنسي في سوريا، مطلع شهر آذار الماضي، الذي رعاه «الفاتيكان» وحضره رئيس مجمع الكنائس الشرقية الكاردينال ليوناردو ساندري، إضافة إلى رئيس هيئات الدعم الاجتماعي في «الفاتيكان» وحضور عدد من القادة المسيحيين في سوريا، كانَ حاضراً في اللقاءات لأهميته، حيث أظهر النية الجدية لدعم الشعب السوري بمختلف طوائفه، أكدت أن ملف النازحين السوريين يحتل مساحة واسعة من الاهتمام، إذ كانَ السفير يؤكد أهمية حل هذه المشكلة في دول الجوار، لذا يبلغ ممثلو «الفاتيكان» المسؤولين الأوروبيين دائماً أن الوقت أصبحَ مؤاتياً.

بكثير من الحرص والإيجابية، يتلقّف حزب الله المبادرة الفاتيكانية تجاهه، وقد عبّر الوفد عن ارتياحه للإشارات الصادرة عن «الفاتيكان»، مؤكداً في اللقاءات أن حزب الله ليس لديه أعداء

> **يتعاطى «الفاتيكان» مع الوضع اللبناني باعتباره جزءاً من أزمة المنطقة**

(أرشيف)

تقرير

سعدنات الحاكم مستمرّة: المضاربات تتصاعد بضخّ الدولارات

بسحر ساحر، انخفض سعر الدولار في السوق الحرة من 37 ألف ليرة إلى 29 ألف ليرة، وربما ينخفض أكثر خلال اليومين المقبلين. الانخفاض جاء استجابة لبيان صادر عن حاكم مصرف لبنان رياض سلامة/ يشير فيه إلى أنه سيضخّ الدولارات عبر التعميم 161 بالوتيرة المفتوحة السقف، أي أنه سيوقف تقنين ضخّ الدولارات وسيحرّر مرحلة السقف المفتوح في أول شهر من السنة الجارية. يومها بلغ الدولار 32 ألف ليرة، ثم انخفض إلى 20 ألف ليرة في 1 شباط. استمرّ الأمر لغاية 8 آذار (36 يوماً) ثم عاد سعر الصرف إلى الانفلات التدريجي، وصولاً إلى تسجيله ارتفاعاً قياسياً أمس بلغ 37 ألف ليرة. يقال إن سلامة أنفق أكثر من مليارَي دولار في هذه العملية. أما البيان الصادر أمس، فقد كان له مفعول السحر لأنه أعاد ضخّ الدولارات في شرايين المضاربات الجارية. سقف هذه المضاربات مفتوح للجميع، ما يعني أنه سيكون بإمكان أي أحد الاستفادة من الهامش الواسع بين سعر السوق الحرّة وسعر صيرفة. فرغم انخفاض السعر إلى 29 ألف ليرة، إلا أن الهامش ما زال واسعاً ويبلغ 4500 ليرة. كل 1000 دولار تباع في السوق بسعر 29 ألف ليرة تحقق للمضاربين أكثر من 100 دولار (بعد حسم العمولات للمصارف) خلال 24 ساعة.

سلوك سلامة في ترسيخ سياسات نقدية تكرّس المضاربات، ليس أمراً مقلقاً فقط، بل هو يحمّل الناس خسائر هائلة. فالأسعار ترتفع على وقع تقلّبات أسعار الدولار، فيما تبيّن أن بإمكانه كبح ارتفاع سعر الصرف ببيان واحد، وأن لديه إمكانية لضخّ الدولارات في السوق، رغم انخفاض مخزونه من السيولة بالعملة الأجنبية. وهذه ليست إشارات مطمئنة في السوق.

في المقابل، تتعامل الحكومة مع سلوك سلامة بحيرة وضياع. ليس لأن لديها القدرة على اتخاذ قرار يغطّي سلوكه المتهوّر، بل لأنها تبدو جاهلة بما يقوم به أو متعامية قصداً عن نتائج ممارساته، رغم خطورتها. وهذا ممكن خطر أكبر. فمن فرط جهل القوى السياسية الحاكمة، أو تواطئها مع سلامة، ما زالت بعد أكثر من سنتين ونصف سنة على الأزمة، تقف على الحياد في مسألة التسعير، أو تخضع لضغوط التجار والمحتكرين. وهذا الفشل دفعها نحو إحياء «المجلس الوطني لسياسة الأسعار» الذي كان يفترض أن يتشكّل قبل 48 عاماً. فهل المشكلة تكمن في وجود مجلس يرسم سياسات وخاضع لماربها، أم المشكلة في قوى السلطة نفسها العاجزة عن اتخاذ قرار يحمي مواطنيها؟

> **كل 1000 دولار تباع في السوق بسعر 29 ألف ليرة تحقق للمضاربين أكثر من 100 دولار خلال 24 ساعة**

هذه الإشكالية تقود نحو سؤال آخر: هل ستكون مهام المجلس الوطني التسعير وفق الدولار؟ أي سعر

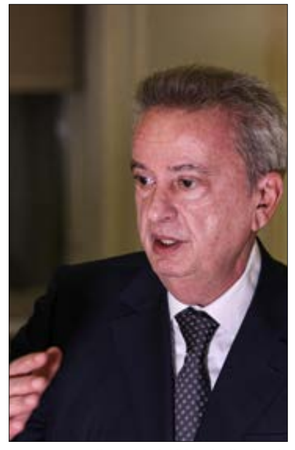
تثبيت الدولار على 20 ألف ليرة في مطلع السنة الجارية استمر 36 يوماً فقط (أ ف ب)

في الواجهة

من اقترح إقالة سلامة وعون؟

مع انه استحقاق دستوري يوجبه اكتمال اجراء الانتخابات النيابية، الا ان انتخاب هيئة مكتب البرلمان هذه المرة لا يشبه ايا من المرات السابقة، لا في رئيسه ولا في نائبه، ولا بعد الانتخابات الاخيرة، ولا على ابواب تاليف حكومة جديدة، فانتخاب رئيس للجمهورية

نقولا ناصيف

آخر مرة كانت ثمة معركة في انتخابات رئاسة مجلس النواب، حدثت في منازلة ضارية بين الرئيسين كامل الاسعد وحسين الحسيني، فاز فيها الثاني في 16 تشرين الأول 1984، في مرحلة انتقال البلاد آنذاك من النزاع مع سوريا الى موالاتها. قبلها، الاقرب، كانت في 20 تشرين الاول 1970 بين الرئيسين النسيبين صبري حمادة والاسعد، في مرحلة انقلبت كذلك احوال البلاد من الشهابية الى خصومها. خسر الاول صهر الثاني. منذ ما بعد اتفاق الطائف، لم يشهد مجلس النواب مرة معركة انتخابية ما خلا ما كاد ان يكون في 20 تشرين الاول 1992 بين الحسيني والرئيس نبيه بري، قبل ان تُحسم في الايام القليلة التي سبقتها، فخاض رئيس حركة امل انتخابات رئاسة المجلس مرشحاً وحيداً. مذذاك، الى اليوم، لم يظهر اي مرشح شيعي منافس له. لم تنشأ مرة مشكلة في نصاب الانعقاد ولا في نصاب التصويت، فترجحت ارقام الدورات الست السابقة ما بين 90 صوتاً و124 صوتاً.

في الاستحقاق الجديد، الثلثاء، فوز بري بولاية سابعة امر محقق. المواجهة التي يخوضها ضده خصومه على اصوات الاقتراع له. لا مشكلة في نصاب الانعقاد العادي، لأن الجميع سيحضر افتتاح العقد التشريعي الجديد. الانطباع الشائع ان المعركة على نيابة رئاسة المجلس. الرائج ايضاً ان نائب الرئيس يقتضي ان يكون على صورة الرئيس، يشبهه ويشترك معه في كل ما يمت بصلة الى دوريهما. كانت تلك تجربة ايلي فرزلي مع بري طوال 17 عاماً. ما بين عامي 2005 و2018 بانتخاب فريد مكاري اختلف الرئيس ونائبه، كلٌ في موقع مناوىء للآخر. قبلهما اقرب نموذج الى علاقة تشبه ما بين بري وفرزلي، ما كان بين الاسعد ونائبه منير ابو فاضل. اما ما بين بري ومكاري، فهو ما رافق الى حد علاقة الحسيني بنائبه البير مخيبر، نسيج نفسه الفريد، لا يشبه احداً ولا احد يشبهه.

بيد ان جلسة الثلثاء لن تنتهي في موعدها. بل ينتظر ان تنتقل تداعياتها. ايا تكن الاصوات التي سيحوزها الرئيس الفائز وايا يكن نائبه. الى ولاية البرلمان برمتها كي تتمدد الى الاستشارات النيابية الملزمة، ثم الى ما هو ادهى: معضلة انتخابات الجمهورية. اكثر من اي وقت مضى، وذلك ما لم يُثر مرة منذ عام 1992، من شأن توازن القوى في برلمان جديد يفتقر الى اكثرية مرجحة فيه، ويفتقر خصوصاً الى كتلة واحدة متراصة متوافقة على صورة ما كان بين عامي 1992 و2005، ثم ما صار عليه بعدذاك الى الآن بتواطؤ سنّي ـ شيعي، ان يضعه في مهب الانقسام لا احد قادراً على فرض ارادته. ثلاث اقليات كلّ منها لا تقل وحشية وجموحاً عن الاخرى للسيطرة على القرار فيه. بذلك يُفهَم اولاً معنى الاهتمام، ليس فحسب بانتخاب رئيس المجلس ما دام لا مرشح الا بري وفوزه منجز، بل ايضاً بانتخاب نائبه بدلالة رمزية، هي اصرار خصوم رئيس المجلس على مشاركته. من موقع الند وليس الحليف. في كل قرار يرتبط بادارة السلطة الاجرائية من خلال هيئة المكتب. وثُفهَم ثانياً الرغبة في خفض التصويت لبرّي كي يُصوَّر انتخابه ضعيفاً للمرة الاولى في مساره الطويل. ويُفهَم ثالثاً مغزى التشبث بالمواجهة على نيابة رئاسة المجلس. قد يؤدي ذلك. ان لم تقع المفاجأة وتصعد الى فوق الطاولة ما يفترض انه دائر تحتها. الى انتخاب الرجلين من الدورة الثالثة، غير المسبوقة منذ اتفاق الطائف.

اما ما يرافق الاستحقاق الوشيك، فبضعة معطيات ليست قليلة الاهمية، الا انها تجمع في طياتها ودلالاتها اكثر من علامة مثيرة للاستفهام على الاقل:

اولها، ما يشاع في دوائر مغلقة بعيداً من الاعلام لدى اوساط نيابية تقترح، في خطوة مقوّضة للمادة 44 من الدستور، اعلان انتخاب بري رئيساً للمجلس بالتزكية. لأن لا مرشح سواه، وتفادياً لارتداد الاقتراع سياسياً باحتمال انتقاله الى دورة ثالثة، وبغية الايحاء بحد ادنى من وحدة السلطة الاشتراعية، يصير الى التزكية.

المعطى المرافق لهذه «الاشاعة»، مع ان لا اشاعة باطلة او خاوية. رفض بري الاقتراح لمخالفته المادة 44 التي تنص على انتخاب الرئيس، ثم نائبه، ثم المفوضين الثلاثة، ثم امينيْ السر، بـ«الاقتراع السري» تبعاً للدورات الثلاث ونصابي الاكثرية المطلقة فالاكثرية النسبية. لم يحدث

> **خلافاً للدستور، ثمة مَن يقترح اعلان فوز برّي بالتزكية**

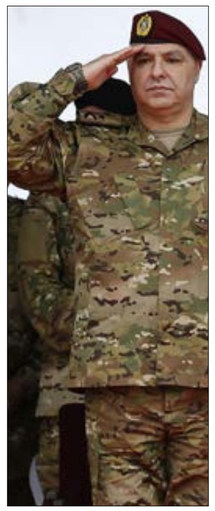

من قبل ان طُرح اقتراح كهذا، مع ان عشرات الحالات على مر ثمانية عقود في الحياة البرلمانية اللبنانية منذ الاستقلال، فيها مرشح واحد وحيد، ان صار الى التخلي عن الاقتراع السري واعلان فوزه بالتزكية. كذلك حصل في الدورات الست منذ عام 1992 مع برّي، مرشحاً وحيداً يفوز بالاقتراع السري. ثانيها، دونما ان يكون على صلة مباشرة، بيد انه يدلف بطريقة ما الى انتخابات رئاسة المجلس، عبر ربط الاستحقاقات الدستورية بعضها ببعض، عفواً او عمْداً، ومحاولة كل من الافرقاء جمع اكبر كمّ من اوراق التأثير والضغط والتفاوض، تحدثت معلومات، عشية الجلسة الاخيرة لمجلس الوزراء في 20 ايار، عن حمل المدير العام لرئاسة الجمهورية انطوان شقير الى اجتماع في السرايا مع رئيس الحكومة نجيب ميقاتي والامين العام لمجلس الوزراء محمود مكية، اقتراحاً يقضي بادخال بندين مستجدين على جدول اعمال الجلسة الاخيرة، هما اقالة قائد الجيش العماد جوزف عون وحاكم مصرف لبنان رياض سلامة. للفور رفض ميقاتي الاقتراح، وتوجّه الى محدثه بالقول ان طرحه في جلسة قصر بعبدا سيحمله والوزراء على مغادرة القاعة ورفع الجلسة. اذذاك طوي الاقتراح.

عشية كل جلسة لمجلس الوزراء، ينسّق شقير ومكية في وضع جدول الاعمال بما يتوافق عليه رئيسا الجمهورية والحكومة. في الغالب يكون هاتفياً. سرية الموضوع حتمت التحدث المباشر. ما يرافق هذه المعلومات الموحي بالاقتراح هذا هو رئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل الذي يخوض اكثر من مواجهة على اكثر من مسار، وجهاً لوجه مع اكثر من خصم وعدو سياسي. اولى اولوياته خروج سلامة من حاكمية مصرف لبنان قبل نهاية ولاية رئيس الجمهورية، كانتصار سياسي ضخم، يقف في المقلب الآخر منه برّي. ثانيتها اقفال قائد الجيش حظوظه، الخارجية قبل المحلية، في الوصول الى رئاسة الجمهورية باخراجه من منصبه.

الواضح ان ثمار المواجهات هذه لن تبصر النور سوى من خلال مجلس النواب الجديد، في انتخابات رئاسة البرلمان ونيابتها، ثم في الحكومة المزمع تاليفها، وصولاً الى انتخابات الرئاسة الاولى.

ثالثها، انتخاب نائب رئيس المجلس تتساقط تباعاً اوراق مرشحيه: غسان حاصباني كاحد افضل الوجوه الرصينة يتقدم بها حزب القوات اللبنانية، يرفضها الثنائي الشيعي والتيار الوطني الحر وحلفاؤه. الياس بوصعب وجورج عطاالله مرشحا التيار، كلٌ ببروفيل مناقض للآخر، يصطدمان كذلك باكثر من اعتراض على ترشيح اي منهما. يفضّل برّي الاول مجرّباً ليوثقه، ويميل باسيل الى الثاني كوجه استفزازي. بيد ان حظوظ اي منهما رهن موافقة الثنائي الشيعي. في نهاية المطاف انتخاب بوصعب ينجم عن مقايضة صعبة، موصدة الابواب حتى الآن على الاقل، بندها الاول نقل الاصوات الـ20 للتيار كي تصب في انتخاب برّي بداية، ثم يُنتخب نائبة بالاستطراد. يبقى مرشح اخير هو نائب عكار سجيع عطية الذي يمثل حلاً وسطاً بين الاقرباء المتناحرين على المنصب، منطلقاً من 11 نائباً شمالياً يؤيدونه، بينما نصحه محيط برّي برفع رقمه الى 20 صوتاً تسهيلاً لنجاحه، بين طرفين مسيحيين يمثلان الكتلتين الكبريين في البرلمان الجديد، غير ان اياً منهما عاجزة بتحالفاتها عن ضمان فوز مرشحها.

تحقيق

بشرّي قوات لكن «مش» ستريدا: لسنا للتعبئة فقط!

تعادل خسارة مقعد جوزيف اسحق في بشري فوز حزب القوات اللبنانية بمقاعده الـ18. الحصن المنيع لسمير جعجع وستريدا اخترقه ابن عمّ الأخيرة وليام طوق. القلعة العصية على الاختراق اختُرقت و«تابو» الترشح في وجه القوات انكسر. وزاد من توتر معراب دخول «قوة ثالثة» الى القضاء ممثلة بقوى «التغيير». لا يعني ذلك أن بشري لم تعد قواتية، فالبشرانيون اقترعوا سياسياً ضد حزب الله والتيار الوطني الحر، ولكن لسمير لا ستريدا، موجّهين رسالة واضحة بـ«أننا لسنا للحشد والتعبئة فقط»

(هيثم الموسوي)

جلّ ما حصل هو إنجاز «تحويرات» عليه التقطت صور لستريدا جعجع إلى جانبها. المعاناة الأكبر تقع على مزارعي التفاح الذين يتلف موسمهم سنوياً منذ 4 سنوات في غياب البرّادات والمازوت، وبعدما باتت كلفة القطاف والإنتاج أكبر من عائد البيع. باستثناء الزراعة، ليس في بشري ما يدفع أهلها الى البقاء في بلدتهم. فرص العمل شبه معدومة، ومن لم ينزح من شبابها الى المدينة أو يهاجر يقتل ضجره في المقهى ليلاً ونهاراً. المطاعم والأوتيلات تنتظر اقتناص الزبون صيفاً وشتاء في غياب أي خطة لتحفيز السياحة، والمستشفى الحكومي الذي كان يفترض أن يعالج المرضى «بتسبّب بموتهم»، على حدّ قول أحدهم، بسبب افتقاره الى الطاقم الطبي الكفؤ والأجهزة الأساسية. أما المدارس الرسمية فبدأت تفتقر الى الكادر البشري والأكاديمي وتشهد انحداراً غير مسبوق. «تعيش بشرّي من قلة الموت، لكنها رغم ذلك، لا تساوم في موقفها السياسي المؤيد للقوات الذين وحدهم يمكّنهم حمايتنا والوقوف في وجه حزب الله. صحيح أن الاعتراضات كثيرة، لكن القواتي لا يصوّت لأعداء القوات»، يقول أحد الشبان. لذلك، عاقب القواتيون نائبتهم لا حزبهم. فأقلام الاقتراع في مدينة بشري وقرى محيطة بها، كبرّعون وبرقاشا، حيث عمّمت القوات على مناصريها أن يصبّوا أصواتهم لستريدا حصراً، تضمّنت أصواتاً لإسحق ليس حباً به، إذ إنه أكثر كسلاً من زميلته، وإنما كرسالة تنبيه، و«بعض من انتخبوا إسحق يدركون جيداً ما يتسبّب به ذلك في معراب. أرادوا أن يهزّوا أسوار القصر قليلاً حتى لا يعتبر أصواتهم مضمونة في الجيبة»، وفق أحد البشرّانيين.

«بدناوماغينا»

يصعب على زائر المدينة الوقوع على من يجهر برأي معارض للحزب الراسخ في بشري وزواريبها. لدى العثور على أي من هؤلاء، يتلفّت قبل أن يهمس: «القلعة اللي ما بتنكسر... انكسرت». أن يشارك وليام جبران طوق الذي يعدّ والده من الزعماء التاريخيين في المنطقة في تمثيل بشري، أمر كفيل بإشغال القوات في معقلها في السنوات الأربع المقبلة. طوق الشطيح، على عكس إسحق، كان قد بدأ بتقديم مساعدات وخدمات اجتماعية. بعد إغلاق الأسواق الخليجية وتعذّر تصريف التفاح وانقطاع المازوت، أمّن لمزارعي التفاح المحروقات بأسعار منخفضة واشترى بعض إنتاجهم وسوّقه في مصر وغيرها. انتخابه يعني، حكماً، أنه سيزيد نشاطه الخدماتي ليكرّس زعامته، ما يصعّب مهمة ابنة عمه ستريدا التي سيكون عليها إجراء مراجعة جدية لأدائها. أما تراجع عدد أصواته، فتعزوه مصادر قريبة منه إلى «شراء الأصوات بحجم لم تشهده المدينة سابقاً»، وإلى «حرب الإلغاء المزدوجة» ضده التي خاضتها القوات اللبنانية ولائحة «شمالنا» معاً، بتخوينه واتهامه بـ«التبعية لحزب الله وجبران باسيل. حتى إن القواتيين تمنّوا على من لا يرغب في انتخاب نواب القوات إعطاء أصواتهم لمرشح «شمالنا» رياض طوق. وهذا ما يفسر احتفاظ القوات باصواتها، فيما غرف رياض من أصوات وليام». أنصار الأخير يؤكدون أن «القوات طلعت طلعتها وهي اليوم في القمة. بعدها، لا مجال إلا للنزول، وخصوصاً أن الوعود القواتية غير قابلة للتحقيق. سيصلون الى استحقاق 2026 حاملين شعار التيار عينه: كان بدنا وما خلّونا»!

يبدأ رياض طوق، في حديثه الى «الأخبار»، من نسبة الـ 9% التي نالها (محتسباً أصواته الـ 1406 وأصوات 155 والأصوات التي نالها من الاغتراب وخصوصاً في أوروبا والخليج). بشري، وفقاً لطوق، كانت شبه مغلقة وموالية بأغلبيتها للقوات. لكن، «مع الوقت أصبح هناك صوت اعتراضي تلقّفته البيوتات السياسية التي كانت موجودة قبل القوات، قبل أن تأتي 17 تشرين وتتوسع الى كل الدوائر ومنها بشري»، فضلاً عن أن ائتلاف «شمالنا»، كما يؤكد طوق، «شكّل خياراً ثالثاً جدياً كونه من أولى الحركات التغييرية الناشئة وليس تجمعاً للمستقلين كما في بقية المناطق». هنا، «بات ثمة خيار ثالث أمام الصوت الاعتراضي السيادي الذي لا يرغب في الاقتراع لوجوه مقربة من حزب الله أو التيار أو المردة، والممتنع بما نمثله من برنامج تغييري بدلاً من عدم الاقتراع أو الاقتراع للقوات».

قبيل أيام على الانتخابات، تداول ناشطون موقفاً لطوق يقول فيه إنه لا مشكلة لديه مع القوات، فهل يعني ذلك أن ما حدث كان توزيعاً للأدوار لتشتيت أصوات وليام طوق؟ يؤكد مرشح «شمالنا» أن كلامه «اجتزئ». اتفق مع موقف حزب القوات من سيادة الدولة، واختلف معهم على الإدارة المحلية والشمولية في التعاطي والتحالف المبطن مع (الرئيس) بري الذي يجعله لا يتحدث مطلقاً عن فساده». في مقابل تهمة «التآمر» على وليام طوق، يتهم رياض طوق القوات بالضغط على الناخبين بشتى الطرق لمنعهم من

> **يأخذ البشرانيون على القوات عدم تعيين أي وزير من بشري في الحكومات التي شاركت فيها حتى لا يزاحم ستريدا في عرينها**

انتخابه، وبالتسويق لنظرية «الاقتراع الفعّال»، أي عدم تضييع الصوت على لائحة لن تبلغ الحاصل وتخدم الخصم. كما يتهم وليام طوق بتسويق النظرية نفسها بين جمهوره، فضلاً عن «استخدام الطرفين المال الانتخابي في وجه ماكينتنا الحديثة التي تفتقر الى المال والسلطة».

وريث قواتي سابق خاض أولى معاركه مع معراب في الانتخابات البلدية، ونجح مع وليام طوق في تحقيق نتيجة جيّدة في وجه القوات، قبل أن ينفرغ للعمل الإعلامي، وصولاً الى ترشحه أخيراً. يستبشر طوق خيراً بالنتيجة ولا سيما «أن 70% من الناخبين هم في العشرينيات، ولأحتسنا نالت 14 ألف صوت مقابل 16 ألف صوت للمردة وهو رقم يستحق التوقف عنده. فزنا على القوات في زغرتا وبتنا القوة الثالثة بعد فرنجية ومعوّض، والرابعة في البترون والثانية في الكورة حيث حقّقنا تعادلاً مع المردة والقومي وتخطينا الحزب الشيوعي. تجربتنا يمكن البناء عليها، ونحن في صدد استكمالها بافتتاح مكتب سياسي ولجان في كل القرى والبلدات».

«الحيط انكسر» و«تابو القوات بعدم ترشح أي مستقل سقط»، يقول المرشح العوني في بشري طوني متى، مشيراً الى أن الأصوات التي نالها (685) ستدفعه الى عدم التوقف والعمل لتكبير رقعة المؤيدين. ويضيف: «أدرك مسبقاً أن الرحلة ستكون صعبة، وسأتواجه مع القوات. لكن نحن مش هيّنين وما رح نسكت. بدأت جولتي على كل الفعاليات لنتساعد على إنماء المنطقة. وسيحرص فريقنا على نقل تجربة البترون الى بشري في الإنماء والسياحة». بحسب متى، فإن «كثرة اللوائح والمرشحين والحردانين من قلب القوات ستترجم بالصناديق عاجلاً أو آجلاً. القوات تراجعت بسبب سياسة التجويع والدفع التي نفذتها والتسلط الذي مارسته على مرّ السنوات. قديماً، لم يكن أحد يجرؤ على مقارعة معراب. اليوم ترشح رشيد رحمة، منسق القوات السابق في سويسرا على لائحة معوض، وقرّحيا ساسين هو من عائلة فقدت شهداء مع القوات، إضافة الى رياض طوق. برزعون وبرقاشا تمردتا على ستريدا. السور المحصّن يتضعضع والسقوط لم يعد مستحيلاً».

يأخذ البشرانيون على القوات عدم تعيين أي وزير من بشري في الحكومات التي شاركت فيها حتى لا يزاحم ستريدا في عرينها، وغياب المدينة عن تعيينات الفئة الأولى باستثناء المفتش المالي العام وسفير لبنان السابق في الأرجنتين الذي، للمفارقة، عيّنه جبران باسيل.

لكن، لماذا إذاً أعاد البشرانيون الاقتراع للقوات؟ يجيب رياض طوق: «الناس انتخبت بالسياسة ضد حزب الله. والقوات التي تراجعت عام 2018 حافظت على التراجع هذه الدورة ولم تخسر أكثر لأن بشري مرتبطة بموجة طغت على كل لبنان تتعلق بمرحلة اشتباك سياسي وإعلامي مباشر مع الحزب، مترافق مع فشل العهد والتيار الوطني الحر، وفي ظل تراجع الحريري واعتبار جزء كبير من الناخبين أنه لم يبق في الميدان إلا سمير جعجع». موقف طوق يتماهى مع موقف العديد من فعاليات المدينة التي رأت أن بشري «انتخبت القوات ولم تنتخب ستريدا» بدليل تضمّن صناديق الاقتراع لوائح من دون أصوات تفضيلية وحصول إسحق على عدد أكبر من الأصوات رغم أنه لم يكن سوى ظل لزميلته.

لكن هذا كله لا ينفي أن «زلزالاً» هزّ معراب كما يصفه أحد المرشحين. منذ 17 عاماً، تلعب القوات وحيدة في بشري وتأخذ من المدينة أكثر مما تعطيها. تبحث عن نخب وشخصيات لتمثلها في كل المناطق إلا في بشري، وكان المطلوب من المدينة أن تتفرغ للحشد والتعبئة فقط. لكن، للمرة الأولى منذ خروج جعجع من السجن، ثمة خصم اخترق أسوار المعقل. وللمرة الأولى أيضاً بات هناك الى جانب القوات وطوق فريق ثالث من خارج القوى التقليدية يطمح بالتغلغل داخل المدينة. الكابوس القواتي صار حقيقة، وستريدا التي كانت تستمتع برفاهية عدم المشاركة في اللجان النيابية، ستضطر الى قطع عطلتها.

(«الأخبار» حاولت الاتصال بالنائب السابق جوزيف إسحق الذي اعتذر في البداية عن عدم الكلام، معللاً أنه في اجتماع، وطالباً الاتصال به بعد ساعة ليغيب عن السمع نهائياً).

بشرّي في «خطر»؟

يجمع رياض طوق وطوني متى وغيرهما على أن بشري تحتاج الى ثلاثة أمور أساسية: السياحة والزراعة والتعليم الرسمي. في الشقّ الأول، كان يفترض بالمدينة أن تكون الوجهة الأولى للسياحة الدينية والبيئية والعامة في الشرق الأوسط لامتلاكها معالم استثنائية كوادي قنوبين ومغارة قاديشا ومتحف جبران خليل جبران وساحات التزلج في الأرز. غير أنه لم يتم الاستثمار في المنطقة سياحياً كما حصل في إهدن والبترون وكفرذبيان وفقرا، بل ركزت القوات على مهرجانات الأرز، «أي يومين علاقات عامة في السنة»، على أن يتكامل ذلك مع إنهاء العمل بالأوتوستراد الذي لم ينته منذ عقود، ولا يمكن مقارنته بالطرقات التي نفذت في زغرتا والبترون. في الشقّ الثاني، تشكّل الزراعة، وتحديداً زراعة التفاح، العمود الفقري لبشري. ولكن منذ 5 سنوات، يتكلف المزارع على إنتاجه أكثر مما يربح. والمزارع الذي لا يمكنه «تأمين خبزه كفاف يومه»، لن يتمكن من دفع مستحقات المدرسة لأولاده، في وقت يشهد فيه المستوى الأكاديمي للمدارس الرسمية تراجعاً كبيراً مع توجّه كثيرين من المعلمين إلى التفتيش عن فرص عمل أفضل. وهو ما ينذر بمستقبل كارثي. فتدهور الزراعة والدراسة سيؤدي الى نزوح تدريجي لأهالي المدينة.

رلى إبراهيم

ليس تفصيلاً أن يكون لقضاء بشرّي نائب من خارج حزب القوات اللبنانية. كان حزب سمير جعجع يحتفل بـ«الأكثرية النيابية» ليلة فرز النتائج عندما نزل خبر خرق وليام طوق لـ«حصن بشري» كالصاعقة على معراب. لجمهور القوات في بشري مئة مأخذ على الحزب، لكن البشرانيين لم يريدوا الخروج من منطق المنطقة العصية على غير القوات. حتى الجرد الذي عانى مزارعوه طوال أربع سنوات من كساد تفاحه، موسماً بعد آخر، يفرّقون بين الخسائر المادية والخسارة المعنوية. لا صوت هنا يعلو فوق صوت القوات، ولا تغيّر ناخبو الحزب بالأرقام. لكن فشل القوات في تأمين حاصل رابع في دائرة تضم 4 أقضية أفقدها أحد مقعدي بشري ليعمّ الاحباط، ما اضطر النائب بيار بو عاصي الى تعميم رسالة على المحازبين يدعوهم فيها الى «وقف النحيب والانطلاق الى العمل».

لكن هل فازت القوات أم خسرت؟ بـ«الورقة والقلم»، ارتفع رصيد ستريدا جعجع (7924) وجوزيف اسحق (6391) من نحو 12 ألف صوت في الدورة الماضية الى 14 ألفاً في الدورة الأخيرة، بالتزامن مع ارتفاع طفيف في نسبة الاقتراع من 40% الى ما 41%. عملياً، لم يخسر القواتيون من رصيدهم، مقابل تراجع ملحوظ في أصوات طوق (من 4649 صوتاً الى 3566) يعزوه البعض إلى معارضة الموقف السياسي للائحة، وليس لطوق الذي نشط خدماتياً في المدينة في السنوات الماضية. غير أن تبدّل النتيجة في الكورة وفوز مرشح التيار الوطني الحر جورج عطا الله، مقابل فوز تيار المردة بحاصلين وخسارته لمقعد زغرتا، أفقدا القوات المقعد الثمين. غير أن اللافت، ربما أكثر من فوز طوق، هو عدد الأصوات التفضيلية التي نالها مرشح لائحة «شمالنا» رياض طوق (1406)، رغم عدم انتمائه الى أي حزب ورغم حداثة الماكينة الانتخابية للائحة. فقد اعتادت بشرّي على القوات والأحزاب العائلية التقليدية، ونيل مرشح مستقلّ هذا العدد من الأصوات يؤشّر إلى بداية تبدل مزاج شعبي كان حتى الأمس منغلقاً على نفسه، وأكثر ما تخشاه القوات أن تكبر كرة الثلج مع الأيام لتشكل، مع «حالة وليام»، خطراً جدّياً على معقلها الرئيس.

54 عاماً من الحسرة

الطريق من بيروت الى الكورة تستغرق نحو ساعة من الوقت. نصف الساعة الإضافي من الكورة الى بشري يتطلّب تركيزاً مضاعفاً بسبب ضيق الطريق و«الزوْربة» بين الحفر. استكمال هذا الطريق الذي بدأ العمل به عام 1968 يكاد يكون المطلب المشترك الوحيد لأهالي بشري ومنطقتها. منذ 2005،

تقرير

قضاة الشرع مفلسون والمفتي يغلق أبوابه

ليا فخر الدين

المحاكم الشرعية السنية في وضع يُرثى له. الحرب الدائرة علناً حول محاربة إقرار الزواج المدني لا تعكس ما يجري فعلاً داخل أروقة المحاكم. هَمّ القضاة في الوضع الاقتصادي. أحدهم رُقّت قدماه من «البيرم» على الجمعيات الخيريّة محاولاً تأمين أقساط أولاده، وآخر يحاول تأمين عمل في الخارج. فيما غالبية القضاة يدفعون من رواتبهم الشهرية التي لا تتجاوز الـ4 ملايين و500 ألف ليرة لشراء القرطاسية لغرف المحاكم بعدما «نسّت» وزارة المالية تحويل موازنة المحكمة الشرعية السنية منذ أكثر من عامين!

تشبه أحوال صندوق التعاضد التابع للقضاة الشرعيين، السنة والشيعة الجعفريين والموحدين الدروز، حال المؤسسات الضامنة في بقية القطاعات: الصندوق يكاد أن يُشهر إفلاسه بعدما كان يشتهر بتقديماته الوفيرة في تغطية المنح المدرسية والجامعية والزوجية، والتغطية الاستشفائية وفواتير الأدوية. اليوم، لم يعد بإمكان القضاة الاتكاء على الصندوق لتأمين هذه المنح، إذ إنّهم لا يتقاضون بدلات كاملة عن الفواتير التي يتم تقديمها إلى إدارة الصندوق، ناهيك عن التأخير في تسديدها. الأزمة أن لا أموال كافية تغطي الفواتير بشكل كامل، بالتزامن مع الغلاء المستمر اللاحق بالأقساط المدرسية والجامعية وأسعار الأدوية والخدمات الطبية، إضافة إلى عدم رفد الصندوق بالأموال اللازمة. اعتاد المسؤولون عن الصندوق أن تحوّل وزارة المال مساهمتها في الصندوق (بين 400 و500 مليون ليرة) شهرياً، إلا أن ذلك لم يعد يحصل اليوم، بل إنّ التحويلات صارت تأتي بقيمة المساهمة الشهرية كلّ 4 أو 5 أشهر مرة واحدة، إضافة إلى خفض الدولة لمساهمتها في الصندوق مليار ليرة منذ أكثر من 3 سنوات بعد أن كانت تصل إلى أكثر من 6 مليارات ليرة سنوياً.

> **غسل درويان يديه من مطالبهم بعدما وعدهم بمساعدتهم في الاستحصال على هبة سعودية**

ويتغذّى الصندوق من هذه المساهمة إضافة إلى رسوم المعاملات في المحاكم واشتراكات القضاة الشهرية التي تُحسم من رواتبهم. ولأن هذه المداخيل انخفضت قيمتها بفعل الأزمة المالية، صار الصندوق عاجزاً عن تلبية 90% من حاجات القضاة الذين يتعدى عددهم الـ220 بين عاملٍ في السلك ومتقاعد، بالإضافة إلى أسرهم.

ما يثير غضب القضاة في المحاكم الشرعية السنية أكثر هو رفض مفتي الجمهورية الشيخ عبد اللطيف دريان إدراج أسمائهم في لوائح المستفيدين من المنحة القطرية (150 دولاراً شهرياً) رغم أنّ المنحة لم تُدفع إلا مرتين. مع ذلك، لم يجدوا سوى دار الفتوى «حائط مبكى». بالنسبة إليهم، فإن دريان يملك صيغة حل من خلال الدخول عبر البند المتعلق بإمكانية قبول صندوق التعاضد للهبات. صحيح أن هذا الأمر لم يكن يحصل سابقاً، إلا أن الأوضاع الاقتصادية تُحتّم اليوم قبول هذه الهبات والعمل على جلبها.

في البداية كان المفتي متعاوناً. نصحهم برفع الصوت ليتمكّن من تقديم يد العون لهم بمحاولة الحصول على هبة سعودية، خصوصاً أن دريان نفسه بقي منتسباً إلى الصندوق الخاص بالقضاة بعد انتخابه مفتياً. وهذا ما حصل، إذ دعا رئيس المحاكم السنية الشيخ محمد عساف إلى اجتماع في مكتبه لعدد من القضاة المقربين منه واستثنى منه آخرين. وعلى عجل، التقط القضاة لهم صورةً تم نشرها في إحدى الصحف، قبل أن يرسلوا نسخة عن الخبر إلى «سماحته».

مرّت الأيام ولم يتغيّر وضعهم. وسرعان ما استبشروا خيراً بعد أن سمعوا بالإفطار الذي سيقيمه السفير السعودي وليد بخاري على شرف دريان، وظنوا أن المفتي سيفاتح السفير بالأمر و«ستلعب» الأموال في الصندوق. لكن ذلك لم يحصل... لا دريان «فتح سيرة» للسفير ولا السعودية فتحت حنفيّتها. وهذا ما أثار نقمة القضاة الذين اشتكوا لعساف الذي قام بزيارة خاطفة إلى دار الفتوى. ما سمعه الرجل هناك لا يشبه الجو الذي سمعه من دريان في الزيارة السابقة، إذ إن الأخير «غسل يديه» من مطالب القضاة. ويتردّد أنه طلب من رئيس المحاكم السنية ألا يحيل إليه أي مطلب يخص القضاة الشرعيين وأنه لن يعمد إلى إدراج أسمائهم في لوائح المستفيدين من المنحة القطرية أو حتى في مساعدتهم على الاستحصال على هبة خليجية لصالح صندوق التعاضد. وأبدى أمامه انزعاجه من هجوم بعض القضاة عليه على «الغروب» الخاص بهم، طالباً من عساف عدم مراجعته مستقبلاً وعدم إعطاء مواعيد للقضاة في دار الفتوى.

(أرشيف ـ مروان طحطح)

قضية

تجّار الدواء يهدّدون سلامة المرضى رفضاً للتسعيرة الرسمية

رأجانا حمية

أصدرت وزارة الصحة العامة، أمس، «سعر الصرف» الجديد لمؤشر أسعار الأدوية، وحدّدته بـ29 ألفاً و600 ليرة لبنانية بدلاً من 26 ألفاً. لكن الإصدار الجديد لم يمرّ بسلام هذه المرة. فمنذ دخوله حيّز التنفيذ، قامت الدنيا ولم تقعد، مثيراً بلبلة بين المعنيين في القطاع، من الصيادلة إلى المستوردين إلى أصحاب المستودعات، رافضين «التلعيم الذي رمته وزارة الصحة لنا»، على ما يقول أحدهم... والذي سيُترجم ابتداءً من اليوم بالخلاصة التالية: لا أدوية بعد اليوم.

لم تعد أزمة الدواء محصورة بانعدام فرص المرضى في الحصول على حقهم بالعلاج، ولا بالجشع الذي يمارسه المستوردون ولا أصحاب المستودعات، وإنما امتدّت لتصبح «مشكلة على سعر صرف المؤشر»!

قيمة التسعير

وتكمن المشكلة في تضارب وجهات النظر بين أطراف ثلاثة هي: وزارة الصحة العامة وأصحاب الصيدليات والمستوردون، حول قيمة التسعير. ففي الوقت الذي يطالب فيه المستوردون بدفع السعر لكي يقترب من سعر صرف الدولار الذي لامس أمس عتبة الـ38 ألف ليرة، قرّرت الوزارة أن تقف عند عتبة الثلاثين، لاعتبارين أساسيين: أوّلهما ما كان قد قاله المعنيون في وزارة الصحة، ومنهم الوزير، خلال النقاشات الأخيرة التي جرت

صيادلة لم يتسلموا الدواء منذ عشرة أيام (هيثم الموسوي)

> في ظل الفوضى ينشط ما بات يُصطلح على تسميتهم «تجار الشنطة»

مع المستوردين والصيادلة أيضاً، بأن «المستوردين استوردوا الدواء على سعر صرف 26 ألف ليرة ويفترض أن يكون سعر الـ29 ألف ليرة منصفاً»، وثانيهما هو «أننا لا نستطيع تحميل الخسارة الكبيرة دفعة واحدة للمواطن»، على ما قال وزير الصحة العامة، فراس أبيض، لـ«الأخبار». ولأن الخسارة كبيرة، فمن المفترض بحسب أبيض «أن يتحملها الكلّ»، لكونها مسؤولية جماعية وليست فردية.

ما يقوله أبيض لا يمت بصلة إلى ما يقوله المستوردون والصيادلة. فمن وجهة نظر المستوردين، لا يعني استيراد شحنة من الدواء على سعر صرف الـ26 ألفاً تسليمها إلى الصيدليات والمستشفيات وأصحاب المستودعات بسعر الوزارة المطروح. والمبرّر لدى هؤلاء هو أن سعر صرف المؤشر الذي باعوا على أساسه لن يسدّ جزءاً مما سيشترونه على أساس سعر صرف الدولار في السوق السوداء.

لهذا السبب، كان الردّ حاسماً في الاجتماعات مع وزارة الصحة قبل صدور المؤشر، أن لا تسليم ولا بيع ولا شراء. وهذا ما سينعكس تالياً على الأوضاع في الصيدليات، إذ يشكو معظم هؤلاء وخصوصاً في المناطق من «قلّة التسليم»، ويشير أحد الصيادلة إلى أنه «منذ عشرة أيام لم نتسلّم حبة دواء واحدة، ولم نستطع أن نلبي مطالب مرضانا».

أدوية مهرّبة

ماذا الصيادلة هنا على الطرفين: الوزارة التي «تتقاعس عن القيام بدورها، إذ يُفترض بها أن تضغط على المستوردين لتسليم البضائع التي كانوا اشتروها على سعر الـ26 ألفاً، وأن تكون أكثر تسامحاً في سعر المؤشر خصوصاً في ظلّ صعود الدولار»، والمستوردون الذين «يمتنعون أصلاً عن التسليم، فكيف الحال في ظلّ صدور مؤشر رفضوه قبل أن يصبح نافذاً؟». وهو واقع يقود، بحسب نقيب الصيادلة، جو سلوم، إلى «الفوضى»، داعياً في الوقت نفسه إلى «العمل على إيجاد حلول نهائية بدلاً من الحلول المؤقتة كمؤشر الأدوية وحلقات الدعم».

في ظل تلك الفوضى، ينشط ما بات يصطلح على تسميتهم «تجار الشنطة» الذين يعملون اليوم على تهريب أدوية من بلدان مجاورة والعمل على بيعها لأصحاب الصيدليات. وفي هذا السياق، يشير أحد الصيادلة إلى «أن أحد تجار الشنطة عرض عليّ أمس مجموعة إبر إنسولين لمرضى السكري وأدوية أخرى تحتاج في الأصل إلى طريقة حفظ معينة وتوضيب معين»! والسؤال هنا: من يراقب هذه الفوضى؟ من يضمن سلامة المرضى من الأدوية المهرّبة التي باتت تباع مثل «البونبون»؟

ومع انخفاض سعر الدولار مساء، واقتراب سعر السوق من سعر المؤشر الجديد، تساءل أبيض: «هل سيتم تسليم الأدوية الى الصيدليات؟ وهل ستقوم الصيدليات ببيع الادوية المخزنة لديها؟» معتبرا ان ساعة الحقيقة قد دقت.

تقرير

ازدهار تجارة الخردة في البقاع: تضاعف الإنتاج وانخفاض الأرباح

> ولّت الأيام التي كان فيها الباحثون عن الخردة يجوبون الأحياء ويفتشون في الحاويات ليلاً لجمعها سرّاً بعيداً عن الأعين. الأزمة المالية من جهة، وارتفاع أسعار الحديد والنحاس والبلاستيك من جهة ثانية، حوّلا الانظار نحو جمع الخردة. أو «تجارة الذهب». كما بات يطلق عليها الشبان الذين اكتشفوا هذه «المهنة» حديثاً

كوثر ياسين

تشهد منطقة البقاع، ولا سيما مناطق قضاء زحلة، ارتفاعاً ملحوظاً في عدد بور الخردة. وبعدما كان عددها سابقاً لا يتجاوز أصابع اليد، باتت أعدادها اليوم تُراوح بين 50 إلى نحو 85 بورة تتوزّع بين رياق، دير زنون، الفيضة، برالياس، قب الياس، تعنايل وغيرها. في هذه البور يتم جمع الخردة، فرزها، كبسها، ثم بيعها إلى تجار يصدّرونها إلى الخارج.

فقد وصل سعر الطن الواحد من الكرتون إلى 100 دولار، والبلاستيك إلى 350 دولاراً، والحديد إلى 400 دولار، فيما بلغ سعر طن النحاس 8000 دولار مع تفاوت يومي في الأسعار حسب ارتفاع البورصة وانخفاضها. وتشير تقديرات بعض من يعملون في هذا القطاع إلى أن لبنان يصدّر نحو 300 ألف طن سنوياً من الخردة، بعدما يتمّ تجميع الخردة وفرزها حسب النوع في باحات مستودعات الخردة تمهيداً لتصديرها بحراً، وعلى وجه الخصوص إلى تركيا حيث يُعاد تدويرها وتصنيعها، فتساهم بذلك في تشغيل عشرات الآلاف من العائلات وأغلبها في منطقة الشمال الفقيرة وأخيراً في البقاع.

لا يخفي حسين الأشهب، صاحب إحدى بور الخردة، أن الأرباح التي يحصدها قد تتجاوز مداخيلها اليومية أحياناً الـ300 دولار أحياناً. مؤكداً أن «الخردة تجارة ناجحة ومشجّعة. ما نجمعه إما نبيعه ويعاد تحويله ليدخل في الصناعات المحلية التي تعيش أزمة خانقة يجب تشجيعها، أو يتمّ تصديره إلى تركيا وبلغاريا». لكنه يلفت إلى أن «هذا الربح انخفض تدريجياً مع تفاقم الأزمة الاقتصادية».

فوضى وسرقة

يوافق أبو علي سماحة، صاحب إحدى البور في منطقة رياق البقاعية، على أن تجارة الخردة «لم تعد تلك المهنة التي تدرّ ذهباً كما في السابق»، مؤكداً أن «قيمة الأرباح فيها تراجعت بنسبة 30%». أكثر من سبب يقف خلف هذا التراجع «التقلّب المستمر في سعر الصرف والذي يتسبّب بفقدان جزء من قيمة البضاعة عند بيعها أحياناً، ازدياد عدد البور وعدد المشغّلين الجدد الذين دخلوا الكار بعد الأزمة، إضافة إلى الارتفاع في إيجار البور والنقل وأجرة العمّال وتفاقم التكاليف المعيشية الأخرى».

ويلفت إلى سلوكيات بات يلاحظها لدى الأهالي «كنا نجد في الحاويات معلبات الطعام المعدنية الفارغة والبطاريات وقطع الحديد المتآكلة من الصدأ، اليوم يتجه الناس نحو الاحتفاظ بها أو تصريفها بطرق

> عطش السوق إلى الخردة ساهم في ازدياد السرقات بحثاً عن النحاس والحديد

أخرى كأن يبيعها أهل البيت مباشرة لجامعي الخردة».

ومن ملاحظاته أيضاً الفوضى التي باتت تعمّ هذه التجارة «وتحوّل بعض جامعي الخردة إلى منحرفين وسارقين». فمع عطش السوق إلى الخردة، نشطت السرقات وتنوّعت الأساليب، فلم تسلم ماكينات الإنترنت على الأسطح و«الراوتر» في المنازل، مروراً بأسلاك الكهرباء والنحاسيات والأعمدة الحديدية، وصولاً إلى فك بطاريات السيارات، حتى المدافن لم تسلم، فقد شهدت منطقة رياق البقاعية منذ فترة وجيزة سرقة نحو عشرة أبواب حديدية تابعة لمدافن رعية بلدة رياق الفوقا.

فرص عمل

هكذا تحوّل العمل في جمع الخردة إلى مهنة ثابتة للكثيرين من الشباب الذين لفظهم سوق العمل المحلي. الشاب محمد شداد، وبعد صرفه من عمله في أحد محالّ الألبسة، لجأ إلى جمع البلاستيك من البيوت لبيعه إلى أحد تجار الخردة. تراه يجول يومياً على بيوت أقاربه والجيران ليجمع الغالونات وعبوات الشامبو والتنظيف والمياه المعدنية من بيوتهم، وعندما تكتمل الكمية يبيعها لإحدى البُور في المنطقة. يتقاضى 5000 ليرة لبنانية ثمن كيلو البلاستيك، وبين 8 إلى 10 آلاف ثمن كيلو الحديد، أما النحاس فـ«سيّد الخردة واندرها» كما يعبّر شداد، لأنها «المادة الأغلى والأقلّ توافراً ويبلغ سعر الكيلو الواحد منها 170 ألف ليرة».

أما علي عقيل، الشاب الذي فرّغ وقته للعمل في هذه المهنة بشكل يومي في إحدى البور، فيتقاضى بين 150 إلى 200 ألف ليرة يومياً، بعدما كانت يومية العامل في جمع الخردة سابقاً لا تتجاوز الـ30 ألف ليرة لبنانية. ويعتبر عقيل «أن المهنة التي كنت أخجل منها أمام أترابي في الماضي باتت اليوم مصدر رزقي، ومثيرة لرغبة كثيرين في مزاولتها لما توفّره من مردود».

مبادرات فردية

وهناك أيضاً من يستفيد من الخردة للمساهمة في معالجة مشاكل اجتماعية مثل عليا أيوب، التي تجمع وصديقاتها النفايات من نحو 150 بيتاً شهرياً، وأحياناً الحقول والطرقات. تفرزها وتبيعها إلى أحد المعامل لاستخدامها في صناعة صناديق الخُضر وأكياس النايلون وغيرها. تقول أيوب إنها جمعت نحو طنين من الخردة «ما قيمته 1500 دولار، اشترينا بها أدوية للمسنّين في المنطقة وساعدنا بعض العائلات». وتشير أيوب إلى أن «البقاع يعاني من شحّ المؤسسات والجمعيات التي تُعنى بالفرز، والعمل في هذا المجال بمعظمه فردي، علماً بأن كثيرين متحمّسون للفرز، لكن لا يوجد سبيل لتصريف هذه المواد».

ورغم الانتقادات التي طاولتها إلا أنها لم تعرها أيّ اهتمام معتبرة أن «ما نقوم به ليس معيباً، بل نعمل على فرز النفايات بطريقة غير مباشرة، فنتخلّص بذلك من تخمة النفايات المتراكمة، مساهمين قدر الإمكان في الحفاظ على البيئة والتربة من المواد غير القابلة للتحلّل».

شكاوى من ارتفاع إيجار البور والنقل (الأخبار)

متابعة

روابط الأساتذة: خسرنا ورقة مقاطعة الامتحانات الرسمية

فاتن الحاج

ليس في وارد روابط التعليم الرسمي مقاطعة أعمال الامتحانات الرسمية مراقبة وتصحيحاً. لا يبدو أيضاً، حتى الآن، أنّ حرمان الأساتذة من أبسط مقومات الحياة الكريمة وشعورهم بالظلم، نتيجة استفحال الأزمة المالية والاقتصادية، سوف يقودهم إلى العزوف عن الاستحقاق الذي يبدأ في 25 حزيران المقبل. كلّ المؤشرات تدلّ على أن هناك كثافة في المشاركة في كلّ المحافظات باستثناء جبل لبنان. رغم ذلك، سار وزير التربية، عباس الحلبي، في قراره الاستباقي بالاستعانة بأساتذة التعليم الخاص وبمعلّمي اللاجئين السوريين، تحسّباً لأي مفاجأة. الحلبي حمى الإجراء بالمرسوم الرقم 9189 بتاريخ 18 أيار 2022، عازياً السبب إلى النقص في أعداد الأساتذة المراقبين المشاركين. مع الإشارة إلى أن حضور التعليم الخاص في الامتحانات ليس جديداً، فهم يشاركون في التصحيح منذ وقت طويل، وبعضهم يتولّى مهمات حساسة في لجان الامتحانات (نواب مقرّرين وأعضاء في لجان المواد). الجديد ربما هو مراقبة قاعات الامتحانات، وهو ما قد يطرح جدلاً تربوياً بشأن شفافية الاستحقاق، على خلفية أنّ وزارة التربية والتفتيش التربوي ليس لديهما أي سلطة على الأساتذة، وليست هناك إمكانية لمحاسبة أي أستاذ يخلّ بالقواعد الأساسية للعمل.

لا للتصعيد

أما اعتراض الروابط على خطوة الوزير انطلاقاً من أن «التعليم الرسمي هو أبو الامتحانات وأمه»، لن يتجاوز على ما يبدو، ما سماه عضو رابطة أساتذة التعليم الثانوي الرسمي حيدر اسماعيل، «النقاش الهادئ والتحاور مع الوزير للعودة عن قراره»، مطمئناً إلى أنه لن تكون هناك خطوات تصعيدية في هذا السياق، وأنّ الإضراب الذي تنفذه الروابط ليوم واحد، الثلاثاء المقبل، يتصل حصراً بعدم الإيفاء بالوعود بإعطاء سلفة بدل النقل والحوافز المالية والمنحة الاجتماعية وبدل ساعات المتعاقدين والمستعان بهم. اسماعيل طالب بالكفّ عن «الدعس» على القوانين التي تنصّ بوضوح على أن الأساتذة والمعلمين الرسميين هم وحدهم المولجون

لا سلطة للوزارة والتفتيش على أساتذة الخاص (صورات يو حيدر)

بأعمال الامتحانات. ورأى أن إشراك أساتذة القطاع الخاص نابع من تطبيق وصفات البنك الدولي الذي يصر على أن يقاسم أساتذة التعليم الخاص كلّ تفاصيل الحياة التربوية مع أساتذة التعليم الرسمي بما في ذلك الفتات الذي يتقاضاه هؤلاء، «والخطورة أن الدولة تسلّم القطاع الخاص وظيفة رسمية مرحلية ولا تقوى على محاسبته».

رئيس رابطة المعلمين في التعليم الأساسي الرسمي، حسين جواد، بدا هو الآخر مقتنعاً بأن الروابط خسرت «ورقة الامتحانات» كوسيلة ضغط، عندما أصرّت على استمرار مقاطعة أعمال التصحيح، في عام 2014، وقبلت بتوزيع الإفادات على المرشحين، وهي لم تعد تتجرأ حتى على التهديد بهذه الورقة. جواد سأل: «إذا كان النقص في عدد المراقبين موجوداً فقط في محافظة جبل لبنان كما أبلغنا الوزير، فلماذا شمل المرسوم كل المحافظات؟»، مبدياً خشيته من أن يكون ذلك مقدمة للخصخصة والتخلص من القطاع العام، لا سيما من التعليم الرسمي الذي يشكّل الجزء الأكبر من هذا القطاع.

أساتذة الخاص زملاء

«المعارضة النقابية» منقسمة على مقاربة إشراك القطاع الخاص في الامتحانات، فالقيادي في التيار النقابي المستقل، جورج سعادة، قال إنّ الخصخصة ليست في مشاركة أساتذة القطاع الخاص الذين يجب التعاطي معهم كزملاء، لديهم الظروف الصعبة نفسها ومحرومون من حقوقهم مثلنا، ولا يجوز النظر إليهم أعداء، إنما يكمن أكثر في تدمير التعليم الرسمي بحجب حقوق الأساتذة وتشريع الفرشمان والبكالوريات الأجنبية، الفرنسية والدولية، والذي يضرب الشهادة الثانوية اللبنانية التي نعدّها شكلاً من أشكال السيادة. سعادة قال إنّ نيل الحقوق كان يمكن أن يحصل لو أن الروابط هدّدت بمقاطعة الانتخابات النيابية والامتحانات الرسمية، و«ليس صحيحاً أننا خسرنا هذه الورقة، باعتبار أنّ تجربة الإفادات لا يمكن أن تتكرّر إلا في حالات الحروب والجائحات وهناك قانون يضمن ذلك». ونفى سعادة أن تكون المعارضة الجهة التي تعلن المقاطعة، لأن مثل هذا القرار يجب أن يصدر عن الجهة النقابية الرسمية.

عضو لقاء النقابيين الثانويين، حسن مظلوم، لديه رأي مختلف لا سيما وأن أكثر من نصف مندوبي الرابطة هم معارضون لسياسات الهيئة الإدارية، إذ كان يمكن المواجهة لو لم يكن هناك إقصاء متواصل للمعارضة من المعارضة، ولو تم تكن الأخيرة معطلة وعملها استعراضياً. وأضاف: «ليطمئن الوزير ولينم قرير العين، ليس هناك رابطة ولا حتى معارضة ستقول له لا، وهنيئاً عليهم الخصخصة والانهيار».

انتخابات

«فوبيا» السياسة تخيّم على انتخابات نقابة الأطباء

زينب حمود

بعد أسبوعين على انتخابات نيابية «طاحنة» ثبّتت تحالفات وأعادت النظر باخرى، وفي مرحلة حساسة يمرّ بها البلد، تزداد النقمة على كلّ ما يرتبط بالاصطفافات الحزبية. لن يكون من السهل على الأحزاب السياسية التقليدية والمجموعات التغييرية والمستقلين أن يحسموا خيارهم في ما يخصّ انتخابات نقابة الأطباء غداً. وكما جرت العادة، تتغير التحالفات في الساعات الأخيرة التي تسبق هذا الاستحقاق.

لذا، المفاوضات «شغالة» وطبخة اللوائح لانتخاب جميع الأعضاء الـ16 في الجولة الأولى والنقيب في الجولة الثانية لم تجهّز بعد.

لا تحالفات سياسية!

ترفض الأطراف المشاركة في الانتخابات ان تربط مشاركتها بتحالفات سياسية. وتصرّ على أنها تعمل مهنياً ونقابياً بعيداً عن الأجواء السياسية. لكن اللوائح الانتخابية الثلاثة التي تشكلت لا تخرج عن عباءة: 8 و14 آذار والتغييريين. الأولى، باسم «نقابتي حصانتي»، رشّحت الطبيب يوسف بخاش لمنصب النقيب، ويميل التيار الوطني الحر وحزب الله إلى دعمها، مع تحفظ حركة أمل عن الإقرار بذلك. الأكيد، أن «أمل حليفة حزب الله، أما عدا ذلك فاللوائح تتغير حتى يوم الانتخابات وذلك نتيجة تواصل جدّي مع الأطباء في الجامعة الأميركية في بيروت، الذين تجمعنا بهم علاقة تاريخية، فضلاً عن الحزب الاشتراكي وتيار المستقبل»، كما يقول مسؤول مكتب المهن الحرة في حركة أمل مصطفى فواز.

الخيار لم يُحسم

اللائحة الثانية باسم «نقابيون مستقلون للتغيير - الطبيب أولاً»، مدعومة من حزب القوات اللبنانية والكتائب والتقدّمي الاشتراكي وتجمّع «القمصان البيضاء»، ورشّحت برنار جرباقة لمنصب النقيب. «الأخبار» تواصلت مع كلّ من رئيس مصلحة الأطباء في حزب القوات أنطوان شليطا ومسؤول مكتب المهن الحرة في تيار المستقبل منذر قمبريس اللذين أكدا «عدم حسم الخيار بعد». المرشحة على هذه اللائحة رانية باسيل «تبرّئ» اللائحة من الصبغة السياسية وتؤكد أنه «إذا اقتنع الطبيب، مهما كان انتماؤه، ببرنامجنا فأهلاً وسهلاً به، لكن من غير المسموح بعد كلّ ما وصلنا إليه أن نحكي بمنطق سياسي».

> بعد تأجيلها مرتين سيتجدّد مجلس النقابة كلياً بأعضائه الـ16 والنقيب

مسؤول مكتب المهن الحرة في التيار الوطني الحر مروان زغبي يشير إلى أن التيار لم يحسم بعد دعمه للائحة «نقابتي حصانتي» لكنه يبتعد حتماً عن اللائحة الثانية التي تطرح التغيير وتضم رموزاً نقابية وحزبية، كذلك الأمر بالنسبة للائحة الثالثة «لائحة الطبيب جورج الهبر»، كما يسميها، لأنها «لا تمثل طموحاتنا نظراً لأداء الهبر وسوابقه». اللائحة الثالثة، إذاً، تجمع أطباء مستقلين باسم «النقابة تنتفض» مدعومة من الحزب الشيوعي ومجموعات تغييرية رشحت الطبيب جورج الهبر لمنصب النقيب. شعارها «كلّن يعني كلّن، بمن فيهم أطباء محرّبون يدّعون استقلاليتهم سرقوا الثورة والأسامي»، بحسب الهبر الذي يتأسف من «وجود لوائح منافسة أعادتنا إلى أيام 8 و14 آذار».

هناك 13 ألف طبيب مسجلون في النقابة، نحو 9 آلاف منهم سدّدوا رسوم الاشتراكات، ما يعني 9 آلاف ناخب، «من بينهم أطباء هاجروا يقدّرون بنحو 3 آلاف طبيب»، كما يلفت نقيب الأطباء شرف أبو شرف، عادة، يشارك حوالى ثلاثة آلاف طبيب في انتخاب 4 أعضاء على مدار عامين و8 أعضاء بينهم النقيب في السنة الثالثة. لكن، نتيجة تأجيلها مرتين عامي 2020 و2021 جرّاء انتشار جائحة كورونا سيتجدّد مجلس النقابة كلياً بأعضائه الستة عشر بمن فيهم النقيب، عدا أعضاء مجلس التأمين والإعانة ومجلس صندوق التقاعد، والمجلس التأديبي. لذا، و«تفادياً للزحمة والعراكات التي قد تنتج عنها، وحتى لا يتكرّر سيناريو انتخابات نقابة طب الأسنان، قرر المجلس الحالي وضع شاشة كبيرة للمندوبين والمرشحين خارج قاعة الاقتراع». وهذا ما دفع أعضاء لائحة «النقابة تنتفض» لتقديم شكوى لدى قاضي الأمور المستعجلة ووزارة الصحة رفضاً للقرار.

تاريخ العرب المعاصر من منظور مؤامرات الغرب

أسعد أبو خليل *

أغمضُ عينيّ أحياناً (نظريّاً) وأتخيّل تلمّس مسار التاريخ العربي المعاصر من زاوية التآمر الغربي ضد بلادنا. إن نشر وثائق «ويكيليكس»، ثم وثائق سنودن، بالإضافة إلى نشر الوثائق الأميركيّة والبريطانيّة الرسميّة في أرشيف العواصم (بعد إخضاعها للمراقبة) كلّ ذلك سيعيد النظر — أو يجب أن يعيد النظر — في رؤيتنا لتاريخنا المعاصر. كنا نسخر — حتى نحن في حركات اليسار العربي المتطرّف — من نظريّة المؤامرة ومن الحديث عن الدور الإمبريالي وعن خطاب الحركة الوطنيّة الخشبي (بصورة منفّرة). لكن دور دول الغرب في حياتنا السياسيّة كان أكبر بكثير مما نظنّ، وهو متعاظم منذ 11 أيلول. وإعادة النظر في تاريخنا المعاصر ستحتاج إلى مراجعة نظرتنا بصورة خاصّة إلى دور بريطانيا في الشرق الأوسط. النظرة المعتادة تقول إن بريطانيا تلقّت صفعة مصريّة وأميركيّة في العدوان الثلاثي على مصر وأنها منذ ذلك الزمن تقاعدت عن العمل في منطقتنا، تاركةً الساحة بأكملها للاعب الأميركي كيف يفعل فيها ما يشاء (ببساطة يتحدّثون في الغرب عن «لعبة» وعن «لاعب» في حديثهم عن مصائر شعوب العالم الثالث وعن حروبهم ومؤامراتهم). بريطانيا خسرت مستعمراتها لكنها لم تفقد استعمارها بالعقليّة والتآمر. بريطانيا كانت حاضرة بقوّة في الحرب الأهليّة في عام 1958 في لبنان لأن كميل شمعون كان عزيزاً عليها (ومرتبطاً بها رسميّاً وسرّياً قبل سنوات من تبوّئه منصب الرئاسة حيث يرد في كتاب مئير زمير «الحرب الأنغلو-فرنسيّة السرّية في سوريا ولبنان، 1940-1948، أنه مع محسن البرازي كانا يقومان بأعمال سرّية لصالح الحكومة البريطانيّة — فتى بريطانيا الأغرّ).

وقبل سنتيْن، نشرت هذه الجريدة وثائق عن ضلوع ونشاط تجسّسي كبير لبريطانيا في لبنان، حيث اخترقت الحكومة البريطانيّة، عبر ستار شركات علاقات عامّة واستشارة، جمعيّات ومراكز ومؤسّسات رسميّة لبنانيّة من الشمال إلى الجنوب. وبريطانيا كانت شريكة في الحرب الأميركيّة على العراق، وتعتمد أميركا على بريطانيا في العمل الدعائي لأن أجهزة الاستخبارات البريطانيّة أشطر من الحكومة الأميركيّة في إعداد ناطقين باللغة العربيّة (كل الدول الأوروبيّة أفعل من أميركا في إعداد ناطقين باللغة العربيّة من غير الأصول العربيّة، خصوصاً أن الحكومات الغربيّة لا تثق إلا بالبيض في الأعمال الفائقة السرّيّة).

إن مناسبة هذا الحديث هي نشر جريدة «الغارديان» البريطانية وثائق رسميّة مفرجة عنها تتعلّق بمنطقتنا من خلال أبحاث المؤرّخ لعالم الاستخبارات الغربيّة، روري كورماك، في كتابه الذي سيصدر قريباً بعنوان «كيف تُجري انقلاباً: دروس عشرة أخرى من العالم السرّي للدول» (ولي عودة مفصّلة للكتاب بعد صدوره). الكتاب يتحدّث عن عمليّات «بروباغندا سوداء» عبر العقود في الدول النامية ضد، ليس فقط الاتحاد السوفياتي والصين، بل أيضاً ضد مجموعات تحريريّة وسياريّة («البروباغندا السوداء هي غير البروباغندا الرماديّة، إذ إن الأولى تهدف إلى نسب معلومات وأعمال إلى أعداء الطرف الذي ينتج البروباغندا). وتعترف التقارير بأن الحكومة البريطانيّة كانت تجنّد وتعيّن الرأي العام الإسلامي ضد الاتحاد السوفياتي ولم تكن تتورّع عن الترويج لحركات دينيّة محافظة، ولم تمتنع أيضاً عن دعم حركات رجعيّة ولو كانت تنطوي بخطاب كراهية ضد إسرائيل (من قال إن مصلحة إسرائيل تعلو على مصلحة الاستعمار الغربي عند حكومات الغرب؟).

والوثائق تغطّي حقبة الخمسينيّات حتى السبعينيّات من القرن الماضي. وهذه فترة مهمّة لأنها تدحض فكرة (روّجتها في ربوعنا بريطانيا نفسها) بأنها تراجعت في تغلغلها الاستخباراتي والسياسي في شؤوننا وأنها أخلت الساحة للدور الأميركي. ويقول المؤرّخ البريطاني الذي درس الوثائق إن «الحكومة البريطانية انخرطت في بروباغندا سوداء إلى درجة فاقت افتراضات المؤرّخين وأن هذه الجهود (الحكوميّة) كانت أكثر طموحاً وتنظيماً وهجوميّة (مما ظُنّ)، وأنها تجاوزت (مزاعم) كشف عمليّات تضليل الاتحاد السوفياتي» (من مقابلته مع «الغارديان»).

لقد أنشأت الحكومة البريطانيّة «قسم أبحاث المعلومات» لمواجهة هجوم الدعاية السوفياتية ضد بريطانيا، وأن نشاطها (حسب «الغارديان») قلّد نشاط عمليّات الدعاية التابعة للمخابرات الأميركيّة في زمن الحرب الباردة. وتذكّر «الغارديان» بكشف عمليات «قسم أبحاث المعلومات» في أندونيسيا في عام 1965، عندما شجّعت ورعت وحرّضت على ارتكاب المجازر ضد الشيوعيّين في البلاد (والتي ذهب ضحيّتها مئات الآلاف). وقامت الحكومة البريطانيّة بنسب كتيّباتها الدعائيّة (زوراً) إلى وطنيّين أندونيسيّين لإضفاء المصداقيّة (مع أن المؤلّفين كانوا موظّفين بريطانيّين). وعمل 360 شخصاً في «قسم أبحاث المعلومات» في أوج عمله في منتصف الستينيّات (الـ«بي. بي. سي» في تقرير من عام 2019 قدّرت عدد الذين عملوا في القسم بين 400 و600 حسب كتاب بول لاشمار في «حرب البروباغندا البريطانية السرّية») وتميّز «الغارديان» بين «وحدة التحرير الخاصّة» التي كانت فائقة السرّية وتوظّف أعداداً أقل وتختصّت في «جهود البروباغندا السوداء» وبين «مكتب أبحاث المعلومات». والهدف من كل هذه الأعمال (وهي تترافق مع جهود أخرى من دول أخرى مثل أميركا) هو التأثير على الرأي العام في دول أفريقيا والشرق الأوسط. وكانت تمدّ عدداً من الصحافيّين (المحليّين) بتقارير معتمدة على أجهزة الاستخبارات لكن معدّة بطريقة توحي بأنها تعتمد على مصادر ومحلّلين مستقلّين (وكانوا بإمرة «وحدة التحرير الخاصّة»).

ولم تتورّع تلك الأجهزة عن «تزوير بيانات لوكالات ومؤسّسات سوفياتيّة». ويرد في الوثائق أنه بين عامي 1965 و1972، زوّرت «وحدة التحرير الخاصّة» 11 بياناً (مزوّراً) لوكالة «نوفوستي» ونشرتها — حتى في الصحافة الغربيّة. وواحدة من هذه التزويرات تتحدّث عن غضب سوفياتي مزعوم نحو مصر لأن الحكومة المصرية بدّدت الأسلحة والمعدّات السوفياتيّة في حرب 1967. حاول وأنت تقرأ هذه المعلومات المؤكدة عن أكاذيب وأضاليل حكومات الغرب أن تقارن في ذهنك ما تقرأ في صحافة العرب اليوم عن إيران وعن كل حكومة تعاديها أميركا. تذكّر أن كل ما نقرأه من أخبار قتل عجيبة في كوريا الشمالية هو من صنع جهاز البروباغندا السوداء في كوريا الجنوبيّة. عندما قرأتُ عن هذه التزويرات لـ«قسم أبحاث المعلومات» تذكّرت عدد المرات التي أقرأ فيها في «الشرق الأوسط» (سعوديّة) و«القدس العربي» (قطريّة) «معلومات» عن غضب إيراني من سوريا وعن غضب سوري من إيران، وعن غضب روسي من سوريا وعن غضب سوري من روسيا وعن غضب روسي من حزب الله، ويمكن من دون انتظار وثائق الجزم بأن هذه الأخبار مزروعة من أجهزة تضليل غربيّة ومحليّة. هناك في كل صفحة في «الشرق الأوسط» نصف صفحة أحياناً أستشفّ منها أعمال بروباغندا سوداء مزروعة من أجهزة غربيّة في الصحافة العربيّة. وجهاد الخازن كشف (في لحظة تخلّ) أن رئيس جهاز الاستخبارات السعوديّة، تركي الفيصل، كان يمدّه بتقارير من جهازه وكان ينشرها في «الحياة» على أنها مقالات عاديّة. والحكومة الأميركيّة تعاقدت مع «مجموعة لينكلن» بعد 11 أيلول من أجل إعداد مقالات وتقارير عن العراق وعن غيره ونشرها في الصحافة العربيّة (المتعاونة) للتأثير على الرأي العام العربي (وتكون المقالات ممهورة بأسماء عربيّة مزوّرة). قلّ الاعتماد على الصحافة المكتوبة، على الأرجح، باستثناء «الشرق الأوسط» و«النهار» وغيرهما من صحف الرجعيّة التقليديّة. أصبحت الشاشات هي التي تعمل أميركا على التأثير عليها، وهذا يفسّر الإزدهار المالي للمحطات الثلاث في لبنان منذ الانهيار. وإلا ماذا يفسّر أنه بالرغم من شحّ أموال الإعلانات فإن المحطات الفاسدة الثلاث تتنعّم بالدولارات الطازجة؟ وتذكر الجريدة أن «وحدة التحرير الخاصة» أعدائها لتسميم العلاقات بينها وبين العرب (تفعل حكومات الغرب الشيء نفسه مع إيران، حيث يحظى تصريح إيراني واحد بعمليات ترويج هائلة بعد تزوير الأصل في الكثير من الأحيان — طبعاً، هناك تصريحات غبيّة لبعض المسؤولين الإيرانيّين أحياناً).

واختلقت «وحدة التحرير الخاصّة» منظمة إسلاميّة وهميّة سمّتها «رابطة المؤمنين» ونسبت إليها هجاء للروس وغير المؤمنين

(المرسوما - المكسيك)

> إن مناسبة هذا الحديث هي نشر جريدة «الغارديان» البريطانية وثائق رسميّة مفرجة عنها تتعلّق بمنطقتنا من خلال أبحاث المؤرّخ لعالم الاستخبارات الغربيّة روري كورماك

> جهاد الخازن كشف (في لحظة تخلّ) أن رئيس جهاز الاستخبارات السعوديّة، تركي الفيصل، كان يمدّه بتقارير من جهازه وكان ينشرها في «الحياة» على أنها مقالات عاديّة

وهي «لامت الهزائم العربيّة على النقص في الإيمان». ويغطّي الصهيوني اللبناني، فؤاد عجمي، في كتابه «المحنة العربيّة» عن الثقافة السياسيّة العربيّة بعد حرب 1967 تنامي أصوات الدعوة إلى العودة إلى الدين والتديّن كحلّ لمشاكل العالم العربي وللتعامل مع الخطر الصهيوني. ها نحن نعلم اليوم أن تلك الأصوات، التي بلغت الذروة في العصر الساداتي عندما أطلق السادات على نفسه لقب «الرئيس المؤمن»، كانت إمّا مُختلقة أو مرعيّة من قبل حكومات الغرب. أطلق السادات، وبالتأكيد بتشجيع من حكومات الغرب وأجهزة استخباراتها ودعايتها، العنان للحركات الدينيّة المترمّتة لأنها كانت خير ردّ على نفوذ وشعبيّة اليسار والقوميّين العرب في حينه. ودور السادات، الذي كان بالتأكيد ينسّق بروباغندا نظامه مع حكومات الغرب، كان بالغ التأثير. السادات كان أبرع في البروباغندا من النظام الناصري نفسه. السادات استعان بـ«الإخوان» وصنّع أول داعية تلفزيوني بشخص محمد متولي شعراوي. محمد متولّي شعراوي (الذي عمل لسنوات في السعوديّة قبل عودته إلى مصر) سجد شكراً لهزيمة مصر في حرب 1967. والعلاقة بين خطاب الدين والتديّن وبين مؤامرات الغرب لم تعد محض تحليل نظري لا يعتمد على وثائق منشورة. المشكلة أننا لم نتبنّه — والنظام الناصري لم يتبنّه بما فيه الكفاية — إلى حجم التآمر الغربي عبر المنظمات الدينيّة السياسيّة. عبد الناصر كان مسالماً مع «الإخوان»، خلافاً لما أشيع. قارنوا كيف تعاملت الإمارات مع «الإخوان» في السنوات الأخيرة حيث حاربتهم في كل العالم وكيف حاربهم عبد الناصر.

ويعترف خبير بريطاني أن حدّة العداء البريطاني للاتحاد السوفياتي واليسار بلغت الحدّ الذي قبلت فيه أجهزة الدعاية البريطانية بأن تتضمّن مُنتجاتها الدعائيّة خطاباً معادياً لإسرائيل من أجل إضفاء طابع المصداقيّة على الأدبيّات البريطانية باللغة العربيّة. واختلق «قسم أبحاث المعلومات» بياناً زوّره باسم «الإخوان» (هل بعلم «الإخوان» أم من دون علمهم؟) وفيه هاجم «الإخوان» الحكومة المصريّة لاستعمال «السلاح الكيميائي» ضد المحافظين الدينيّين في الحرب في اليمن (كان أعداء عبد الناصر في اليمن مدعومين من بريطانيا والسعودية وإسرائيل ودول الرجعيّة العربيّة). وبيانات أخرى لـ«القسم» برّأت «الصهاينة اليهود» من التسبّب بالهزيمة ولقّت باللوم على «المصريّين الذين يُفترض أن يكونوا مؤمنين». وحاولت «الغارديان» في تقريرها عن الوثائقي أن تنفي صفة الكذب والاختلاق عن المُنتج الدعائي عبر القول إن مضامين البيانات لم تكن كاذبة، لكن ذلك يحتاج إلى تدقيق وتمحيص خصوصاً أن مضامين الدعاية الغربيّة لم تكن يوماً تلتزم بضوابط أخلاقيّة أو بمعايير الحقيقة. والحكومة المصريّة نفت في حينه استعمال السلاح الكيميائي ودعت الأمم المتحدة إلى إجراء تحقيق ميداني لكن الأمين العام لم يقبل الدعوة. ومزاعم الخبير البريطاني الذي استعانت به «الغارديان» حول أن البروباغندا البريطانية لم تكن تهدف إلا إلى جرّ الحكومة المصريّة للقبول بوقف إطلاق النار لا يمكن تصديقه. حكومات بريطانيا وأميركا وإسرائيل (حلفاء السعودية في الحرب) لم تكن في وارد وقف الحرب من دون إذلال عبد الناصر (وهذا السيناريو لا يختلف عن دور نفس تلك الدول في دعم السعوديّة في الحرب في اليمن حالياً). الحرب اليمنيّة كانت تكملة للعدوان الثلاثي على مصر.

وتدخّلت الأكاذيب البريطانيّة في تسعير الخلاف الصيني الروسي في إنتاج بيانات بالعربيّة تنتقد فيه الدعم المحدود الذي كان الاتحاد السوفياتي يقدّمه لفصائل المقاومة الفلسطينيّة مقابل الدعم الصيني (في أواخر الستينيّات وأوائل السبعينيّات لم يرتح الاتحاد السوفياتي لبروز حركات المقاومة لأنه خشي من جرّه إلى مواجهة مع أميركا كما أن الأهداف الطموحة لتلك الفصائل تناقضت مع الرؤية التسووية للاتحاد السوفياتي للصراع العربي-الإسرائيلي). وقبول الجبهة الشعبيّة والديموقراطية للدعم والرعاية السوفياتية جاء بالمحصّلة على حساب المواقف الجذريّة. الجبهة الشعبيّة فصلت وديع حدّاد بأمر من الاتحاد السوفياتي، مع أن جهاز الاستخبارات السوفياتي حافظ على علاقة سرّية مع حدّاد حسب ما روى لي مسؤول رفيع في الجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين نقلاً عن حوار بينه وبين وديع حداد — ويتحدّث «أرشيف منرتوخين» عن تلك العلاقة لكن مضمون الأرشيف، كما رويتُ من قبل، مشكوك فيه.

وجريدة «الغارديان»، في تغطيتها لتلك الوثائق، حاولت أن تخفّف من صدمة خطورة الجرائم البريطانية في الكذب والتضليل. مثلاً، كانت الحكومة البريطانية عبر «قسم أبحاث المعلومات» (أي مطبخ الكذب والأضاليل) تنسب أقوالاً عنصريّة إلى منظّمات متحالفة مع موسكو. في عام 1963 نسب بيان مزوّر، من المطبخ المذكور، كلاماً عنصريّاً إلى «الفيدرالية العالمية للشباب الديموقراطي» (وكان لها فرع في لبنان) تضمّن إدانة للأفارقة كـ«متخلّفين» وسقيمين خلقيّاً. وتعترف «الغارديان» بأن البيانات العنصريّة المزوّرة تلك لقيت صدى كبيراً ورواجاً وتداولاً في القارة الأفريقيّة. وهناك بيان منحول آخر تحدّث عن «تخلّف» و«عدم النضج السياسي» لأفريقيا، ونسب الجهاز السرّي البريطاني البيان إلى وكالة «نوفوستي». والبيان لا مستوى النتاج الأكاديمي لجامعة باتريس لومومبا في موسكو على الطلاب الأفارقة (أذكر وأنا أحضر صفّاً عن السياسة الخارجية للاتحاد السوفياتي في جامعة جورج تاون، للخبيرة أنجيلا ستنت — وعملت مستشارة لريغان لشؤون الاتحاد السوفياتي — أنها تحدّثت لنا عن عنصريّة الاتحاد السوفياتي نحو الطلبة الأفارقة، ولعلّها كانت تستشهد بالبيانات المزوّرة التي صنّعها «قسم أبحاث المعلومات» البريطاني). وأرسل المكتب المذكور أكثر من 1000 نسخة عن البيان المزوّر لعناوين في مختلف بلدان العالم النامي.

ويجزم خبير بريطاني في أن المسؤولين البريطانيّين كانوا على علم بما يجري في عمل المكتب السرّي.

لا نشكّ في علم المسؤولين البريطانيّين على مستوى رفيع لأن هناك وثيقة يأمر فيها رئيس حكومة بريطانيا في عام 1964، آلك دوغلاس هيوم، «قسم أبحاث المعلومات» باستهداف كوامي نكروما، الذي كان هدفاً لمؤامرات الغرب. وقد عمل وزير الخارجية العمّالي في الستينيّات، باترك وولكر، على إثارة النعرات العنصريّة بين الأفارقة والصينيّين. وهناك من لا يزال يشكك في بلادنا أن إثارة النعرات الطائفيّة بين العرب هو عمل إسرائيلي ودول الغرب مع أن لدينا وثيقة من العشرينيّات من القرن الماضي وفيها يتلقّى حاييم وايزمان خطط الوكالة اليهوديّة لإثارة الشقاق بين الفلسطينيّين المسيحيّين والمسلمين.

والحكم على نتائج هذه التزويرات يرد في الوثائق. لعل واحدة تزهو بنجاح الأضاليل عندما تذكر أن جريدة في زنجبار نشرت واحداً من البيانات المزوّرة (المنسوبة إلى الاتحاد السوفياتي) عن عنصريّة روسيّة وأن ذلك تسبّب بردود فعل غاضبة. «كان ذلك يُعتبر إنجازاً مهماً»، تقول «الغارديان». وسُرّ المسؤولون عندما نشرت الصحافة الكينيّة موادّ مزوّرة (من «قسم أبحاث المعلومات») عن حرب 1967 معتمدة على نشرة مزوّرة لوكالة «نوفوستي». وتعترف «الغارديان» غرضاً أن الصحف الغربيّة نشرت «أحياناً» مواد من «قسم أبحاث المعلومات». تمّ إغلاق «قسم أبحاث المعلومات» في عام 1977، لكن للحفاظ على السرّية وعلى القدرة الرسمية على النفي تعتمد حكومات الغرب اليوم في نسج الأكاذيب والأضاليل على مكاتب متعاقدة وإعلام محلّي للترويج لبروباغندا الغرب (كم نحتاج إلى مزيد من المعلومات عن عقود بيار الضاهر مع الحكومة الأميركية بعد غزو العراق والترويج للغزو وإعداد صحافيّين مطيعين هناك).

ويرد في وثيقة أُفرج عنها في عام 1996 (موجودة في كتاب لإشمار الوارد أعلاه، «حرب البروباغندا البريطانية السرّية») كيف أن الحكومة البريطانيّة بذلت جهوداً كبيرة لاستعمال أعمال جورج أورويل في العمل الدعائي ضد الشيوعيّة. ودعت الحكومة البريطانية إلى ترجمة أعمال أورويل إلى لغات عديدة. ودعت الحكومة البريطانيّة إلى ترجمة «مزرعة الحيوان» إلى العربيّة لأن الخنازير والكلاب نجسة عند المسلمين (ص. 96 من الكتاب). وتم التنسيق لنشر الكتاب في مصر. وبحث «قسم أبحاث المعلومات» مع جورج أورويل شخصياً في اختيار ناشر لكتب معادية للشيوعيّة واستحسن أورويل (الذي يرد اسمه كثيراً في الصفحات العربيّة على المواقع، لكن بالمجّان حتماً) ناشراً ذا ميول يسارية لإضفاء مصداقية. لكن أورويل اقترح ناشراً يسارياً مفيداً لكنّه حذّر من أنه مشغول بانكبة الشعب الفلسطيني ونصح بالاستعانة به كي «يبعد عن ذهنه» (الاهتمام بالقضيّة الفلسطينيّة). ويقول عبده وازن، في مقالة في جريدة الـ«إندبندنت» السعوديّة، إن هناك ست عشرة ترجمة عربيّة لـ«مزرعة الحيوان» بدءاً من عام 1951. ويضيف أنه صدرت ست ترجمات عربيّة جديدة للكتاب نفسه بين عامي 2019 و2020. هذا العدد الكبير للترجمات في عصر القحط في النشر العربي يعكس أدواراً خارجيّة، على الأرجح. غير معقول هذا العدد الكبير من الترجمات وهناك بيان منحول آخر تحدّث عن «تخلّف» و«عدم النضج السياسي» لأفريقيا، ونسب الجهاز السرّي البريطاني البيان إلى وكالة «نوفوستي». والبيان لا مستوى النتاج الأكاديمي لجامعة باتريس لومومبا في موسكو على الطلاب الأفارقة (أذكر وأنا أحضر صفّاً عن السياسة الخارجية للاتحاد السوفياتي في جامعة جورج تاون، للخبيرة أنجيلا ستنت — وعملت مستشارة لريغان لشؤون الاتحاد السوفياتي — أنها تحدّثت لنا عن عنصريّة الاتحاد السوفياتي نحو الطلبة الأفارقة، ولعلّها كانت تستشهد بالبيانات المزوّرة التي صنّعها «قسم أبحاث المعلومات» البريطاني). وأرسل المكتب المذكور أكثر من 1000 نسخة عن البيان المزوّر لعناوين في مختلف بلدان العالم النامي.

* كاتب عربي ـ حسابه على تويتر @asadabukhalil

التدليك الدولي لإسرائيل

محمد سيد رصاص *

لا توجد دولة في التاريخ الحديث انبنت على وعد من دولة معينة بأن تقوم بإنشائها على أرض الآخرين سوى دولة إسرائيل. رغم اشتعال الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في شهر آذار 1947 فقد اتحدا في توليد قرار تقسيم فلسطين بعد ثمانية أشهر في مبنى الجمعية العامة للأمم المتحدة، ثم تسابقا للاعتراف بدولة إسرائيل بعد إعلان ديفيد بن غوريون قيامها في عصر يوم الجمعة 14 أيار 1948، وقد تغاضيا عن تجاوزها في حرب 1948 لحدود الدولة اليهودية في فلسطين التي حددها قرار التقسيم. «دولة إسرائيل» هي الدولة الوحيدة في تاريخ هيئة الأمم المتحدة التي تحتل أراضي لدول أخرى معترف بحدودها من المنظمة الدولية مع سكوت عملي دولي أصبح عمره 55 عاماً، وهي قد تسببت عبر قيامها في عام 1948 في تشريد ملايين الفلسطينيين من أرضهم، وهي الدولة الوحيدة التي تضم أراضي من دول أخرى تحتلها وسط سكوت دولي عملي ولو تغطى هذا بقرارات إدانة هي أقرب للسيلوفان الرقيق. إسرائيل هي أكثر دولة قامت بغارات جوية على دول بعيدة وصلت للعراق وتونس، وهي أكثر دولة قامت بعمليات اغتيال في دول أخرى أو بخطف أشخاص من هنا أو هناك. هي دولة يتم غض البصر الدولي عن امتلاكها المعروف للسلاح النووي.

يجب البحث عن أسباب هذه المعاملة التفضيلية التي لم تحظ بها دولة ثانية في العالم. يمكن هنا التنقيب، وربما يكون تنقيباً مثل الذي يجري في باطن الأرض، من حيث أن هناك تاريخاً سياسياً مليئاً بالألغاز، ولم تفك شيفرته بعد، أو لا توجد وثائق توضحه أو تجزم به أو توثقه. مثل ما يقال عن أن ثمن وعد بلفور في 2 تشرين الثاني 1917 قد دفعته المنظمة الصهيونية العالمية للندن عبر الضغط من خلال اللوبي اليهودي الأميركي لدخول واشنطن في الحرب العالمية الأولى في نيسان1917 بوقت كانت التوازنات العسكرية تميل لمصلحة الألمان ضد البريطانيين والفرنسيين. وعن أن موافقة ستالين المفاجئة والمناقضة للتفكير البلشفي على قرار التقسيم سببها المساعدة الصهيونية في تسليم موسكو أسرار القنبلة الذرية الأميركية التي تفردت بامتلاكها واشنطن في عام 1945. وعن أن سماح موسكو بالنصف الثاني من عقد الثمانينيات بفتح باب هجرة اليهود السوفيات، وهو ما قاومه ومنعه ستالين وخروتشوف وبريجنيف وأندروبوف وتشيرنينكو، كان بسبب تسليم تل أبيب للسوفيات أسرار «مبادرة الدفاع الاستراتيجية»، المعروفة باسم «حرب النجوم»، والتي أعلنها الرئيس الأميركي رونالد ريغان في آذار 1983، والتي كسرت معادلة الفناء النووي المتبادل التي انبنت عليها الحرب الباردة منذ وصول موسكو للقنبلة الذرية عام 1949 ثم الهيدروجينية عام 1952، وأن هذا هو السبب الذي دفع وقتها وزير الدفاع الأميركي كاسبر واينبرغر للقول من الجاسوس الإسرائيلي في واشنطن جوناثان بولارد بأنه قد «تسبب بأضرار استراتيجية بالغة على الأمن القومي الأميركي».

طبعاً، هنا يمكن أيضاً البحث عن الأسباب التي تلمس، أو هي ظاهرة وجلية، لهذه المعاملة التفضيلية، غير تلك التي ما زالت خفية أو شبه خفية، المشار لها أعلاه، مثل القصد الضمني البريطاني من وعد بلفور في زرع دولة يهودية بمحيط إسلامي تعرف لندن، وهي الخبيرة بزرع الألغام والقنابل اللاحقة الانفجار، بأنه سيقود عاجلاً أو آجلاً إلى حرب دينية وإلى ضعف أي تيار علماني أو ليبرالي أو يساري بالمنطقة، تماماً كما فعلت عبر تقسيم شبه القارة الهندية عام 1947 بين دولتي الهند وباكستان لما قاد هذا إلى حروب أخذت شكل حروب هندوسية-إسلامية بين الدولتين وأنشأت اضطراباً طائفياً بين الهندوس والمسلمين أصبح عمره ثلاثة أرباع القرن في الدولة الهندية. هذا المخفر اليهودي المزروع بالمنطقة، الذي اسمه «دولة إسرائيل»، استعملته بريطانيا وفرنسا في حرب 1956 ضد الرئيس جمال عبد الناصر، ثم استعملته واشنطن بدورها في حرب 1967 ضد عبد الناصر ثانية، ثم كررت واشنطن استعماله لضرب المفاعل النووي العراقي عام 1981 ومن أجل إخراج منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان عبر اجتياح صيف 1982.

خابت آمال ستالين رغم مساعداته العسكرية عبر الأسلحة التشيكية للدولة الوليدة في حرب 1948 في أن تكون إسرائيل بوابة الكرملين إلى الشرق الأوسط، وهو ما دفعه منذ أوائل عام 1949 لشن حملته ضد «النزعة الكوزموبوليتية المقلوعة الجذور» التي شملت مسؤولين وكتاباً يهوداً سوفياتاً وصلت لإعدام بعضهم، مثل سولومون لوزوفسكي، نائب سابق لوزير الخارجية ومدير مكتب المعلومات ورئيس قسم العلاقات الدولية في المدرسة الحزبية العليا، ومثل الشاعر بيريز ماركيش. بالمقابل، كان «الموساد» الإسرائيلي المصدر الرئيسي لوكالة الاستخبارات المركزية (CIA) في المعلومات عن الاتحاد السوفياتي ودول الكتلة السوفياتية، وقد ظهر هذا علناً وبشكل مثير في شباط 1956 لمّا نشرت صحيفة «نيويورك تايمز» نص التقرير السري الذي ألقاه خروتشوف في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي وانتقد فيه «عبادة الفرد» عند ستالين، وهو تقرير لم يسمح للضيوف في المؤتمر من الأحزاب الشيوعية العالمية بالحضور أثناء إلقائه.

على الأرجح، أنه قد ضعفت أهمّية إسرائيل عند الغرب الأميركي-الأوروبي بعد انتهاء الحرب الباردة في خريف عام 1989، ومن ثم مجيء واشنطن وحضورها العسكري المباشر عبر حربي 1991 و2003، كما أن الآذن الصماء التي مارسها أوباما عام 2015 (ويمارسها بايدن الآن) تجاه اعتراضات إسرائيل على الاتفاق النووي بين واشنطن وطهران توحي بمقدار كبير من نقصان أهمية المخفر اليهودي عند البيت الأبيض، كما أن من المرجح أن فشل تل أبيب في حرب تموز 2006 بلبنان وفي حروب غزة 2008-2009 و2012 و2014 و2021 قد قلل من أهمية إسرائيل عند الغرب الأميركي-الأوروبي.

رغم هذا، ما زال التدليل الدولي لدولة إسرائيل مستمراً.

* كاتب سوري

على الغلاف

تتعالى التحذيرات الغربية من مجاعة تتهدّد العالم، نتيجة نقص إمدادات الغذاء، والذي تحمّل الولايات المتحدة وحلفاؤها روسيا المسؤولية عنه، بفعل «عرقلتها الصادرات الزراعية الأوكرانية»، في إطار حربها المستمرّة على البلد الجار، على أن هذه التحذيرات، والتي لا تخلو من وجْه مبالغة وفق ما تعتقد موسكو، لا تعدو كونها محاولة لشرح الواقع بطريقة مبسّطة ومختزلة، بعيداً عن كلّ التعقيدات الاقتصادية التي اجتاحت العالم منذ عام 2019. وفي هذا الإطار، تقدّم روسيا رواية مغايرة لما يجري، مدافعة عن نفسها بسوْق جملة أسباب جوهرية للوضع الحالي، تبدأ من السياسات المتّبعة بوجه تفشّي فيروس «كورونا»، ولا تنتهي بحزْم العقوبات المتواصلة ضدّها، والتي طالت قطاعات شديدة الحيوية في بلد يُعدّ منتجاً رئيساً للحبوب. وانطلاقاً من ذلك، لا تتردّد موسكو في اتّهام الغرب بأنه هو «مَن حكم على العالم بالمجاعة»، معتبرةً أن «التهويل» الغربي لا ينحدر من «شفقة» الرجل الأبيض على فقراء العالم وتحديداً الأفارقة منهم، وأبعد من الخوف، الأوروبي خصوصاً، مما ينتظر دول الاتحاد في الخريف المقبل

شبح مجاعة عالمية

روسيا للغرب: وقف الكارثة بأيديكم

موسكو - **الأخبار**

لم تَعُد تطوّرات الميدان في أوكرانيا هي المهمّ الرئيس الذي يشغل العالم اليوم، بل تداعيات هذه الحرب على إمدادات الغذاء، في ظلّ ما يحوزه البلدان المتحاربان من مكانة في سوق الغذاء العالمي، باعتبارهما منتجَين رئيسَين للحبوب، يشكّلان معاً حوالى 30% من صادرات القمح العالمية، و20% من صادرات الذرة. وقبل أن ينقضي شهر على الحرب الروسية في أوكرانيا، أعلنت «منظّمة الأغذية والزراعة» التابعة للأمم المتحدة (الفاو)، في آذار الماضي، أن الأسعار العالمية للأغذية والأعلاف قد ترتفع بما يُراوح بين 8% و20% نتيجة الحرب، ما سيؤدّي إلى قفزة في عدد الأشخاص الذين يعانون من سوء التغذية في شتّى أنحاء العالم. كذلك، أعلنت الأمم المتحدة أن أسعار المواد الغذائية العالمية ارتفعت بنسبة 30% تقريباً، عمّا كانت عليه في الفترة نفسها من عام 2021، محذّرة من أن نحو 15 مليون إنسان في أفريقيا مهدّدون بخطر المجاعة، فيما نبّه الأمين العام للمنظّمة الدولية، أنطونيو غوتيريش، إلى «خطر مجاعة عالمية تستمرّ لسنوات».

استغلّ الغرب خروج كلّ تلك التحذيرات لتحميل روسيا مسؤولية «المجاعة القادمة»، وارتفاع الأسعار في أسواق الغذاء العالمية. وقد ارجعت «مجموعة السبع»، مثلاً، ما يحصل إلى «عرقلة موسكو للصادرات الزراعية الأوكرانية»، متوعّدة بالردّ على «حرب القمح» التي يخوضها الروس. في المقابل، تُقدّم روسيا رواية مغايرة لما يجري، مفنّدة الاتهامات التي تطالها بشأن مسؤوليتها عن الأزمة. وتُدافع موسكو بأن سياسة العقوبات التي طالتها تُعتبر من الأسباب الجوهرية للوضع الحالي، خاصة وأن العقوبات طالت سوق الأسمدة الروسية ومن قبْلها البيلاروسية، وهذا ما يؤثّر بشكل مباشر على الزراعة في دول العالم أجمع، علماً أن روسيا وبيلاروسيا أنتجتا في 2021 أكثر من 40% من الصادرات العالمية من البوتاسيوم، الذي يمثّل واحداً من ثلاثة مغذّيات أساسية تُستخدم لتعزيز إنتاج المحاصيل الزراعية. كذلك، استحوذت روسيا على حوالى 22% من الصادرات العالمية من الأمونيا، و14% من صادرات العالم من اليوريا، وحوالى 14% من فوسفات الأمونيوم الأحادي، وجميع هذه المواد تُعتبر من المواد الرئيسة للأسمدة. أيضاً، أثّرت العقوبات على التعاملات التجارية مع الخارج، خاصة بعد تجميد الاحتياطات الدولية لروسيا، وإحجام دول عدّة عن القيام بتبادل تجاري مع موسكو مخافةَ تعرّضها لعقوبات أميركية.

بناءً على ما تَقدّم، أكد الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، في محادثة هاتفية مع رئيس الوزراء الإيطالي، ماريو دراغي، استعداد بلاده لتصدير الحبوب والأسمدة إذا رُفعت عنها العقوبات. ووفقاً لبيان الكرملين، فقد أوضح بوتين أن الصعوبات التي نشأت أخيراً، تتعلّق، من بين أمور أخرى، باضطرابات في تشغيل سلاسل الإنتاج واللوجستيات، وكذلك بالسياسة المالية للدول الغربية خلال أزمة فيروس «كورونا».

> **أكد بوتين استعداد بلاده لتصدير الحبوب والأسمدة شرط رفع العقوبات عنها**

بالإضافة إلى «القيود المعادية من قِبَل الدول (اشترت الصين 60% من الحبوب في العالم خلال العامين الماضيَين)، والمخاوف من حدوث نقص نتيجة العوامل الطبيعية، وهو ما بدأ يتأكّد يوماً بعد آخر مع إعلان العديد من الدول تراجُع محاصيلها الزراعية نتيجة الجفاف، مثل الصين والهند، والآن بسبب التوتّرات الجيوسياسية.

أمّا بشأن اتّهام روسيا بالتسبّب بإعاقة إمدادات القمح والمواد الغذائية من أوكرانيا، فتردّ موسكو بأن كييف هي التي تسبّبت بتعثّر نقْل البضائع الأوكرانية عبر البحر، بعد أن قامت بزرع ألغام مقابل مرافئها، في ماريوبول وخيرسون وأوديسا وبردايانسك وسكادوفسك. وفي هذا الإطار، فنّد بوتين لرئيس الوزراء الإيطالي الخطوات المتّخذة لضمان سلامة الملاحة، «بما فيها وتشكيل احتياطيات استراتيجية

تقول موسكو إن كييف هي التي تسبّبت بتعثّر نقل البضائع الأوكرانية عبر البحر بعد أن قامت بزرع الغام مقابل مرافئها (أ ف ب)

فتح ممرّات إنسانية يومية لخروج السفن المدنية من موانئ أزوف والبحر الأسود، الأمر الذي يعيقه الجانب الأوكراني». بدورها، أبدت وزارة الخارجية الروسية استعداد موسكو لتوفير ممرّات إنسانية لفكّ الحصار المفروض على الموانئ الأوكرانية، «لكن على كييف أولاً أن تنزع الألغام التي زرعتها». كما أعلنت الوزارة أن 5 سفن أجنبية تمكّنت من مغادرة ميناء ماريوبول بعد أن قام خبراء الألغام الروس بتطهيره من الألغام.

من جهته، أكد رئيس اتّحاد منتجي الحبوب الروسي، أركادي زلوشفسكي، أن بلاده «لم تفرض أيّ قيود على توريد البضائع الأوكرانية. لقد قاموا هم أنفسهم بتفخيخ موانئهم ويضطرّون الآن إلى إرسال الحبوب بالسكك الحديدية بوتيرة أبطأ بكثير». ولفت زلوشفسكي إلى أن «25 مليون طن من الحبوب المحجوزة في موانئ الأوكرانية لن تساعد في حلّ أزمة الغذاء أو تحسين الوضع المالي للدول الأوروبية». وبحسب الخبراء الروس، فإن أوكرانيا توفّر 9,2% فقط من الاستهلاك العالمي السنوي من الحبوب، والبالغ نحو 440 مليون طنّ، 4% منها تذهب إلى أوروبا. ويوضح الخبراء أن هذا الرقم لا يشكّل «ثقلاً استراتيجياً في أوروبا، ولا بالنسبة للولايات المتحدة»، كما يبيّنون أن الإجراءات التي اتّخذتها دول مثل الهند وإندونيسيا بحظر توريد القمح وزيت النخيل تسبّبت أيضاً في رفع أسعار الغذاء عالمياً، فيما كان لتصاعد أسعار الغاز والنفط دور مباشر في ما يحصل نتيجة ارتفاع تكلفة الإنتاج الزراعي عالمياً.

وعلى رغم كلّ ما تَقدّم، يعتقد رئيس اتحاد منتجي الحبوب الروسي، أركادي زلوشفسكي، أن «الحديث عن أزمة الغذاء هو مجرّد تهويل»، معتبراً أن «الادّعاءات بأننا في خطر المجاعة العالمية لا أساس لها من الصحة، لأنه لا يوجد نقص في الموارد الغذائية». ويستدلّ زلوشفسكي على ذلك بأنه «على رغم انخفاض مخزون الحبوب حالياً، إلّا أنه ليس بمستوى ما حصل عام 2008، الذي شهد أدنى مستوى من المخزونات عالمياً». ويشير إلى أنه من المتوقّع أن يكون نقص الحبوب في أسواق التصدير هذا العام عند مستوى 20-25 مليون طنّ، وهو ما سيكون تأثيره أكبر على البلدان الفقيرة. أمّا بشأن التحذيرات الغربية من مجاعة قادمة، فيقول الخبراء الروس إنه يمكن للمصدّرَين الرئيسيَين الآخرين إنقاذ السوق العالمية من انهيار الحبوب، مثل الولايات المتحدة (تنتج 26 مليون طن)، كندا (25 مليون طن، أو ما يقرب من 12,4% من الصادرات العالمية)، فرنسا (19 مليون طن)، ألمانيا (9,2 مليون طن). ويرى الخبراء أن «هذه الدول تستعمل ورقة المجاعة لضرب صورة روسيا في العالم، وليس شفقة منها على ما قد يحصل في الدول الفقيرة وخاصة في أفريقيا»، متّهمين الأطراف الغربية بأنها «غير مستعدّة لمشاركة مخزونها من الحبوب مع المحتاجين، وستتناسى الجياع في العالم، لأنها ستعطي الأولوية لأمنها الغذائي فقط».

موسكو تحسّن أداءها: تقدّم متسارع شرقاً

موسكو - **أحمد الحاج علي**

واصلت قوات «جمهورية دونيتسك الشعبية»، مدعومةً من القوات الروسية، تقدّمها في الشرق الأوكراني، بانتزاعها مناطق جديدة هناك. وأعلن مقرّ الدفاع الإقليمي لـ«الجمهورية» سيطرة تلك القوات على كامل مدينة «كراسني ليمان» (الاسم القديم لليمان)، الأمر الذي سيكون له تأثيره الحاسم على مجريات المعارك. ووفقاً للخبراء الروس، تُعدّ ليمان، التي يقطنها حوالى 25 ألف شخص، تقاطعاً مهمّاً لسكك الحديد، يقود إلى مدينة سلوفيانسك، التي كانت استعادتها كييف من المقاتلين الموالين لروسيا عام 2014، وأيضاً كراماتورسك، عاصمة الجزء الخاضع لسيطرة أوكرانيا من منطقة دونيتسك. كما أن المدينة تقع على مفترق طرق رئيس يصل مناطق كونستانتينوفكا، أفدييفكا، وسيليدوفا، باتّجاه مدينة دنيبرو الأوكرانية، ما يعني أن معركة السيطرة على دنيبرو باتت أقرب. ومع بدء القوات الروسية هجوماً من ثلاث جهات على الجيش الأوكراني في سيفيرودونتسك وليسيتشانسك، في محاولة لتطويقه، تكون قد بدأت عملية انتزاع هاتَين المدينتَين، اللتين يسقوطهما، ستُضحي منطقة لوغانسك في إقليم دونباس بالكامل تقريباً في أيدي الروس، وفق ما أقرّت به القوات الأوكرانية نفسها.

وجرت السيطرة على ليمان، البلدة المحصّنة جيّداً، وفق خطّة روسية ثبتت نجاعتها وسرعتها (أنجزت خلال يومين ونصف يوم)، علماً أن التكتيكات التي استخدمتها القوات الأوكرانية هناك، كانت شبيهة بتلك التي اعتمدتها سابقاً في ماريوبول، التي صمدت فترة طويلة نسبياً قبل السيطرة الروسية الكاملة عليها. وفي اليوم الأول، أحكمت القوات الخاصة الروسية السيطرة على الأبنية المرتفعة في المدينة، بعدما استغرقت هذه المهمّة في ماريوبول وبابا‌سانيا أكثر من أسبوع. وعلى إثر ذلك، بات الشغل الشاغل للقوات الأوكرانية التخطيط للانسحاب، ولذا انتهجت القوات الروسية و«الشعبية» تكتيك الإبقاء على ممرّ يسمح للخصم بالفرار، مع أنه كان بمقدورها، وهي التي حاصرت ليمان من ثلاثة اتّجاهات، أن تقطع هذا الممرّ، وتُصعّب على الأوكران عملية الهروب. ولم تقتصر وجوه نجاعة الخطّة الروسية على إنجازها خلال وقت قياسي، بل وأيضاً من دون إلحاق دمار كبير بمتْنات المدينة وبنيتها التحتية والعمرانية.

في غضون ذلك، تُواصل روسيا إلحاق المدن و البلدات الداخلة في سيطرتها حديثاً في دونباس، بالمنظومة الخدماتية الروسية، وهو ما ينسحب أيضاً على المدن والمناطق الأوكرانية الواقعة خارج الإقليم، والتي تَدخل ضمن شريط تأمين الحدود الغربية والجنوبية الغربية الروسية، وأيضاً تأمين دونباس، وحماية الممرّات الحيوية للوصول برّاً إلى شبه جزيرة القرم ومنطقة ترانسنيستريا في مولدوفا. وعلى طريق تحقيق ذلك الهدف، سيكون على روسيا، في المرحلة القادمة، استكمال السيطرة على خاركوف ومحيطها في الشمال الشرقي، وزاباروجيا ونيكولايف جنوباً، والوصول عبر أوديسا إلى ترانسنيستريا. وفي هذا الإطار، بدت لافتة، أمس، دعوة عضو المجلس الرئيسي للإدارة العسكرية والمدنية لمنطقة زابا‌روجيا، فلاديمير روجوف، كييف إلى نقل القواعد العسكرية الأوكرانية المتمركزة في المنطقة إلى سلطة روسيا. وبحسب وسائل إعلام أوكرانية، فإن الجيش الروسي ينقل أعداداً من القوات البرّية والبحرية والجوية من القرم باتّجاه المدينة.

تواصل روسيا إلحاق المدن و البلدات الداخلة في سيطرتها حديثاً في دونباس، بالمنظومة الخدماتية الروسية (أ ف ب)

المقابلة

أجرتها: **لينا كنوش**

يتحدّث أوليفييه دوجاردان، الباحث في «المعهد الفرنسي للأبحاث حول الاستخبارات»، والذي عمل كخبير في الحرب الإلكترونية وأنظمة الرادار في الجيش الفرنسي، في حوار مع «الأخبار»، حول مآلات الحرب الروسية - الأوكرانية، ونتائج الدعم الغربي المتواصل لكييف. وإذ يُعرب عن اعتقاده بأن استعادة الأراضي الخاضعة لسيطرة الروس «ضرب من الوهم»، فهو يشكّك في إمكانية استمرار عمليات التسليح الغربية للجيش الأوكراني، معتبراً أن روسيا في وضع متفوّق لناحية القدرة على المضيّ قُدُماً في المعركة

الباحث الفرنسي

أوليفييه دوجاردان

- **استعادة الأراضي الخاضعة لسيطرة الروس ضرب من الوهم**
- **الغرب لن يستطيع إمداد أوكرانيا بالأسلحة إلى ما لا نهاية**

■ تعتقد الإدارتان الأميركية والبريطانية بإمكانية انتصار أوكرانيا في الحرب الدائرة مع روسيا، ويجد هذا الموقف صدى واسعاً في وسائل الإعلام الغربية. لقد أبديتم، في أكثر من مناسبة، تحفّظاتكم على قُرص تَحقّق هكذا سيناريو. ما هي مكامن ضعف القوات الأوكرانية في مقابل تلك الروسية؟

أولاً، وعلى الرغم من أن الجيش الأوكراني يضمّ عدداً كبيراً من الجنود (1,2 مليون إذا أخذنا في الاعتبار قوات الاحتياط)، إلّا أن كفاءة هؤلاء محدودة. لقد قُصفت جميع مراكز التدريب، وحالة الطوارئ المرتبطة بالحرب تعني أنهم لن يحصلوا سوى على تدريب لأسبوعين في الحدّ الأقصى، وهي مدّة غير كافية لتطوير مستوى الأداء. قد يسمح مثل هذا التدريب للجنود بالقتال دفاعاً عن مواقع محصّنة، لكنّه لن يؤهّلهم للمشاركة في عمليات هجومية بالتنسيق مع سلاحَي المدرّعات والمدفعية مثلاً. ثانياً، تعتمد القدرات الدفاعية الأوكرانية على الدعم الدولي والإمداد بالسلاح. من غير المؤكّد أن هذا الدعم سيستمرّ نظراً إلى كلفته الباهظة، ولأن المخزون المتوفّر من المعدّات والذخائر المعدّة للإرسال للأوكرانيين محدود في المحصّلة النهائية. يُضاف إلى ذلك الاستهلاك الكبير للذخائر وتبديدها من قِبَل جنود قليلي التدريب، ما يفسّر نفاد المخزون المتوفر منها. ثالثاً، الكثير من المعدّات العسكرية المرسَلة يتطلّب صيانة وقطع غيار، أو ذخائر من أعيرة مختلفة، ما سيسبّب مشكلات لوجستية. رابعاً، لا تتمتّع أوكرانيا بالتفوّق في المجال الجوّي؛ تقوم بعشرات الطلعات الجوّية يومياً بينما تُراوح تلك الروسية ما بين الـ100 والـ300 طلعة في اليوم الواحد منذ بداية الحرب. لن تستطيع كييف التفوّق في هذا المجال في المدَيين القصير والمتوسّط. وفي غيابه، فإن استعادة الأراضي الخاضعة لسيطرة الروس هو ضرب من الوهم.

■ ما الذي يدفعكم إلى الاعتقاد بأن الدعم العسكري الغربي الكبير لأوكرانيا إشكاليّ على المدى الطويل؟ وما هي المخاطر التي قد تنجم عنه بالنسبة للدول الغربية؟

مخزون الأسلحة والذخائر المتوفّر محدود كما سبق وأشرت، خاصة في أوروبا. لكن حتى الولايات المتحدة، القادرة على توفير كمّيات كبيرة منها، قد أرسلت إلى الآن ما يوازي ثلث مخزونها من صواريخ «جافلين» و«ستينغر». إرسال المزيد قد يعني المخاطرة بعدم توفّر كميات كافية منها في حال انفجار أزمة ثانية في منطقة أخرى من العالم. علاوة على ذلك، فإن صناعات السلاح ليست في وضع يسمح لها بالتكيّف مع معدّلات استهلاك الذخائر في أوكرانيا. بالنسبة للصواريخ مثلاً، لقد تمّ استخدام كميات موازية لما تنتجه الصناعات الحربية الغربية خلال سنتَين في مدّة شهريْن. إذا أردنا المقارنة، فإنّ فرنسا وقّعت مع شركة «MBDA» عقداً لشراء 1950 صاروخاً مضاداً للدروع من نوع «MMP»، وسيجري استلامها في 2025، وهي كمّية موازية لما يُستخدم في أوكرانيا خلال أسبوع واحد. المسألة اقتصادية أيضاً؛ هذه الأسلحة باهظة الثمن: سعر الصاروخ الواحد هو 80 ألف دولار، وسعر منصّة الإطلاق 514 ألف دولار. هل يمستطاع اقتصادياً احتمال مثل هذه الوتيرة المرتفعة من الاستهلاك في ظلّ معاناة الإنتاج الصناعي الدولي بمجمله من شحّ الموارد على اختلافها؟ أشكّ في ذلك.

> **مخزون الأسلحة والذخائر المتوفّر محدود، خاصة في أوروبا**

■ لقد تمّ اختراق خطوط الدفاع الأوكرانية في منطقة دونباس على رغم حشد كييف لقوّاتها فيها. هل يمكن الاستنتاج بأن الزمن لا يعمل لصالحها؟

هذا استنتاج ممكن. لكن الروس يتكبّدون خسائر أيضاً، ومن الصعب في هذه المرحلة من الصراع معرفة أيّ من الطرفين سينهار أولاً. مال المواجهة وثيق الصلة بحجم الدعم الذي ستحظى به أوكرانيا، وبديمومته، من جهة، وبمدى قدرة الجيش والشعب الروسيَين على الاحتمال من جهة أخرى. أوكرانيا في وضعية مَن يخوض حرباً شاملة، وهو ما لا ينطبق على روسيا حتى اللحظة، لأنها لم تَقُم بتعبئة الاحتياط، ولم تُحوّل اقتصادها إلى اقتصاد حرب. روسيا في وضع يسمح لها نظرياً بطاقة أكبر على المضيّ قُدُماً في المعركة. غير أن التحليل الواقعي ينبغي أن يعير اهتماماً خاصاً للديناميات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعمل لدى الطرفين.

الولايات المتحدة أرسلت إلى الآن ما يوازي ثلث مخزونها من صواريخ «جافلين» و«ستينغر» (أ ف ب)

ملف

كولومبيا تلفظ «إسرائيلها»

جمال غصن

في آذار من عام 2008، نعت الرئيس الفنزويلي الراحل، هوغو تشافيز، الحكومة الكولومبية بـ«إسرائيل أميركا اللاتينية»، بعد أن قام جنود حكومة بوغوتا بالتوغّل في الأراضي الإكوادورية المحسوبة يومها على المحور اليساري في جنوب القارّة الأميركية. لاحقاً، عبّر الرئيس الكولومبي، خوان مانويل سانتوس، أثناء زيارته فلسطين المحتلّة عام 2013، عن أنه يفتخر بأن تقارن بلاده بـ«إسرائيل»، وأنه يعتبر ذمّ قائد الثورة البوليفارية لدولته المدمنة

> «إسرائيليةْ» كولومبيا ليست محدودة بالسلاح الذي تشتريه من دولة الاحتلال

على شراء السلاح «الإسرائيلي»، إطراءً.

«إسرائيليةُ» كولومبيا ليست محدودة بالسلاح الذي تشتريه من دولة الاحتلال؛ إذ إن سلوك بوغوتا يتماهى إلى حدّ كبير مع سلوك تل أبيب منذ عقود. فقد تلقّت الميليشيات اليمينية شبه الرسمية تدريباتها على أيدي جزّارَي صبرا وشاتيلا الإسرائيليَّين، إيفان دوكي، وقتْل فيها ما لا يقلّ عن 60 متظاهراً على أيدي الشرطة»، وفق ما نُقِل به صحيفة «ذي نيويورك تايمز» الأميركية. ومن هنا، يتوقّع بعض المحلّلين أن يصوّت الشباب بأرقام شعوب كولومبيا المستعمرة، أودت بحياة الآلاف من الكولومبيين (سَجّل مرصد إنديباز 44 مجزرة بحقّ الكولومبيين في الأشهر الخمسة الأولى من هذا العام، ويعرّف المرصد المجزرة بكلّ عملية قتل تودي بحياة ثلاثة مواطنين أو أكثر). أضف إلى ذلك، الدور الخدماتي التي تلعبه بوغوتا في خدمة أجندة واشنطن في جنوب القارّة، فيصبح لقب «إسرائيل أميركا اللاتينية» مستحَقّاً عن جدارة. آخر هذه الخدمات كان عندما قبل الرئيس الكولومبي المشرفة ولايته على الانتهاء، إيفان دوكي، بأن تكون بلاده رأس حربة محاولة خوان غوايدو الانقلابية، التي قادها بهاليل البيت الأبيض على الرئيس الفنزويلي، نيكولاس مادورو، والتي تشهد خواتيمها الآن من خلال استجداء واشنطن النفط الفنزويلي من حكومة كاراكاس الشرعية على إثر الحرب في أوكرانيا، بعد أن كانت لسنوات تتكئر على النعمة من أجل تجويع وتركيع ثوار فنزويلا. في النهاية، طار دوكي وبقي مادورو، بل يبدو أن الحقبة «الأوريبية» بأسرها انتهت جرّاء صمود الثورة البوليفارية. و«الأوريبية» في كولومبيا هي نسبة إلى الرئيس السابق، ألفارو أوريبي، الذي كان بطل النيوليبرالية المختار لمواجهة صعود اليسار اللاتيني، ولا سيّما النسخة البوليفارية منه التي أطلقها هوغو تشافيز على حدود مستعمرة واشنطن الأكثر وفاءً في بداية الألفية الثالثة. فكلّ مَن توالى على الحُكم في كولومبيا في العشرين سنة الماضية، له صلة مباشرة أو دعم من التيار «الأوريبي»، المدعوم بدوره من الميليشيات اليمينية التي تقوم بمعظم الاغتيالات التي تستهدف القيادات المجتمعية والمطلبية في البلاد.

شهدت كولومبيا، منذ عام، حراكاً جماهيرياً كبيراً تُظهر نتائجه بوضوح في استطلاعات الانتخابات الرئاسية المقرّرة جولتها الأولى غداً الأحد. فمرشّح اليسار الصريح، بلا مواربة ومساومة، غوستافو بيترو، ضِمن مكانه في الجولة الثانية من الانتخابات؛ إذ من المتوقّع أن يحوز على أكثر من ضعفَي الأصوات التي سوف يحصدها أقرب منافسيه. في المقابل، يتخبّط المعسكر اليميني لإيجاد مرشّح قادر على منافسة بيترو في الجولة الثانية، إن لم يفجّر بيترو مفاجأة ويفوز من الجولة الأولى كما فعل أوريبي قبل عقدَين من الزمن. أحدث المرشّحين الصاعدين من اليمين هو أحد الأثرياء، رودولفو هرنانديز، الذي يشبّه بدونالد ترامب وسيلفيو بيرلوسكوني في آنٍ، والذي سبق وأبدى إعجابه بـ«المفكّر الألماني العظيم»، أدولف هتلر، قبل أن يعتذر لاحقاً ويقول إنه كان يقصد ألبرت أينشتاين. قد تكون فعلاً زلّة لسان، لكن مواقف هرنانديز الأخرى، العلنية والموثّقة، لا تقلّ نازية، إلّا أنها لا تلقى ردّة الفعل التي تتطلّب منه الاعتذار، لأنها مُوجّهة غالباً ضدّ الفئات المستضعفة واللاجئين. هذا ويدعم الإعلام الإمبريالي الرجل الثمانيني ذا التواجد الزاهي على منصّات التواصل الاجتماعي، بـ«المحارب للفساد». هناك مرشّحون آخرون يتنافسون على مواجهة بيترو (والخسارة أمامه وفقاً لكلّ الاستطلاعات) في الجولة الثانية من الانتخابات منتصف حزيران القادم، لكنّ الاستطلاعات تشير إلى أن حظوظ الأخير في الفوز تتحسّن إذا كان المركز الثاني الأحد من نصيب فيديريكو غوتييريز، المقرّب من «الأوريبية»، وإن كان يتنكّر لها اليوم ويدّعي «التغيير»، أو سيرخيو فاخاردو «الوسطي».

يتّهم أعداء غوستافو بيترو، المقاتل السابق في «حركة 19 أبريل» اليسارية، بأنه إذا فاز سوف ينقل كولومبيا إلى معسكر فنزويلا وكوبا. في المقابل، سبق للرئيس الفنزويلي أن صنّف بيترو ضمن «اليسار الجبان»، إلى جانب غابرييل بوريك في تشيلي. خلال آخر مناظرة تلفزيونية رئاسية، أجاب بيترو على «تهمة» التماهي مع الحكومة الفنزويلية بأن تشافيز وكوبا. في المقابل، سبق للرئيس الفنزويلي أن صنّف بيترو ضمن «اليسار الجبان»، إلى جانب غابرييل بوريك في تشيلي. خلال آخر مناظرة تلفزيونية رئاسية، أجاب بيترو على «تهمة» التماهي مع الحكومة الفنزويلية بأن تشافيز وكوبا. في المقابل، سبق للرئيس الفنزويلي أن صنّف بيترو ضمن «اليسار الجبان»، إلى جانب غابرييل بوريك في تشيلي. خلال آخر مناظرة تلفزيونية رئاسية، أجاب بيترو على «تهمة» التماهي مع الحكومة الفنزويلية بأن تشافيز

سلوك بوغوتا يتماهى إلى حدّ كبير مع سلوك تل أبيب منذ عقود (أ ف ب)

وكوبا. في المقابل، سبق للرئيس الفنزويلي أن صنّف بيترو ضمن «اليسار الجبان»، إلى جانب غابرييل بوريك في تشيلي. خلال آخر مناظرة تلفزيونية رئاسية، أجاب بيترو على «تهمة» التماهي مع الحكومة الفنزويلية بأن تشافيز وكوبا. في المقابل، سبق للرئيس الفنزويلي أن صنّف بيترو ضمن «اليسار الجبان»، إلى جانب غابرييل بوريك في تشيلي. خلال آخر مناظرة تلفزيونية رئاسية، أجاب بيترو على «تهمة» التماهي مع الحكومة الفنزويلية بأن تشافيز وكوبا. في المقابل، سبق للرئيس الفنزويلي أن صنّف بيترو ضمن «اليسار الجبان»، إلى جانب غابرييل بوريك في تشيلي. خلال آخر مناظرة تلفزيونية رئاسية، أجاب بيترو على «تهمة» التماهي مع الحكومة الفنزويلية بأن تشافيز وكوبا. في المقابل، سبق للرئيس الفنزويلي أن صنّف بيترو ضمن «اليسار الجبان»، إلى جانب غابرييل بوريك في تشيلي. خلال آخر مناظرة تلفزيونية رئاسية، أجاب بيترو على «تهمة» التماهي مع الحكومة الفنزويلية بأن تشافيز

بوريك، كما أنه لن يتمكّن من نقل كولومبيا إلى الجبهة الثورية دفعة واحدة. لكنّ انتخابه رئيساً سوف يحرّك الخطط الانقلابية التي وضعتها واشنطن لكولومبيا، والتي لم يكن أحد ليتصوّر أنها قد تُستعمل قبل عام عندما كانت واشنطن تحشد مرتزِقتها على حدود هذا البلد لتتوجّه فاتحةً نحو كراكاس. لم يفز بيترو رسمياً بعد، لكنّ الشعب الكولومبي قال كلمته ولفظ «الأوريبية» و«الأسرلة»، يترقّب المحاولة الانقلابية الآتية لا محالة. السؤال هو أيّ نموذج سوف يُستخدم؟ قد تكون المحاولة استباقية كما في هايتي حيث قامت فرقة مرتزِقة كولومبية بالمهمّة. لكن ذلك مؤشّر ضعف كبير لواشنطن، خاصة أن «الأوريبية» الوفيّة تنخر في كلّ إدارات الدولة الرسمية وميليشياتها، ما يجعل بيترو حتى لو فاز، مكبّل الأيدي، مثل رئيس البيرو، بيدرو كاستييو، الذي فاز برئاسة بلاده العام الماضي، أو قد يخطو العسكر خطى الجيش البوليفي أو المحاكم خُطى القضاء البرازيلي في الانقلاب على إرادة الشعب. هناك أيضاً تجارب واشنطن في هندوراس والإكوادور وغيرهما من انقلابات هذه الألفية فقط، من دون أن نعود أجيالاً إلى الوراء حيث لا تُحصى تدخّلات حكّام شمال القارة في شؤون جنوبها. قد تفشل واشنطن فشلاً «غوايدوياً» ثانياً في كولومبيا، لكنّها حتماً لن تتقبّل خسارة إسرائيلها اللاتينية من دون شرف المحاولة الانقلابية.

وفنيكاراغوا. في المقابل، سبق للرئيس الفنزويلي أن صنّف بيترو ضمن «اليسار الجبان»، إلى جانب غابرييل بوريك في تشيلي. خلال آخر مناظرة تلفزيونية رئاسية، أجاب بيترو على «تهمة» التماهي مع الحكومة الفنزويلية بأن تشافيز

ومادورو جعلا من فنزويلا متّكلة على النفط، بينما هو يريد عكس ذلك لكولومبيا. أحد بنود حملته الانتخابية هو استعادة العلاقات الدبلوماسية مع حكومة كراكاس، أيّاً كانت الحكومة الموجودة هناك. بيترو ليس يسارياً زائفاً مثل

> يتقدّم المرشح اليساري، غوستافو بيترو حتى الآن في استطلاعات الرأي

تُواجه اليوم أحد أعلى معدّلات التضخم في السنوات الـ25 الماضية، بسبب انتشار جائحة «كوفيد - 19»، إضافة إلى مهمّتَي إصلاح نظام التقاعد ومواجهة الهجرة الفنزويلية. كذلك، تُحضر ظاهرة العنف التي ازدادت وتيرتها أخيراً بشكل ملحوظ، وتزايدت معها خروقات اتفاقية السلام الهشّة بفعل تهاون حكومة دوكي في تطبيقها. ووفق ما نقلت وكالة «دويتشه فيليه بالإسبانية» عن الباحثة في معهد «Arnold Bergstraesser»، فيفيانا غارسيا بينزون، فإنّ «الاتفاقية المُوقّعة مع منظّمة الفارك، تأتي على رأس قائمة الأولويات، خصوصاً بالنظر إلى ارتفاع وتيرة العنف شبه العسكري أخيراً بشكل ملحوظ». وأرجعت الباحثة ذلك إلى تدهور الأمن، محذّرة من أن هذه الظاهرة «تؤدي إلى مزيد من التشرذم». يُذكر أنه عندما تولّى دوكي منصبه عام 2018، كان لدى كولومبيا أدنى معدّل جرائم قتل في التاريخ، بحسب ما تُذكره الوكالة نفسها، لكن بفعل عدم تنفيذ الحكومة لاتفاقية السلام، بل وتعمّدها تصفية عدد من قادة المنظّمة اليسارية، تدهورت الأوضاع في السنوات الأربع الماضية.

كذلك، سيكون تحدّي إصلاح جهاز الشرطة، خصوصاً بعد الانتهاكات التي أقدم عليها الأخير مع موجات الاحتجاج الأحدث في كولومبيا، والتي وُصفت بـ«الوحشية»، أساسياً بالنسبة إلى الرئيس الجديد. وفي هذا السياق، يُذكر باحث علم الاجتماع القانوني، رودريغو أوبريمي، أن الشرطة في عام 2021 «خرجت تماماً عن السيطرة، كما يتّضح من القمع العنيف للانتفاضة الاجتماعية، والتصريحات الصاخبة لقائد الجيش إدواردو زاباتيرو ضدّ مرشح المعارضة غوستافو بيترو»، الأمر الذي يوجب «تحديد وتنفيذ سياسة أمنية جديدة لمواجهة الجريمة المنظّمة من قِبَل القوات العامّة غير الخاضعة للرقابة والمسيّسة». أمّا في ما يخصّ اتفاقية السلام، فيتساءل أوبريمي: «ما الذي يمكن وينبغي للرئيس المقبل أن يفعل بسلام فاتر؟»، ليجيب بأن «التحدّي يتمثّل في الإصلاح الريفي الشامل، وتعميق الانتقال السياسي»، فضلاً عن «السعي للتفاوض مع معظم الفاعلين السياسيين المسلّحين مثل جيش التحرير الوطني».

ارتفع عدد الفقراء في البلاد من 17,4 مليون إلى 21 مليوناً في غضون سنتين (أ ف ب)

اليسار على عتبة السلطة
تحدّيات بالجملة

بتول سليمان

اعتباراً من يوم الغد، ستكون كولومبيا على موعد مرجّح مع تحوّل دراماتيكي في تاريخها الحديث، إذا ما فاز المرشّح اليساري، غوستافو بيترو، في الدورة الأولى من الانتخابات الرئاسية. تحوّلٌ سيلقي بظلاله، حُكماً، على منطقة أميركا اللاتينية برمّتها، بالنظر إلى كون بوغوتا الحليف الأقرب للولايات المتحدة هناك، و«المطبخ» الذي تُعدّ فيه واشنطن خططها ضدّ الحكومات اليسارية في «حديقتها الخلفية». وتُظهر استطلاعات الرأي استئثاراً واسع النطاق من حكومة الرئيس اليميني الحالي، إيفان دوكي، والتي كان «من بين أكثر المتضرّرين منها الشباب الكولومبيون، الذين قادوا احتجاجات واسعة العام الماضي، غُرفت باسم الإضراب الوطني، وقُتل فيها ما لا يقلّ عن 60 متظاهراً على أيدي الشرطة»، وفق ما نُقِل به صحيفة «ذي نيويورك تايمز» الأميركية. ومن هنا، يتوقّع بعض المحلّلين أن يصوّت الشباب بأرقام قياسية، علماً أن عدد المدعوّين إلى الاقتراع يفوق 39 مليوناً.

ويتقدّم المرشّحين اليساريُّ غوستافو بيترو (62 عاماً)، الذي يقود تحالفاً تقدّمياً. وبيترو هو سياسي وخبير اقتصادي، شغل منصب عمدة بوغوتا السابق. وحتى الآن، تُبيّن استطلاعات الرأي تقدّمه على جميع المرشّحين بنسبة تصويت لصالحه تُراوح بين 38,8 و 46,5%. ومن المتوقّع أن يفوز بيترو في الجولة الأولى، ليطلّ السؤال حول مَن سيُنافسه في الجولة الثانية؛ وفق الاستطلاعات، يأتي اليميني فيديريكو فيكو غوتيريز في المركز الثاني، مع نسبة تصويت تُراوح بين 20,6 و31,3%. وغوتيريز (47 عاماً)، المدعوم من الائتلاف السياسي للرئيس الحالي نفسه، مهندس مدني ومُتخصّص في العلوم السياسية، وقد شغل سابقاً منصب عمدة مدينة ميديلين (2016 ـ 2019). ويأتي المرشّح رودولفو هيرنانديز، من «رابطة حكّام مكافحة الفساد» (شعبوي)، في المركز الثالث، وهو مهندس مدني أيضاً وصاحب شركة «HG Constructora»، وقد انتُخب عام 2016 رئيساً لبلدية بوكارامانغا. ووفق الاستبيانات، سيحصل هيرنانديز على ما بين 12,7 و 21,2% من الأصوات. أمّا المرشّح الرابع فاسمه جون ميلتون رودريغيز غونزاليس (52 عاماً)، وانتماؤه إلى تحالف «غوستا ليبريس» (اليمين الإنجيلي)، وهو عضو في مجلس الشيوخ منذ عام 2018، ويُمثّل حزبه اليميني معظم المنظّمات الإنجيلية في البلاد.

والمرشّح الخامس، هو سيرجيو فاخاردو، الذي كان رئيساً لبلدية ميديلين من عام 2004 إلى 2007، وأيضاً حاكم أنتيوكيا من 2012 إلى 2015. ويُعتبر فاخاردو، الحاصل على ماجستير ودكتوراه من جامعة «ويسكونسن» في اختصاص الرياضيات، مرشّح الوسط، وتنتقده شريحة كبيرة من اليسار، فيما يتّهمه اليمين بأنه متحالف مع اليسار. وإلى جانب مَن تقدّموا، ثمّة مرشّحان آخران هما المحامي إنريكي غوميز مارتينيز من حركة «الإنقاذ الوطني» (يمين)، والكاتب الليبرالي لويس بيريز.

تحدّيات كثيرة ستُمثل أمام الرئيس الجديد، الذي سيتولّى الحُكم رسمياً في السابع من آب المقبل، وعلى رأسها ارتفاع عدد الفقراء من 17,4 مليوناً إلى 21 مليوناً (2019 - 2021). ووفق إدارة الإحصاءات الوطنية، فإنّ 70% من الكولومبيين معرّضون اليوم لخطر الوقوع في الفقر. وتالياً، يأتي التضخّم الاقتصادي، خصوصاً أن بوغوتا

زلزال يوصد أبواب «الحديقة الخلفيّة»

وليد شرارة

عاد النضال الاجتماعي والانتفاضات الشعبية ليكونا رافعة سياسية توصل اليسار إلى السلطة في أميركا اللاتينية، عن طريق الانتخابات. هذا ما حصل في تشيلي، حيث مثّلت الانتفاضة الشعبية التي شهدتها هذه الدولة محطة حاسمة في تحفيز الناخبين للتصويت لمرشح اليسار، وإيصاله إلى سدّة الرئاسة في آذار من العام الحالي. وذلك ما يعزز حظوظ فوز المرشّح اليساري في كولومبيا، غوستافو بيترو، بعد انتفاضتين شعبيتين في البلاد التي احتلّت موقعاً مركزياً في استراتيجية واشنطن في منطقة الأنديز، وفي عموم أميركا اللاتينية. لقد تحوّلت كولومبيا، بفعل السياسات التي اعتمدتها قوى اليمين الحاكمة فيها لعقود طويلة، إلى ركيزة أساسية في ما اعتبرته الولايات المتحدة «حديقتها الخلفية» منذ أواخر القرن التاسع عشر. وما قد يزيد من حنق الإمبراطورية الجامحة والمنحدرة، ومن احتمال لجوئها إلى تدبير محاولة اغتيال ضدّ المرشح بيترو، أو انقلاب ضدّه بعد فوزه، هو أن صعوده يأتي في سياق قارّي حافل بتطوّرات تسرّع انحسار هيمنتها عن أميركا اللاتينية.

فصمود الأنظمة الوطنية في كوبا وفنزويلا ونيكاراغوا في مواجهة الحرب الهجينة التي تشنها الولايات المتحدة عليها، معطوفاً على وصول قوى يسارية إلى السلطة في الهندوراس وبيرو والتشيلي، وترجيح عودة مرشح «حزب العمال» إلى الرئاسة في البرازيل بعد الانتخابات التي ستجري في أواخر 2022، هي بمجملها وقائع تعزّز من قدرة بلدان وسط وجنوب القارة الأميركية على الخروج من أسر التبعية لواشنطن، وإنجاز اندماجها الإقليمي الذي طالما مثّل تطلّعاً تاريخياً لشعوبها ولقواها الوطنية. ولا شكّ في أن كسر «الحلقة الكولومبية» في منظومة السيطرة الأميركية، هو خطوة حاسمة في الاتجاه المذكور. وما يرسّخ هذه القناعة أيضاً هو أن برنامج حزب «العقد التاريخي»، الذي يقوده غوستافو بيترو، يقطع مع النموذج «التنموي» النيوليبرالي داخلياً، ويدافع عن خيارات استقلالية على المستويات الإقليمية والدولية.

> إنهاء دور كولومبيا في عمليات زعزعة استقرار فنزويلا هو من بين التوجّهات الثابتة لـ«العقد التاريخي»

كولومبيا «قوة دولية للحياة»

إضافة إلى دورها الوظيفي في إطار استراتيجية واشنطن في جنوب القارة، اعتمدت الطبقات الحاكمة في كولومبيا، والتي تنحدر في معظمها من عائلات المستوطنين الأوروبيين، نموذجاً يدمج بين «النمط التنموي الاستخراجي»، أي استخراج ثروات باطن الأرض أساساً، وكذلك المنتجات الزراعية، لبيعها في الأسواق العالمية، والاستخدام المنهجي للعنف لإدارة العلاقات الاجتماعية مع الطبقات الشعبية. استمرّ أبناء المستوطنين البيض، على خِطى آبائهم، في نهب ثروات البلاد، كالنفط والفحم، أي نصف صادراتها، والذهب والبن والموز والنخيل والأزهار، والاستيلاء على أراضي الفلاحين الفقراء والسكّان الأصليين لهذه الغاية، وفرض صيرورة قطاعات عظيمة من هؤلاء أيدياً عاملة رخيصة. بكلام آخر، نحن أمام ديمومة لنموذج التقسيم الاستعماري للعمل، والذي تخصّصت في إطاره المستعمرات وأشباه المستعمرات في تأمين حاجات المراكز الإمبريالية من المواد الخام والعمالة الرخيصة. وبطبيعة الحال، فإن هذه الديمومة التي استندت إلى العنف المؤسسي والواسع النطاق بحق الطبقات الشعبية، خلقت حالة حرب حقيقية، تكفي للاطّلاع على تفاصيلها مراجعة تاريخ كولومبيا طوال القرن العشرين وحتى الآن.

اليوم، يسعى حزب «العقد التاريخي» للقطيعة مع هذا النموذج ونتائجه الاقتصادية والاجتماعية والبيئية الكارثية بالنسبة إلى غالبية الشعب. بين أولويات برنامجه، نجد إصلاح القوات المسلّحة وأجهزة الشرطة، الأداة القسرية للطبقات الحاكمة، وحلّ تلك المكلّفة بالقمع، ومكافحة الفساد في مؤسسات الدولة، وإنشاء وزارة خاصة بالمساواة، وبلورة سياسات اجتماعية، ودعم الاقتصاد الشعبي والسيادة الغذائية، وتطبيق اتفاق السلام مع الحركات المسلّحة اليسارية، وإقرار «عقد اجتماعي جديد للحياة المُجيّدة»، والحفاظ على البيئة والانتقال التدريجي من الاقتصاد الاستخراجي إلى اقتصاد متنوّع وإنتاجي. ومن نافل القول أن الطبقات الحاكمة، سليلة المستعمرين، ورعاتها في واشنطن سيعملون بشتّى السبل للتصدّي لهذا البرنامج وإفشاله، وخاصة أنه يتضمّن بُعداً إقليمياً ودولياً يتناقض مع مصالحهم ورؤاهم جذرياً.

الاندماج الإقليمي وتنويم الشراكات

إنهاء دور كولومبيا في عمليات زعزعة استقرار فنزويلا، وتطبيع العلاقات معها، هما من بين التوجّهات الثابتة لـ«العقد التاريخي» ضمن رؤية تهدف إلى رفع العقبات أمام اندماج قارّي أكبر بين بلدان أميركا اللاتينية. قيادة هذا الحزب ترى أن نجاحه في ترجمة برنامجه، منوط بتحقيق هكذا اندماج وإقامة فضاء اقتصادي إقليمي يتيح تطويراً للصناعة، وإعادة النظر في اتفاقيات التجارة الحرّة مع الولايات المتحدة، وأخذ أجندة دول القارة الخاصة بمكافحة الفقر والفوارق الاجتماعية والتغيّر المناخي في الحسبان.

ستصطدم هذه الأهداف الطموحة بمقاومة ضارية من قِبَل الولايات المتحدة وحلفائها المحليين، وستكون القدرة على إنجازها وثيقة الصلة بإمكانية بناء ميزان قوى مؤاتٍ لذلك من قِبَل الحزب. الاعتماد على الدرجة العالية من التعبئة الذي أظهرته الحركات الاجتماعية في السنوات الماضية، والاستفادة من البيئة الإقليمية المتحوّلة عبر التنسيق والتعاون مع الحكومات اليسارية المستقلة، وتوظيف الاستقطاب الدولي المتنامي بين الصين وروسيا من جهة والولايات المتحدة من جهة أخرى، هي من بين الخيارات المتاحة أمام قيادة «العقد التاريخي» لتعديل موازين القوى لصالحه، وفتح آفاق جديدة أمام شعوب أميركا اللاتينية وبقيّة شعوب جنوب العالم.

سوريا

«تحرير الشام» تتسلّل إلى ريف حلب
تركيا تضغط... بالجولاني أيضاً

لا يمكن الفصل بين التهديدات التركية بشنّ هجوم جديد على مناطق سيطرة الأكراد في الشمال السوري، وبين عمليات الإحلال والتبديل الجارية في صفوف الفصائل التابعة لأنقرة، والتي تمهّد الطريق أمام «هيئة تحرير الشام» للتمدّد إلى ريف حلب. ومن شأن هذا التمدّد أن يمثّل قفزة كبيرة في مخطّط توحيد المناطق التي تسيطر عليها تركيا، توازياً مع استمرار العمل على مشروع «المنطقة الآمنة»، التي يحاول رجب طيب أردوغان استثمار احتدام الصراع الدولي حول أوكرانيا لإمرارها

علاء حلبي

لم يخرج اجتماع مجلس الأمن القومي التركي، الذي انعقد أوّل من أمس، بأيّ جديد، كما لم يحسم أمر العملية العسكرية التي يهدّد الرئيس التركي، رجب طيب إردوغان، بتنفيذها في الشمال السوري، ليترك بذلك الباب مواربا، تماماً مثلما فعل إردوغان، في ما من شأنه تصدير موقف موحّد بين المؤسّسات التركية إزاء الأوضاع على الحدود الجنوبية، وبالتالي تحصين إعلان إردوغان، وتقديم دفعة لمسعاه الهادف إلى تحقيق أكبر مكاسب ممكنة من الحرب الروسية في أوكرانيا، والتي فرضت على الغرب إعادة احتضان أنقرة، بهدف مضاعفة الضغوط على موسكو. الاجتماع الذي استمرّ نحو ساعتين، حاول الخروج بقرارات مرنة، تحمل رسائل عدّة، بعضها مُوجَّه إلى روسيا وبعضها الآخر إلى الولايات المتحدة، إذ أكد أن «أنقرة التزمت دائماً بروح وقانون التحالفات الدولية، وأنها تنتظر نفس المسؤولية والصدق من حلفائها»، مضيفاً أن «العمليات العسكرية الجارية، وتلك التي ستُنفَّذ على حدودنا الجنوبية، ضرورة لأمننا القومي». ولا تستهدف سيادة دول الجوار». وفي محاولة لوضع الكُرة في ملعب واشنطن، ضمن لعبة التفاوض الجارية حالياً، فقد ذكّر المجلس بموقف تركيا من «قسد» وحزب «الاتحاد الديموقراطي» الذي يقودها، والذي تُعتبره تركيا امتداداً لـ«حزب العمال الكردستاني» المصنّف على لوائح الإرهاب التركية، حيث قال البيان: «وجّهنا دعوة إلى الغرب إعادة احتضان أنقرة، بهدف بدعم الإرهاب، للتخلّي عن موقفها والأخذ في الحسبان مخاوف تركيا الأمنية».

وفي وقت تشير فيه التطوّرات الميدانية إلى عدم حصول تركيا على أيّ ضوء أخضر أميركي لشنّ العملية، حتى الآن، ذكّرت روسيا بحضورها الميداني عبر تنفيذ طلعات جوّية مكثفة فوق مناطق سيطرة الفصائل التابعة لتركيا، تخلّلها إطلاق قذائف متفجّرة. كما خرجت عنها تصريحات تُعتبر الأولى من نوعها لنفي الإشاعات التي تردّدت أخيراً حول انسحاب قوّاتها من سوريا، والتي لم تعلّق

> تحاول تركيا تسويف الجولاني على انه «معتدل» عبر تكليفه بمهام القضاء على الفصائل المتشدّدة بشكل تدريجي

عليها موسكو طيلة الشهر الماضي، إذ أكد وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، في لقاء تلفزيوني، أن «القوات الروسية الموجودة في سوريا، والتي جاءت بناءً على طلب الحكومة الشرعية، ستتابع دعمها دمشق لاستعادة جميع المناطق وتوحيد البلاد». وحذّر لافروف، الذي ركّز على عدم شرعية الوجود العسكري الأميركي، من مخاطر دعم واشنطن النزعة الانفصالية الكردية على وحدة الأراضي السورية. إلّا أن الوزير الروسي بدا أكثر مرونة خلال حديثه عن تركيا، حيث ذكّر بالاتفاقات الموقّعة مع أنقرة، والتي تفرض على الأخيرة «عزل الفصائل الإرهابية» في إدلب، وفتح طريق حلب - اللاذقية، معتبراً أن «تحقيق ما اتفق عليه الرئيسان فلاديمير بوتين ورجب طيب إردوغان قبل عدّة سنوات لا يسير على ما يرام». بدورها، كثّفت واشنطن من نشاطها العسكري في مناطق التماس مع مواقع انتشار الفصائل المدعومة من أنقرة، عبر تسيير دوريات وتنفيذ طلعات جوّية استطلاعية، تخلّلها استهداف تحذيري على مقربة من نقطة مراقبة تركية في محيط رأس العين غرب محافظة الحسكة، من دون وقوع أيّ إصابات.

في غضون ذلك، بدأت «هيئة تحرير الشام» التغلغل في مناطق في ريف حلب، مُستغلّة حالة الاقتتال والانقسام الداخلي بين الفصائل التابعة لتركيا. وأكدت مصادر «جهادية» أن عدداً من المقاتلين دخلوا إلى جنديرس في محيط عفرين في ريف حلب الشمالي، وسط تحذيرات أطلقها ناشطون معارضون من توسّع انتشار «الهيئة» التي تملك علاقات متينة مع فصائل عديدة، من بينها «كتائب» وقيادات تعمل في صفوف الفصائل في مناطق «نبع السلام» و«غصن الزيتون». ويعني هذا السيناريو تمكّن الجولاني من مدّ نفوذه إلى تلك المناطق بشكل تدريجي، وهو ما يتوافق مع رغبة تركيا في توحيد مساحة سيطرتها، واستثمار الجولاني الذي أثبت خضوعه التامّ لها، واستقالليّته المالية في الوقت نفسه، في تنفيذ المخطّط المذكور.

وتأتي تحرّكات «تحرير الشام» بعد نحو 10 أيام على اجتماع يُعتبر الأوّل من نوعه بين الجولاني وبين وفد عسكري واستخباراتي تركي في معبر باب الهوى الحدودي في إدلب، لم تتسرّب عنه أيّ معلومات دقيقة، نتيجة مشاركة «دائرة ضيقة جدّاً» من أتباع الجولاني فيه، بالإضافة إلى الطوق الأمني المشدّد الذي فُرض خلال عقده. بيد أن التطوّرات الميدانية التي تلت اللقاء يمكن أن تشرح بعض النقاط التي تمّ الاتفاق عليها، ومن بينها التخلّص من جماعة «أنصار الإسلام»، بعد أن تكرّر اسم الجماعة أخيراً في وسائل الإعلام الأميركية، إذ اعتقلت «الهيئة» القيادي البارز في «أنصار الإسلام»، أبو الدرداء الكردي، وقياديَّيْن آخرين في مناطق عدّة في ريفي إدلب واللاذقية، في سيناريو مطابق تماماً للإجراءات التي قامت بها «الهيئة» خلال عمليات إنهاء وجود فصائل متشدّدة في وقت سابق، ومن بينها «حرّاس الدين»، وسط توقّعات بأن تشهد مناطق انتشار «أنصار الإسلام» مواجهات مسلّحة للسيطرة على مقرّاتها وإنهاء وجودها.

وتحاول تركيا تسويق الجولاني، الذي أصبح «رجُلها الأكثر موثوقية» على أنه «معتدل»، عبر تكليفه بمهام القضاء على الفصائل المتشدّدة بشكل تدريجي، الأمر الذي يُعتبر تمهيداً للدور اللاحق الذي سيلعبه مستقبلاً بعد توغّله أكثر في مناطق سيطرة أنقرة شمالي حلب وبعض مناطق الرقة، خصوصاً أنه بات يتمتّع بعلاقات «طيّبة» مع واشنطن، التي استثمرته خلال عمليتَي اغتيال زعيمَي تنظيم «داعش» السابقَين أبو بكر البغدادي، وخليفته أبو إبراهيم القرشي، واللذين كانا يختبئان قرب الحدود التركية في مناطق يسيطر عليها الجولاني. في السياق ذاته، يأتي إعلان تركيا اعتقال «مسؤول بارز» في تنظيم «داعش» إثر عملية أمنية في مدينة إسطنبول التركية، روّجت وسائل إعلام تركية أنه الزعيم الجديد للتنظيم المكنّى الحسن الهاشمي القرشي، من دون أن تتوفّر معلومات موثوقة حول حقيقة الدور الذي كان يلعبه، ليعطي ذلك دفعة كبيرة لأنقرة في السباق الدولي لـ«محاربة الإرهاب»، ومحاولة تركيا سحب ذرائع واشنطن في دعمها لـ«قسد» عبر تقديم الأخيرة كمساهم أكبر في محاربة «داعش».

بشكل عام، وعلى الرغم من تراجع مؤشّرات قيام أنقرة بشنّ عملية عسكرية جديدة في سوريا، تشير التطورات الميدانية والعسكرية والسياسية الأخيرة إلى أن تركيا عازمة على مواصلة ضغطها بحثاً عن أكبر مكاسب ممكنة من الحرب الروسية في أوكرانيا، سواءً كانت هذه المكاسب قضم المزيد من الأراضي لإقامة مشروع «المنطقة الآمنة» الذي يجده إردوغان فرصة للتخلّص من اللاجئين السوريين، إضافة إلى تشكيل طوق يبعد خطر الأكراد عن حدوده، وإيجاد موطئ قدم دائم في الشمال السوري، أو عبر رفع القيود الأميركية المفروضة عليها في جانب التسليح، وإتمام عمليات بيع مقاتلات أميركية تريدها، إضافة إلى إعادتها إلى برنامج طائرات «F35» الذي أبعدت عنه على خلفية شراء منظومة «S400» الروسية، فضلاً عن تحصيل دور أكبر في «حلف شمال الأطلسي» (الناتو) الذي ينتظر موافقة تركية مدفوعة الثمن للقبول بانضمام فنلندا والسويد إليه.

لم تحصل تركيا حتى الآن على أي ضوء أخضر أميركي لشنّ عملية جديدة في سوريا (أ ف ب)

فرنسا

تحالف يساري واعد: السلطة ممكنة... الإصلاح مستحيل؟

بعد ما فشلت تيّارات اليسار الفرنسي، بتلاوينها الكثيرة، في إيصال مرشّح عنها إلى نهائيّات الانتخابات الرئاسية الفرنسية التي جرت الشهر الماضي، دخلت هذه التيّارات عملية إعادة اصطفاف جديدة تحضيراً للانتخابات العامّة الشهر المقبل. عملية تبدو واعدة بقدرتها على إيصال اليسار إلى الحكومة، وهو أمر قد لا تصانعه الدولة الفرنسية العميقة، ولا حتى واشنطن في ظلّ مترتّبات الأزمة الأوكرانية على الاقتصاد الفرنسي

لندن - سعيد محمّد

الاتفاق التاريخي الذي تمّ التوصّل إليه منتصف أيار الجاري بين مختلف أطياف اليسار الفرنسي (فرنسا المتمرّدة، الخضر، الشيوعي، والاشتراكي) قد تمنحه الفرصة الأخيرة للوصول إلى السلطة في فرنسا خلال هذا العقد، بعدما أضاع بتشرذمه فرصة منافسة الرئيس إيمانويل ماكرون في الدورة الثانية من الانتخابات الرئاسية التي جرت الشهر الماضي، وانتهت إلى سباق بين ممثلي كتلتَي يمين اليمين (مارين لوبان) ويمين الوسط (ماكرون)، فيما تولّى ناخبو اليسار مجّاناً دفع الدفّة في النهاية لمصلحة الوضع القائم. ويبدو أن اليسار الفرنسي، بهذا التحالف العريض، يمتلك الآن طموحات مشروعة لتحقيق نتيجة ممتازة في صناديق الاقتراع، وربّما الحصول على الأغلبية في الانتخابات التشريعية التي ستُجرى يومَي 12 و19 حزيران المقبل، إذ تُوافقت أطيافه على برنامج انتخابي شديد المحلّية، تعهّدت فيه برفع الحدّ الأدنى للأجور إلى 1400 يورو شهرياً (1500 دولار أميركي تقريباً)، وخفض سنّ التقاعد إلى 60 عاماً، وتجميد أسعار الأساسيات الاستهلاكية، وكذلك إعادة فرض الضريبة على الثروة، والتي أُلغيت خلال الفترة الرئاسية الأولى لماكرون.

وبحسب مطّلعين على المشاورات لتشكيل التحالف العتيد، فإن العلاقة ببروكسل مثّلت الجسر الذي كان محتّماً عبوره في المفاوضات بين حزب «فرنسا المتمرّدة» و«الحزب الاشتراكي» تحديداً، حيث رفض الاشتراكيون التوقيع على اتفاقية تُلزمهم بعصيان معاهدات الاتحاد الأوروبي بشأن القضايا الاقتصادية والميزانيات العامّة، لكن الطرفين اتّفقا في النهاية على الالتزام بالتنفيذ الكلّي للبرنامج الانتخابي المشترك، بغضّ النظر عمّا سيتطلّبه ذلك. على أن التحاق «الخضر»، المؤيّد لبروكسل، بالتحالف، يقدّم مزيداً من الضمانات ضدّ تهوّر حكومة يسارية ممكنة، قد تتضامن مع الشعبويين اليمينيين المناهضين لبيروقراطية بروكسل النيوليبرالية في هنغاريا وبولندا. وعليه، سيكون سقف هكذا حكومة الضغط باتّجاه تطوير معاهدات قائمة، بالتعاون مع التيّارات التقدّمية عبر أوروبا. وفي الحقيقة، فإن هذا التحالف جاء أساساً بضغوط من القواعد التي راعتها خسارة جان لوك ميلينشون - التروتسكي السابق وزعيم اليسار الراديكالي - بطاقة التأهّل لمواجهة ماكرون في الجولة النهائية من الرئاسيات، بفارق 1% فقط من الأصوات عن مارين لوبان - مرشّحة «الجبهة القومية» -، بعد تشرذم أحزاب اليسار وعجز قياداتها عن التوافق على مرشّح قوي واحد. ومع هذا، فإن مجموع الأصوات التي نالها جميع مرشّحي اليسار في الرئاسيات يبيّن أن الفرنسيين منقسمون بين ثلاث قوى متساوية الحجم: اليسار واليمين والوسط.

التحالف اليساري، على علّاته، يقدّم للشعب الفرنسي بديلاً مرحلياً موثوقاً من التجربة النيوليبرالية الباهتة في ظلّ ماكرون، كما الطرح المتطرّف الذي تمثّله «الجبهة القومية». وهو لديه فرصة معقولة لإعادة رسم الخريطة السياسية لفرنسا من خلال الانتخابات التشريعية، لكن ذلك يتطلّب مشاركة أوسع من الطبقة العاملة والأطراف خارج المدن الكبرى، إلى جانب منسوبي الطبقة الوسطى المتعلّمة في المناطق الحضرية في التصويت للمرشّحين اليساريين. على أن ذلك يبدو أشبه بتحدٍّ عام لتيّار اليسار الديموقراطي عبر أوروبا الغربية والشمالية، والذي فشل بشكل متزايد في استيعاب غضب الفئات الشعبية وخسر تأييدها، إمّا لمصلحة الشعبويين في أقصى اليمين، لا سيّما بعد تجارب في فرنسا - وغيرها - لاشتراكيين نُفّذوا لدى تولّيهم السلطة أجندات نيوليبرالية متطرّفة لم يكن اليمين نفسه ليجرؤ على تبنّيها، وإمّا لصالح العزوف عن العملية السياسية برمّتها (28% من الفرنسيين لم يشاركوا في الانتخابات الأخيرة، وهي أعلى نسبة عزوف منذ عام 1969).

مهمّة التحالف من هذه الزاوية تبدو ضرورية للمجتمع الفرنسي بعامّة، أكثر منها حاجة للكتلة اليسارية من الناخبين فحسب. إذ إن الأنظمة الديموقراطية التي سادت غرب أوروبا خلال القرن العشرين، تعرّضت دائماً للاهتزاز عندما فشلت في رشوة الطبقة العاملة للقبول بالتحالف مع الطبقة الوسطى في دولة رفاه يحكمها أو يشارك في حُكمها ولو شكلياً اليسار الديموقراطي، وهو ما سمح في غير مرّة بصعود «الفاشيست» (إيطاليا) أو «الاشتراكيين الوطنيين» (ألمانيا) إلى السلطة عبر صناديق الاقتراع. ويوفّر هذا التحالف الفرنسي المستحدث فرصة نادرة لإعادة توصيل ما انقطع بين فئات الطبقة العاملة والوسطى المختلفة، التي ما

> الائتلاف الجديد يواجه خطرين داهمين قد يقوّض أيّ منهما أو كلاهما التجربة

زالت معنيّة بالعملية الديموقراطية لكنها انحرفت عن بعضها البعض سياسياً. فباستثناء حزب «فرنسا المتمرّدة» الذي يفتخر بجمهور من الطبقة العاملة كما الوسطى المتعلّمة، فإن أيضاً الوسطى العليا المتعلّمة، فإن «الخضر» و«الاشتراكيين» يمثّلون غالباً فئة الطبقة الوسطى العليا من سكّان المدن المهنيين والموظفين، فيما الطبقة العاملة (الياقات الزرق) تصوّت تقليدياً لـ«الشيوعيين».

لكن هذا الائتلاف - مع كلّ ما يحمله من وعود - يواجه خطرين داهمَين قد يقوّض أيّ منهما أو كلاهما التجربة، على افتراض نجاح اليسار في الحصول على أغلبية بسيطة في البرلمان، وربّما تكليفه بتشكيل الحكومة. ويتمثّل الخطر الأوّل في واقع أن استعادة مستوى أفضل من العدالة الاجتماعية والمالية للفرنسيين، وحجم الاستثمار اللازم في قطاعات الرعاية الصحية والتعليم، سوف يتطلّبان إجراءات أكثر جذرية بكثير، وسياسات إعادة توزيع للدخول أكثر طموحاً من مجرّد استعادة الضريبة على الثروة كما يُفترض برنامج التحالف الرمادي.

ولا شكّ في أن تصدّع التكتّل المبنيّ على حساسيات يسارية وحسابات اجتماعية متنافرة أحياناً، سيكون في غاية السهولة حال الاصطدام بين المكوّنات بشأن ما ينبغي عمله لتجاوز الفجوة بين المأمول والممكن؛ فالذوات المتضخّمة لدى قادة الأحزاب اليسارية ما زالت كما كانت تماماً عشيّة الجولة الأولى من الرئاسيّات، وليس لدى أيّ منها الاستعداد اللازم للمساس بمصالح فئة الـ1% المهيمنة على المال والنفوذ في الجمهورية.

الخطر الآخر يكمن في التوقيت السيّئ الذي يتوحّد فيه اليسار للفوز بالسلطة. ففرنسا، كما بقيّة أوروبا، لمّا تتعافى بعد من مترتّبات الأزمة المالية العالمية (2008)، ولا هي تجاوزت بالكلّية انعكاسات جائحة «كوفيد 19»، وها هي الدولة الفرنسية العميقة تكرّس في الوقت نفسه عديد مواردها لخدمة المجهود الحربي لأوكرانيا في مواجهة العملية العسكرية الروسية هناك، بينما يتصاعد التضخّم لحتمياً نتيجة الحرب الاقتصادية التي تشنّها الولايات المتحدة على روسيا، والضغوطات الهائلة وغير المسبوقة على واردات الطاقة. وعليه فإن أيّ حكومة يسارية ستكتشف سريعاً أن ليست لديها لا الميزانية ولا القدرة على إدارة تفاقم الظروف الاقتصادية الصعبة في البلاد، ما لم تتبنّ سياسات جذرية بصيغة ما، وهو أمر لن يُرضي المنظومة بحال، ما يعني فشلاً محتّماً للتجربة، وفقدان ثقة الجماهير مجدّداً باليسار - إن حكم - في أيّ استحقاقات انتخابية قادمة. ولذلك تماماً، فإن فوز التحالف الجديد في الانتخابات التشريعية المقبلة لا يثير قلقَ أحد: لا الدولة الفرنسية العميقة، ولا بروكسل، ولا واشنطن. ولذلك أيضاً، فربّما يكون المسار الأكثر حصافة لليسار الفرنسي في هذه المرحلة الاكتفاء ببناء كتلة معارضة فاعلة داخل البرلمان، من دون تولّي تشكيل الحكومات.

يقدّم التحالف اليساري، على علّاته، بديلاً مرحلياً موثوقاً من التجربة النيوليبرالية الباهتة في ظلّ ماكرون (أ ف ب)

استراحة

كلمات متقاطعة 4036

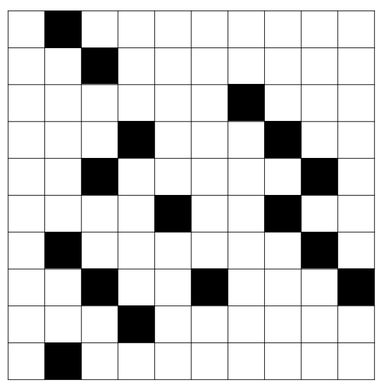

أفقيا

1- نُصب صخريّ جبار في مصر – 2- من وجوه الثورة الفرنسية – نوتة موسيقية – 3- فريق غنائي سويدي معتزل – مدينة تركية – 4- فكّ العقدة – فقد حياته – طالع الكتاب – 5- شاركه وشاطره – ينبوع بالأجنبية – 6- يجري في العروق – للتمني – قطعة ارض ضيقة في علم الجغرافيا محصورة بين بحرين موصلة برّاً ببرّ – 7- بطل سباق سيارات كندي راحل – 8- مدينة فرنسية – بئر عميقة – هيئة الملابس – 9- مدينة إيطالية – من الحيوانات – 10- قصر سياحي لبناني

عمودياً

1- مدينة كويتية – إله – 2- مدينة عراقية – شهر أيار بالأجنبية – 3- وكالة أنباء عربية – كسر الخبز اليابس بالعامية – 4- متشابهان – دولة آسيوية – 5- مدينة قبرصية – عكسها حرّك نصب – 6- ممثلة وراقصة شرقية مصرية راحلة – عائلة رئيس إيراني سابق – 7- في العود – هيجان الريح – 8- قرع الجرس – سرب من الطيور – فقد عقله – 9- سفيرتنا الى النجوم – ربط وشدّ – 10- سوق شهيرة في القاهرة

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- الأصمعي – أر – 2- فينيكس – سلم – 3- ترسانات – 4- واحة – كابري – 5- دكا – تر – ويل – 6- يورام – غرام – 7- تا – حسون – فح – 8- ديك الجن – 9- بو – أحبّ – مر – 10- مرهم – ابوجا

عمودياً

1- أفروديت – بم – 2- لي – اكوادور – 3- إنتحار – 4- صيرة – أحكام – 5- مكس – تمساح – 6- عساكر – ولبا – 7- نا – غنج – 8- سابور – نمو – 9- الترياق – رج – 10- رم – يلمحه

4036 sudoku

1		7			6		8	
	2		1		7			
8	4							5
5	6	4			2		9	
	1		6		4		2	
			3			4	1	6
9							3	
			7		8		6	
	3		2			8		7

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4035

3	8	2	5	6	4	7	1	9
4	1	6	9	8	7	3	2	5
5	7	9	1	2	3	6	8	4
1	2	5	6	4	8	9	3	7
7	4	8	3	1	9	5	6	2
9	6	3	7	5	2	8	4	1
6	9	7	2	3	1	4	5	8
2	3	4	8	7	5	1	9	6
8	5	1	4	9	6	2	7	3

مشاهير 4036

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

ملحنة ومؤلفة ومغنية وممثلة مصرية بدأت الغناء في سن مبكرة. عازفة موسيقى على آلة الأكورديون. تعلمت العزف أيضاً على آلة البيانو ونظريات التأليف الموسيقي

5+6+1+3+2 = خلاف العسر ■ 7+10+3+4+11 = عاصمة زيمبابواي ■ 8+9 = للندبة

حل الشبكة الماضية: **جيسيكا ستروب**

إعداد
نعوم مسعود

البلاد

عاصمة البلاد

«مسيرة الأعلام» تُنذِر بجولة نار: موعد جديد مع القدس!

في الوقت الذي تضع فيه المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة يديها على الزناد لمنع الاحتلال من كسر قواعد الاشتباك التي أرستها معركة «سيف القدس»، تتعالى الدعوات لسكّان القدس والضفة الغربية والداخل المحتلّ إلى الرباط في المسجد الأقصى، ومواجهة «مسيرة الأعلام» يوم الأحد. وفي هذا الإطار، حضّ إمام وخطيب المسجد الأقصى، الشيخ عكرمة صبري، على شدّ الرحال إلى الحرم القدسيّ والاعتكاف فيه، مشدّداً على أن الاعتكاف غير مشروط في شهر رمضان، محذّراً الاحتلال من منع الاعتكاف أو الاحتكاك بالشبّان الفلسطينيين. وإذ أكثر من 30 ألف مصلٍّ، أمس، صلاة الجمعة في الأقصى، على رغم محاولة سلطات العدو منع المواطنين من الوصول إليه، عبر نشر قوّاتها في شوارع المدينة ومحيط الحرم، والتمركز عند بوّاباته، وإيقاف المصلّين والتدقيق في بطاقاتهم الشخصية، ومنع العشرات من دخول المسجد، وإيقاف الحافلات واعتقال الشبّان بشكل عشوائي. وأفادت معلومات صحافية بأن شبّاناً مقدسيين، وأثناء توجّههم للصلاة في الأقصى، تصدّوا للمستوطن خلال رفعه علم الاحتلال في باب السلسلة في البلدة القديمة، بحماية شرطة العدو.

وعلى مدار الأسبوع، توالت الدعوات المقدسية للاعتكاف في المسجد، بدءاً من يوم الجمعة، للتصدّي لاقتحامات المستوطنين، ومسيرتهم الاستفزازية. وحثّت هيئات شعبية وفصائلية على المشاركة الواسعة في فعاليات القدس»، وهو اليوم الذي تمكّن العدو فيه من دمج شطرَي المدينة، الشرقي والغربي، تحت سيطرته، عام 1967، وذلك بعد معارك مع الجنود الأردنيين الذين دافعوا عن الشطر الشرقي. ومن أهمّ فعاليات هذه الذكرى في كلّ عام، ما يُعرف بـ«مسيرة الأعلام» أو «رقصة الأعلام» التي يشارك فيها عشرات الآلاف من المستوطنين - بينهم عدد كبير من الصبية والمراهقين -، الذين يتمّ حشدهم من مختلف المناطق للوصول إلى القدس، حيث يقومون برقص استفزازي في البلدة القديمة والحيّ الإسلامي، ويردّدون شعارات عنصرية ضدّ العرب والمسلمين، ويرفعون الأعلام الإسرائيلية بكثافة.

والمسار التقليدي لـ«مسيرة الأعلام»، هو ابتداءً من وسط القدس ثمّ عبر باب العمود، مروراً بالحيّ الإسلامي، وصولاً إلى حائط البراق. وفي بعض الأحيان، يقتحم المستوطنون المسجد الأقصى خلال المسيرة أو عقبها مباشرة، من باب المغاربة، ويدورون حول مسجد قبّة الصخرة رافعين الأعلام الإسرائيلية، حيث تقع المواجهات مع الفلسطينيين، قبل أن يخرجوا بائّجاه باب السلسلة.

وبدأ إحياء هذه المناسبة عام 1974، لكنه توقّف خلال الفترة ما بين عامَي 2010 و2016 بسبب المواجهات التي كانت تندلع بين المستوطنين، وأهالي البلدة القديمة والفلسطينيين، الذين يحتشدون عادةً في مثل هذه المناسبات للرباط في القدس، والتصدّي لاعتداءات المستوطنين على المسجد الأقصى. وهذا العام، دعت «جماعات الهيكل»، وعدد من قادة اليمين المتطرّف في الحكومة الإسرائيلية، إلى اقتحام الأقصى في ذكرى «يوم القدس» الصهيوني، مع الإصرار على تمرير «مسيرة الأعلام» وفق مسارها الأساسي. كما دعت جماعة تطلق على نفسها اسم «لاهافا» إلى هدم مسجد قبّة الصخرة وبناء الهيكل فوق أنقاضها، ما دفع الفلسطينيين إلى الاستنفار والاستعداد للدفاع عن المسجد.

(الأخبار)

(الناضول)

الأعلام الفلسطينية المضادّة لمسيرة المستوطنين في باب العمود والقدس، وذلك خشية انفلات الأوضاع وتدحرجها إلى اشتباكات واسعة.

> نشرت قوات الاحتلال الآلاف من الجنود وأفراد الشرطة وحرس الحدود في المدينة

وعلى المستوى السياسي، تواصلت تصريحات مسؤولي الاحتلال المؤكّدة استمرار «مسيرة الأعلام» وفق مسارها. وفي هذا الإطار، قال وزير الجيش، بيني غانتس، إن «حماس لن تهدّد سيادتنا، لقد أطلقت العام الماضي صواريخ وندمت»، بينما ذكرت صحيفة «يسرائيل هيوم» العبرية أن الحكومة تتبع حالياً سياسة عدم الرضوخ لأيّ تهديد من الفصائل في قطاع غزة. إلّا أن رئيس الحكومة، نفتالي بينت، يخشى بالفعل من فقدان السيطرة وتدهور الأوضاع، في ظلّ استقرار سياسي هشّ، وتحذيرات من أعضاء «كنيست» عرب من حزبَي «الموحّدة» و«ميرتس» من نتائج المضيّ بالمسيرة، وهو الأمر الذي دفع قادة الائتلاف إلى البعث برسائل إلى هؤلاء الأعضاء تحضّهم على تهدئة الأوضاع.

ويُحيي المستوطنون الإسرائيليون في الأراضي المحتلّة، وخصوصاً في مدينة القدس، سنوياً، ذكرى «توحيد

شتات

صيّادو المخيّمات: البحر من أمامنا والقمع من ورائنا

حنين رباح

الوصول إلى البحر هو أكثر من مجرّد حق الوصول إلى الموارد الطبيعية. هو حق جماعي وغيابه يحدّد علاقتنا بالمكان. عند الدخول إلى مخيم الرشيدية، كان لافتاً التناقض بين انفتاح المكان على البحر والحقول الزراعية المجاورة مع مدخل المخيم الذي هو عبارة عن نقطة تفتيش للجيش ونقاط المراقبة التي تصل حتى شاطئ البحر.

البحر هنا قمع ملثّم وحزية وهمية. «لا مكان للإبحار»، يقول الصياد محمد غالب. وجد الصيادون الفلسطينيون في لبنان أنفسهم أمام أزمتين: الأولى «كونهم لاجئين»، والثانية الارتفاع «الجنوني» للدولار مقابل الليرة اللبنانية. ما يعني زيادة أسعار معدات الصيد من شباك و«تقّال» وزيادة في أسعار المازوت والبنزين لتحريك «الشختورة» يومياً.

يشكو الصيّادون: «كلّ خسارة بخسارة، والأمل متروك عالبحر»، بحسب تعبير غالب. أبحر أمس على شاطئ مخيم الرشيدية، فلم يجد إلا سمكتين بعد أسبوعين من «تبييت» الشباك. «نتحدى الملاحقات بسبب عدم قانونية الصيد لمن لا يملك بطاقة بحرية، وجميعنا هنا لا نملكها لأن الدولة اللبنانية قررت عدم منحها»، هكذا يصوّر عملية الصيد التي «لا ترتّ تعبها والمال الذي نصرفه يومياً لنصل إلى بضعة الأمتار في البحر».

عاد غالب إلى منزله مبتئساً شباكه بعد 10 ساعات من العمل لبيع الغلة بـ200 ألف ليرة لبنانية. هذه البقعة لا تصلح للصيد بعد تعرّض شاطئ صور، ومن ضمنه شاطئ الرشيدية، إلى عملية شفط الرمول خلال الحرب الأهلية وتم ردمه من مخلّفات المخيم وتحويله إلى مكب نفايات المخيم مع غياب التنظيف من قبل وكالة «الأونروا». رغم هذا الواقع فإن غالب يقول: «هذا البحر لي»، معبّراً عن المساحة الوحيدة التي يمكن أن يرى من خلالها فلسطين. ويضيف: «بحصار المخيمات لولا البحر لكان الناس ماتوا جوعاً وحزناً».

تزداد أزمة الصيد البحري حدّة. ففي حين كان يُعتبر مخيم نهر البارد هو واجهة المخيمات الفلسطينية على البحر ومقصد منطقة الشمال لبيع السمك، لجأ الصيادون إلى ميناء العبدة بعد الأحداث العسكرية في المخيم. مُنع الصيّادون من الاقتراب من شاطئ المخيم وشُحبت «بطاقات البحرية» منهم، ما جعل أكثر من 100 صياد يلجأون إلى ميناء العبدة للإبحار والصيد. يجمع القارب من 4 إلى 5 صيادين في رحلة الصيد. صيادو المخيم لا يمكنهم اقتناء قارب صغير لأنه يحتاج إلى رخصة والفلسطيني ممنوع منها، وفي حال سُمح له يكون 51% منه مسجّلاً باسم لبناني. هذا المخيم الذي كان يملك سوقاً للسمك أصبح يشتري أهله الأسماك من سوق العبدة ويبيعها داخل المخيم.

(هيثم الموسوي)

> رغم هذا الواقع فإن غالب يقول: «هذا البحر لي»، معبّراً عن المساحة الوحيدة التي يمكن أن يرى من خلالها فلسطين

«أصبح الصيّاد هو السمكة التي غرقت في الوحول»، هكذا يعبّر نقيب الصيادين الفلسطينيين السابق عبد الحافظ حسن عن الدوامة التي وقع فيها الصيّادون، إذ لا يمكنهم ترك هذه المهنة، إذ في الوقت نفسه لا تجلب لهم مصاريف يومهم. «لا يمكن مقارنة الصيّاد اللبناني بالفلسطيني فرغم الأزمة الاقتصادية وارتفاع سعر المحروقات والشباك التي بات يكلف إصلاحها 100 دولار وارتفاع تكاليف الصيد بأكثر من 1000% مقابل زيادة 30% على سعر السمك، فإن وقع الأزمة على الفلسطيني تُضرب بعشرة أضعاف». فالفلسطيني، بحسب حسن، «لا يمكنه الانضمام إلى النقابة التي تضمن حقوقه وتقدم بعض المساعدات في حال الأزمات وشحّ الصيد وفي حال حصول أي ضرر يتحمّله على نفقته الخاصة، في وقت تقدم فيه النقابة للصيادين اللبنانيين مساعدات نقدية وعينية وتؤمّن مساعدات من مؤسسات دولية ومحلية وبطاقة بحرية تسمح لهم بالإبحار إلى مسافات أبعد، ما يمكنهم من زيادة محصولهم، كما تغطي تكاليف علاجهم في حال تعرضوا لأي إصابة». هذه العراقيل تتفاقم مع كل أزمة أمنية يمكن أن تعصف بالشمال، إذ ربما يتوقف كل الصيادين الفلسطينيين عن الصيد لمدة قد تزيد عن شهر.

الوضع ليس أحسن الآن في ميناء صيدا، سوى أن الصياد الفلسطيني يحظى بقبول أكبر لدى الزملاء اللبنانيين. يعتبر الصيّاد الفلسطيني محمد حسن، من صيدا، أن النقابة الفلسطينية «ليست سوى منظر» إذ لا تقدم أي مساعدات أو دعم للصيادين. «ما يتوفّى معنا»، يكرر الصيّادون كلما بدأوا الحديث عن سعر السمك في الأسواق. وفي حديث مع نقيب الصيادين اللبنانيين في صيدا نزيه سنبل، يعتبر أن النقابة هي من تغطي عدم شرعية الصيادين الفلسطينيين، فأغلب هؤلاء الصيّادين هم «صيّادون بالوراثة». ويعتبر أن سبباً من أسباب الأزمة الحالية في شحّ الصيد في أغلب الساحل اللبناني هو كثرة الصيّادين وتجمّعهم في منطقة معيّنة، فنجد أن عدداً كبيراً منهم لا يقومون برحلات صيد يومية، فالرحلات تتم بالمداورة بالإضافة إلى شح الأسماك نتيجة تغيّر المناخ، في وقت كانت تدخل فيه أطنان السمك إلى سوق صيدا.

الصيّادون يواجهون يومياً البحر من أمامهم والقمع من خلفهم ويسيرون إلى مصير مجهول، في ظل غياب تام لدور «الأونروا» في متابعة قطاع الصيّادين اللاجئين، والانقسام الفلسطيني الحادّ الذي جعل منصب نقيب الصيّادين شاغراً منذ عام 2019.

تحت الاحتلال

«بدنا ولادنا»... حتى لا يبقى شهداؤنا أرقاماً

يوسف فارس

كان الاعتقال طوال العمر، لا يُشبع شرهَ إسرائيل إلى الانتقام من الأسرى، حتى تحتجز رفاتهم بعد استشهادهم في سجونها. أقدم الشهداء الأسرى هو أنيس دولة من قلقيلية، والذي استشهد عام 1980 في سجن عسقلان، ولا يزال جثمانه محتجَزاً إلى جانب تسعة آخرين في ما يُعرف بـ«مقابر الأرقام». وتُشير هذه التسمية إلى مجموعة من المقابر السرّية، التي يحتجز فيها الاحتلال جثامين الشهداء، لا سيّما من منفذي العمليات الفدائية، إلى حين تسليمهم في صفقات تبادل أو غيرها، ويعتبرها العدو مناطق عسكرية مغلقة، يُمنع الوصول إليها من دون موافقة مسبقة من جهاز المخابرات «الشاباك». وسُمّيت بهذا الاسم بالنظر إلى أن سلطات الاحتلال تضع أمام كل قبر لافتة صغيرة تحمل رقماً يرمزّ إلى الشهيد، من دون كتابة اسمه.

الأسير الشهيد سعدي الغرابلي من قطاع غزة، احتُجز جثمانه بعد استشهاده في معزله الانفرادي الذي قضى فيه قرابة 12 عاماً. وكان الغرابلي (75 عاماً) قد قضى نحبه صيف عام 2020، نتيجة لسياسة الإهمال الطبي المتعمد التي تنتهجها مصلحة إدارة السجون الإسرائيلية بحق الأسرى المرضى. محمود، وهو أحدُ أبناء الشهيد الغرابلي الذي تحدّث، يؤكد أنه وحتى خلال سنوات اعتقال والده منذ عام 1994، «فقد جرم أولاده وأحفاده من زيارته، وتسبّب ذلك في زيادة أعباء الأسر عليه، لتُصاب بعدة أمراض، على رغم أنه دخل السجن قويّ البنية، وسليماً من الأمراض المزمنة». واليوم، تطالب عائلته بإطلاق سراح جثمانه. يقول عصام الغرابلي: «من حقّنا أن نُلقي عليه نظرة الوداع الأخيرة، من حقّنا أن نشيّعه ونكرم مثواه بطريقة نليق به، من حقّنا أن نعرف مكان قبره، نزوره ونستأنس به ويستأنس بنا». والجدير ذكره، هنا، أن إسرائيل تحتجز جثامين كل من الشهداء: فارس بارود من غزة، نصار طقاطقة من بيت لحم، بسام السايح من نابلس، كمال أبو وعر من جنين، وأخيراً جثمان الشهيد داوود الزبيدي، عقب اغتياله في مخيم جنين. وبحسب إحصائيات رسمية، فإن

> سعدي الغرابلي احتُجز جثمانه بعد استشهاده في معزله الانفرادي الذي قضى فيه قرابة 12 عاماً

الاحتلال يحتجز جثامين 350 شهيداً في ثلاجات تجميد الموتى و«مقابر الأرقام»، وسط خشية عائلاتهم من سرقة أعضائهم للإتجار بها.

ولأجل تحريك هذا الملفّ، أطلقت الحركة الأسيرة، بالتنسيق مع كافة مؤسسات وهيئات الدفاع عن الأسرى في قطاع غزة والضفة الغربية المحتلة، حملة «بدنا ولادنا» للمطالبة بالإفراج عن جثامين الشهداء، لا سيّما الأسرى منهم، والذين جرمت عائلاتهم من العيش معهم خلال سنوات الأسر الطويلة، وجرمت أيضاً من اللقاء بأجسادهم موتى، وإلقاء نظرة الوداع عليهم. وانطلقت فعاليات الحملة في مؤتمر صحافي عقد الأسبوع الماضي، من أمام بيت الأسير الشهيد سعدي الغرابلي في حيّ الشجاعية شرق مدينة غزة، وهي تشمل جملة من الفعاليات الشعبية والإعلامية والإلكترونية. وفي كلمة له خلال المؤتمر، قال القيادي في «حركة الجهاد الإسلامي»، خالد البطش: «نلتقي لنعلي صوتنا حول جريمة مستمرّة عن عشرات السنين، جريمة لا يمارسها في العالم إلا العدو الصهيوني ولا تمارَس إلا داخل الكيان الذي صنعه المجتمع الدولي». وتابع البطش: «الأسرى الشهداء في مقابر الأرقام سيتمّ إطلاق سراحهم رغم أنف العدو، ولنا تجربتنا في فصائل المقاومة في صفقات التبادل، وأخرها وفاء الأحرار».

من جهتها، أكدت عضو الأمانة العامة لـ«الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» ورئيسة دائرة شؤون الأسرى والمحررين، منى قعدان، أن «الاحتلال يتعمّد سياسة الإهمال الطبي بحق الأسرى المرضى، وهو ما أدّى إلى استشهاد 72 أسيراً، بينهم 23 أسيراً قضوا نتيجة سياسة الإهمال الطبي المتعمّد، وهو ما يرقى إلى جريمة القتل العمد». وأشارت، في حديث إلى «الأخبار»، إلى أن «الاحتلال يحتجز جثامين 9 شهداء من قطاع غزة، بينهم 4 أسرى، وهو ما يشكّل انتهاكاً فاضحاً لكل القوانين والأعراف الدولية»، مؤكدة أن «الحركة الأسيرة ستواصل فعالياتها حتى استعادة جثامين الشهداء».

من جهته، أكد مدير مؤسسة الشهداء والأسرى «مهجة القدس»، أن احتجاز الجثامين هو «جريمة حقوقية وإنسانية، يتفرّد الاحتلال الإسرائيلي بارتكابها». ووفقاً لـ«مركز القدس لحقوق الإنسان»، فإنه وعلى الرغم من اعتراف المحكمة العليا الإسرائيلية، لأوّل مرّة، بعدم قانونيّة احتجاز الجثامين وفقاً للوائح الطوارئ التي سُنّت إبّان الانتداب البريطاني، فقد منحت الحكومة مهلة ستة أشهر لسنّ قانون يسمح لها باحتجاز الجثامين. ويرى الأسير المحرَّر، مصطفى مسلماني، من جهته، أن «إسرائيل تريد من هذا السلوك الإجرامي معاقبة ذوي الأسرى، الذين ينتظرون أبناءهم للخروج من الأسر سنوات طويلة، وهي تستمرّ في ارتكاب جريمتها حتى بعد استشهاد الأسرى». ويقول: «هي وسيلة إسرائيلية عقابية على الفعل المقاوم الذي لا شكّ يزعج الاحتلال، وهي أيضاً وسيلة ابتزاز تسعى إسرائيل للحصول من خلالها على أثمان سياسية وعسكرية، في صفقات تبادل مثلاً، أو في محاولات إظهار حسن النيّة، والتي تتزافق مع وجود مبادرات سياسية معيّنة».

وجوه

محمد حميدة
أعزف «اليرغول»... وأنسى داءً ودواء

أحمد زقوت

ينفخ الشاب محمد حميدة في آلة «اليرغول» التي صنعها من أغصان نباتات الغاب أو القصب البرّية (البُوص) المُنتشرة في وادي عزبة في بيت حانون شمال قطاع غزة. مُطرباً سامعيه بالألحان الشعبية والتراثية الفلسطينية. يعيش حميدة (20 سنة) في منزل متواضع في بيت حانون، وتتألّف عائلته من 8 أفراد يعيلهم من صُنع آلات «اليرغول» وبيعها. علماً أنه ترك المدرسة منذ سنوات، وعمل في الكثير من المهن لتأمين مستلزمات أسرته وسط الظروف الاقتصادية الصعبة السائدة في غزة، لكنّه أحبّ «اليرغول» وحَلَم باستخدامها للعزف. يقول حميدة، لـ«الأخبار»: «أستيقظ كلّ صباح مع شروق الشمس، وأقصد مَزارع بيت حانون التي تضمّ نبات البُوص، فأنتقي الأغصان القوية التي قد تجرح يدي، وهو أمرٌ اعتدت عليه، علماً أن قصّ البُوص يحتاج إلى قوّة كبيرة، لذا أستخدم من أقدم الآلات التي عرفها التاريخ نظراً إلى بساطتها وسهولة استخدامها، ويُقال إن الطبيعة هي أوّل من اكتشفتها، حيث إنّ هبوب الرياح كان يساعد على إصدار أصوات معيّنة في أيّ قطعة من نبات الغاب أو القصب المجوّفة». وإذ يشبّه الكثيرون آلة اليرغول بالناي على صعيد الشكل، يشرح حميدة الفرق بينهما بالقول: «تُنتج اليرغول ألحاناً أعلى من خلال النفخ القوي، وهي أقصر من الناي على صعيد الطول، وتختلف نغماتها عن الناي في السلّم الموسيقي». ويلجأ محمد إلى طُرُق عدّة لبيع اليرغول، بينها عرضها أمام الناس، لكن العديد من أبناء الجيل الجديد لا يعرفون هذه الآلة.

يعزف حميدة الألحان الفلسطينية والفولكلور الشعبي والأغاني الشامية والتركية، وقد لاحظ من خلال بحثه في الإنترنت عن أغانٍ وألحان تُعزف على اليرغول، أن شعوب منطقة بلاد الشام وتركيا هي الأكثر استخداماً لهذه الآلة. ويؤكد أن «مهاراته في العزف تطوّرت بشكل كبير، إلى درجة أن الكثيرين أصبحوا يتعلّمون منه، ويتجمّعون في بلدة بيت حانون ليُرافقوه في العزف». ويَعتبر أن عزفه يروّح عن نفوس كثيرين، خصوصاً عند شاطئ البحر، وخلال فصل الصيف ووقت الغروب، «وهي المواقع والفترات الأفضل للعزف». ويلفت إلى أنه «كان يرفض في البداية تلقّي مال من الناس الذين يستمعُون إلى عزفه، ويعتقدون بأنه يفعل ذلك للحصول على مال، وعندما تكرّر هذا الموقف أصبح يضعُ الآلات إلى جانبه كي يفهم الناس أنه يريد بيعها». ويختم حديثه بالقول: «أطمح دائماً إلى الحصول على دخْل جيّد من البيع، في فصل الشتاء يقلّ الدخل، أمّا في أيّام الإجازات، حيث يتواجد الناس لفترات طويلة، فأحرص على قضاء ساعات لتعويض البيع، وأطمح إلى احتراف عزف اليرغول، وأريد أن أنضمّ يوماً إلى فرق معروفة في التراث الفلسطيني، حتى أعزف وأحسّن دخْلي».

البلاد

اسرائيليات

تقول النبوءات الإسرائيلية في «التناخ»، العهد القديم، إن انهيارات «مملكة إسرائيل» اسبابها داخلية، حيث تنشب الصراعات بين «قبائل إسرائيل». وفي النهاية فإن الله سيفعل كما فعل سابقاً: «مزّق مملكة سليمان تمزيقاً». هذه النبوءات تأخذ حيّزاً من الخطاب الإسرائيلي اليوم مع دخول الكيان عقده الثامن، وتترجم سياسياً بهاجس القلق من تفجّر الانقسامات الداخلية

«لعنة الثمانين»: نبوءة الزوال تحاصر إسرائيل

قاسم س. قاسم

تؤمن غالبية القيادات الإسرائيلية بلعنة عقد الثمانين. بحسب الروايات الإسرائيلية، فإن غالبية ممالك بني إسرائيل بعد النبي سليمان انهارت خلال العقد الثامن، (على مرّ التاريخ اليهودي لم تُعمر لليهود دولة أكثر من 80 سنة إلا في فترتين: فترة الملك داود وفترة الحشمونائيم، وكلتا الفترتين كانتا بداية تفكّكها في العقد الثامن. يتوجب استخلاص العبر من التشرذم والانقسام اللذين عصفا بممالك اليهود السابقة والتي بدأت بالاندثار على أعتاب العقد الثامن»، هذه القراءة ليست صادرة عن حاخام يهودي، أو حتى عن شخص متديّن، فمن قالها هو رئيس الحكومة الأسبق، والجندي صاحب أكثر الأوسمة في تاريخ إسرائيل، إيهود باراك. في مقال في صحيفة «يديعوت أحرونوت»، يتخوّف باراك، الصهيوني اليساري، من حالة الانقسام الداخلي الذي يعيشه المجتمع الإسرائيلي، والكراهية الموجودة بين اليمين واليسار، والمتديّن والعلماني، والمتديّن الصهيوني والمتديّن اليهودي.

وهذا الشعور يعتمل قلوب أغلب الساسة الإسرائيليين، اليمينيين واليساريين، وقد عبّر عنه رئيس الكيان الأسبق رؤوفين ريفلين، في مؤتمر هرتسليا عام 2017، عندما قال إن الانقسام الموجود في المجتمع الإسرائيلي والقائم على مستوى الهوية والتوجهات، قسّم المجتمع الإسرائيلي إلى «قبائل أربع»: 38% يهود علمانيون، 15% يهود صهاينة، 25% عرب و25 يهود أصوليون «حريديم» غير صهاينة. هذا الواقع الإسرائيلي يجبر قادة الكيان على مواجهة أسئلة وصفها ريفلين بالصعبة: «هل نحن معشر الصهيونية نستطيع التسليم بهذا الواقع؟ هل نستطيع أن نسلّم بالحقيقة بأن نصف السكان في إسرائيل (عرب ويهود أصوليون) لا يعرفون أنفسهم كآباء المعسكر الصهيوني ولا ينشدون النشيد الوطني هتكفاه (الأمل)».

أكثر ما يفسّر هذا الانقسام هو حالة الجمود السياسي التي عاشها المجتمع الإسرائيلي في السنوات الأربع الماضية. إلا أن «القبائل» قرّرت الاجتماع في الحكومة الحالية، برئاسة نفتالي بينت، لتثبت هذه الحكومة أن الانقسام المجتمعي الإسرائيلي انعكس على أدائها الضعيف، حيث أسخف المواضيع، مثل «الخميرة» (استقالت رئيسة الائتلاف الحكومي عيديت سيلمان منه بسبب إدخال الخميرة إلى المستشفيات خلال عيد الفصح اليهودي)، يمكنها أن تفكك الائتلاف. لعنة العقد الثامن، التي أدت إلى انقسام مملكة داود وسليمان وانهيار دولة الحشمونائم بحسب الرواية اليهودية، تلاحق كل قادة

> يحرص كل رئيس حكومة على عدم الوصول إلى حرب أهلية في عهده

العدو، إذ سبق باراك وريفلين رئيسَ الحكومة السابق بنيامين نتنياهو، الذي قال، في تصريح نقلته صحيفة «هآرتس» عام 2017، إنه يتوجب على إسرائيل أن تستعد من الآن لخطر وجودي لكي تتمكن من الاحتفال بالذكرى المئوية لإقامتها.

وأضاف: «مملكة الحشمونائيم اليهودية التي حكمت أرض كنعان قبل الميلاد بحوالي 140 عاماً لم تعمر لأكثر من 80 عاماً».

الحرص على نجاح الكيان في اجتياز لعنة العقد الثامن تشغل بال قيادات العدو ومثقّفيه. لذلك يحرص كل رئيس حكومة على عدم الوصول إلى حرب أهلية في عهده وتجنّب الانهيار من الداخل كما حصل مع ممالك اليهود السابقة، معرباً عن خشيته من ذلك المصير. وهو ما عبّر عنه رئيس الحكومة الحالي نفتالي بينت في تصريحات بداية العام الحالي: «يتوجب التركيز على عدم الانهيار من الداخل؛ لأن أشد ما يواجه إسرائيل هو خطر التفكك داخلياً، وبالتالي الاندثار كما حصل بممالك اليهود السابقة».

(أ ف ب)

منذ تأسيس الكيان، ثمّة صراع بين الفكرين اليهودي والصهيوني، واستطاع الثاني استغلال الأوّل لبناء روايته لتأسيس «دولة إسرائيل». وهو ما خلص إليه باراك في كتابه «دولتي، حياتي»: «إن احتمال قيام دولة يهودية على أرضنا القديمة بمثابة هدية معجزة تقريباً من الله. ولكن في مواجهة حقيقة أن معظم اليهود الذين كانوا في طليعة من قاموا بذلك كانوا غير متديّنين، اختار الحاخام كوك (حاخام اليهود الرئيسي في فلسطين خلال الانتداب البريطاني)، ان يحتضنهم بدلاً من شجبهم أو تشويه سمعتهم أو محاولة نزع الشرعية عنهم. لم يتغاضَ عن فشلهم في الحفاظ على قوانين اليهودية. لكنه خلص إلى أنه إذا كان الله قد اختار اليهود غير الملتزمين كجزء من عودتنا إلى أرضنا، فإن مجرد كائن بشري، حتى الحاخام الرئيسي، ليس في وضع يسمح له بالاعتراض عليه».

وأضاف: «من ناحية الموضوعين الرئيسيين للفكر اليهودي والصهيوني - أهمية وحدة الشعب اليهودي، عام يسرائيل، أو أرض إسرائيل (إيرتس يسرائيل)، اختار الحاخام الرئيسي الوقوف إلى جانب الشعب على الأرض. لكن هذا تغيّر في السنوات التي تلت حرب 1967. كريات أربع، المستوطنات الدينية الأخرى التي تلت ذلك، والحركة القومية الدينية التي نظّمتها، والمعروفة باسم غوش إيمونيم، استلهمت من نجل الراحل راف كوك، الحاخام تسفي يهودا كوك، حيث أصبحت الأولوية لأرض إسرائيل».

الأرض والعمل في الاستعمار الإسرائيلي

يحيى الطيب

ثمّة فجوة معرفية في القراءات العربية التي تناولت الاستعمار الإسرائيلي لفلسطين من دون التحليل الدقيق للسياق الاقتصادي والاجتماعي ما قبل النكبة (1948)، فيما دأبت القراءات الإسرائيلية لدراسة الوضع التأسيسي للكيان المُحتل على نظرة اقتصادية واجتماعية مفصولة عن سياق استعماري. وهناك كتابات قليلة استطاعت أن تشرح طبيعة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، لكن ليس بمعزل كامل عن المجتمع الفلسطيني، وخصوصاً اللحظات الأولى للمواجهة بين المستوطنين الصهيونيين والفلسطينيين السكان الأصليين. توقفت هذه الكتابات أمام العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي اصطدم بها مشروع الاستعمار الصهيوني منذ بدايته، وتركت أثراً على شكل مؤسساته وأسلوبه الاستيطاني. لا يُمكن الإشارة إلى تلك الأعمال بالكمال، لكنها كانت نقاطاً فارقة في دراسة الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين العربية، وهنا يكمن أهمية إلقاء الضوء عليها.

عام 1989، ظهرت دراسة بعنوان: «الأرض والعمل وأصول الصراع الإسرائيلي الفلسطيني (1882-1914)» لعالم الاجتماع غيرشون شافير، الذي قدّم رؤيته حول أصل الصراع «بين الشعبين: العربي – اليهودي» على الأرض وأسواق العمل في فلسطين خلال السنوات الأخيرة من الحكم العثماني، وهي الفترة المتزامنة مع الموجتين الأولى والثانية للهجرة الصهيونية الحديثة. يعزّز شافير هذا التحليل من خلال تحديد لحظات تاريخية بارزة (تحقيب) مثل: اندماج أراضي الإمبراطورية العثمانية في السوق الرأسمالية العالمية، وحركة الاستعمار الأوروبي في الخارج، وصعود القومية في أوروبا الشرقية، وتلك اللحظات تشكّل سياق مشروع الاستيطان الصهيوني في فلسطين.

استناداً إلى تصنيف التوسع الأوروبي الإمبريالي في الخارج، الذي وضعه ديفيد فيلدهاوس في كتابه «الإمبراطوريات الاستعمارية من القرن الثامن عشر»، وجورج فريدريكسون في كتابه «التفوّق الأبيض: دراسة مقارنة لتاريخ أميركا وجنوب أفريقيا»، ثمّة ثلاثة أشكال من الاستعمار القائمة على استيطان جماعي أوروبي كالآتي:

1- إنشاء مستعمرات مختلطة تعتمد على عمالة السكان الأصليين مثل الاستعمار الاستيطاني الإسباني في المكسيك.

2- إنشاء مستعمرات مزارع وجلب عمالة رخيصة (عبيد على سبيل المثال) من الخارج مثل: استعمار الأوروبيين لجنوب أميركا الشمالية.

3- إنشاء مستعمرات استيطان محض، حيث تكون قوة العمل مقتصرة فقط على المستعمِرين، مثل: استعمار الأوروبيين لشمال أميركا الشمالية.

يؤكد شافير أن إسرائيل ليست «مختلفة تماماً» عن بعض المجتمعات الأوروبية الأخرى في الخارج والتي تم تشكيلها أيضاً في عملية التسوية والصراع مع المجتمعات الموجودة بالفعل. لكن الكيان الإسرائيلي المُحتمل اعتمد على إنشاء مستعمرات استيطان إثنية تستخدم العمالة المحلية من دون دمجها بالمجتمع الجديد، وإنما عزلها في محميات لضمان عدم اختلاطها بالتكوين الاجتماعي الأوروبي من جهة، ولإعادة إنتاجها باستمرار، من جهة أخرى.

في فلسطين اليوم، تقوم الدولة الاستيطانية الإسرائيلية بوصفها كياناً سياسياً يعبّر عن كتلة المستوطنين الاجتماعية وهويّتهم السياسية، أمّا السكان الأصليون فيعيشون داخل حدود الاستيطان من دون أن يكون لهم حقوق سياسية واجتماعية مساوية للمستوطنين، إذ عُزل السكان الأصليون داخل مجمعات سكنية مُسيّجة لإعادة إنتاج العمالة الرخيصة، في ظل نظام عنصري يفصل بين الكتلتين الاجتماعيتين.

تسمح لنا قراءة شافير بالاستفادة من مجموعة واسعة من المقارنات التاريخية بين المشروع الصهيوني والمجتمعات الاستعمارية الأخرى (الولايات المتحدة، جنوب أفريقيا، أوستراليا، الجزائر وكينيا....)، بينما يظل مُحافظاً على السمات التاريخية والجغرافية والديموغرافية المحددة للصهيونية وفلسطين. وعلى الرغم من أن التشابهات جزئية (بين فلسطين وجنوب أفريقيا، في ما يتعلق بالفصل العنصري)، فإن استخدام لغة المقارنة يتيح اختراقاً مفاهيمياً بالغ الأهمية، إذ يعيد صياغة الصراع من قصة أخلاقية عن قوى الخير والشر في العالم ـ نتيجة للارتباط الوثيق بين محاولة الإبادة الجماعية النازية وتأسيس دولة إسرائيل التي شجعها الكثير من الصهاينة ـ ويضعها في صيرورة تاريخ البشرية الحقيقي.

رفض شافير التأويلات المهيمنة على دراسة النماذج الاجتماعية الإسرائيلية، وأبرزها: التأويل الوظيفي الذي يُعطي الإيديولوجيا دوراً رئيساً في بناء الدولة والمجتمع الإسرائيلي مع إقصاء جميع العوامل المادية (الاقتصاد، العسكرة....). ونظرية النخبة التي تُحلل علاقات القوى في المجتمع من منظور دور التكتلات الاقتصادية المؤثرة على البيئة السياسية. فعلى الرغم من كونها أكثر واقعية، فإنها محدودة للغاية في مفهومها السياسي لاستغراقها في الرومانسية التي تجاهلت تماماً ظروف الحياة للمستوطنين الأوائل، ما جعل الصراع بينهم كمستوطنين والعرب الفلسطينيين غير مرئي. لذا يؤكد شافير أن ما يستحق الدراسة في المجتمع الإسرائيلي هي الظواهر التي برزت تحديداً نتيجة الصراع المباشر بين المستوطنين المهاجرين اليهود والسكان العرب الفلسطينيين على الأرض.

يجادل شافير بأن الشروط المسبقة للاستيطان الصهيوني في فلسطين كانت متوفرة، مثل: وجود سوق للأراضي جرى إنشاؤه من خلال اندماج الإمبراطورية العثمانية في السوق الرأسمالية العالمية، وقلّة السكان العرب الفلسطينيين في السهل الساحلي والأودية الداخلية، إن لم يكن في الجبال الوسطى. إذاً، يُقدَّم تاريخ الهجرة الأولى (1882-1903) كمحرّك لإنشاء مستعمرات استيطانية محضة. آنذاك، لجأ المستوطنون إلى المستعمرات التي موّلها البارون روتشيلد لزراعة الكروم وتوظيف العمالة الفلسطينية العربية الرخيصة.

شهدت الهجرة الثانية (1903-1914) حملة استيطانية محضة متجددة تميزت بتصميم العمّال اليهود المهاجرين على طرد العمّال العرب من سوق العمل ـ «احتلال العمل». على الرغم من فشل استراتيجية الإقصاء التام، جرى تقسيم سوق العمل بنجاح، وكذلك تحديد الأجور اليهودية عند مستويات أعلى من الأجور العربية، برغم استمرار العرض الوفير للعمالة العربية الرخيصة في ممارسة ضغط تنازلي على أجور اليهود، ما يجعلها غير كافية لإعالة أسرهم.

ورغم تلك الاقتصادوية في التفسير من قبل شافير وإقراره بنمط الاستعمار المحض، لكنه أقصى الإيديولوجيا ودراسة الحياة السياسية من الصراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي، لذا لم يُلق الضوء على مفهوم «الرأسمالية الاستيطانية» الذي يرى اقتصاد الكيان الإسرائيلي يتطوّر بشكل مختلف عن الدول الرأسمالية الأوروبية، وبشكل مختلف أيضاً عن دول الجنوب التابعة. فالاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي بدأ بإبادة السكان الأصليين ثم تدمير أي نمط إنتاج قائم وتفكيك كُل البنى المؤسساتية والاجتماعية والاقتصادية ليحصل على أرض فراغ يعيد بناءها وفقاً لرؤيته القومية أو الدينية أو العرقية. لذا بعد فشل العمّال اليهود في احتلال العمل، بدأ زعيم جمعية «أغودات يسرائيل» جهداً لتشجيع هجرة اليهود اليمنيين إلى فلسطين. إن مناقشة هذه المحاولة لإرضاء المصالح القومية الرأسمالية واليهودية وفشلها النهائي هو إحدى النقاط البارزة في الكتاب، حيث تتعرض التجريدات الميتافيزيقية، مثل «وحدة الشعب اليهودي» لنقد كبير. ويرى شافير أن مكانة اليهود الشرقيين وموقعهم الطبقي مرتبطان تاريخياً بفكرة أن «قيمتهم الوطنية» كانت أقل من قيمة الأوروبيين.

> تسمح لنا قراءة شافير بالاستفادة من مجموعة واسعة من المقارنات التاريخية بين المشروع الصهيوني والمجتمعات الاستعمارية الأخرى

> هجرة اليهود اليمنيين وتوزيعهم حصرا على المستوطنات الزراعية المختلطة القديمة (موشاف) ساهم بشكل كبير في تهجير العمالة العربية

بمجرد أن أصبحت المهمة الرئيسية للمستوطنين إقامة مستوطنات يهودية حصرية على قطع الأرض غير المتوفرة.

هجرة اليهود اليمنيين وتوزيعهم حصراً على المستوطنات الزراعية المختلطة القديمة (موشاف) ساهم بشكل كبير في تهجير العمالة العربية، وأتاح فرصة لإبعاد اليهود الشرقيين عن «الكيبوتس» ـ المزارع الجماعية التي جرى تطويرها لتخصيص الأراضي لليهود الأشكناز (الغربيين). وهذا كان محاولة للحفاظ على مستوى معيشي أوروبي في مواجهة الضغط الهبوطي على الأجور.

الإطار التحليلي والبيانات التاريخية التي يقدّمها شافير، وخصوصاً حكاية اليهود اليمنيين مقلقة بما يكفي لسيادة الأساطير الصهيونية وتكشف حقيقة أن الأصول والسياسات المبكرة للأحزاب الصهيونية العمالية، والدفاع اليهودي المسلح عن النفس (هاشومير) والزراعة الجماعية (الكيبوتس) لم تكن ناتجة من الالتزامات الأيديولوجية السابقة للصهاينة الأوائل، بل تمّت صياغتها في سياق الصراع بين المستوطنين الصهاينة والفلسطينيين الأصليين على حدود الاستيطان.

من بين أهم استنتاجات شافير أن استراتيجية الحركة العمالية اليهودية المتمثلة في «احتلال العمل» أدّت إلى تفاقم الصراع القومي وسمحت للعمّال باستخدام هذا الصراع لتعزيز نضالهم من أجل البقاء الاقتصادي، وفي الوقت نفسه تثبيت مصلحتهم الخاصة باعتبارها مصلحة عامة للأمّة اليهودية.

وهكذا، رسخت الصهيونية العمّالية هيمنتها على الحركة الصهيونية الاستيطانية، على الرغم من الدور الغالب لليهود البورجوازيين الألمان في المنظمة الصهيونية العالمية حتى عشرينيّات القرن الماضي. فقد طوّر الفلاحون اليهود البورجوازيون، الذين أرادوا توظيف عمالة عربية رخيصة قومية أكثر اعتدالاً من العمّال اليهود. ولكن متابعة استراتيجيتهم الاستيطانية المتمثلة في إنشاء مستعمرة زراعية لم تكن لتوفر فرص عمل للعديد من المستوطنين اليهود الجدد، وكان من الممكن أن تتباطأ الهجرة. بل أكثر من ذلك، فقد عارض المزارعون اليهود ذوو التوجهات البورجوازية محاولة الحركات العمّالية إنشاء وحدات حراسة زراعية يهودية (هاشومير) لأنها تنطوي على أعمال عدوانية واستفزازية تجاه العرب، لكن الحركة العمّالية رأت أن «جنود الحراسة» ضرورة لـ«احتلال الأرض».

تجاهل شافير دور ضباط الجيش في الحركة الصهيونية العمّالية، رغم أنهم امتلكوا مراكز قيادية ما جعل تفسيره الاجتماعي يفتقد أيّ بُعد جيوبوليتيكي؛ فمن الجدير بالذكر أن الاحتلال الإسرائيلي (بقيادة بن غوريون آنذاك) توقف عن توسيع احتلال ما تبقى من فلسطين بعد عام 1948، ليس لأنّ لديهم منظوراً اقتصادياً لكيبوتس حيث يفضّلون دولة يهودية أصغر بأجور مرتفعة، لكن لأن احتلال كل فلسطين آنذاك في نظر الصهيونية كان سيدخل دولة إسرائيل الوليدة في صراع مع شرق الأردن (شريكها في تقسيم فلسطين)، ومع بريطانيا، وربما مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي. فقد كان نجاح الصهيونية العمّالية متجذراً في التناقض بين الأهداف الرأسمالية والقومية في سياق «الصراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي» على الأرض. كانت استراتيجية حزب العمل، المتمثلة في تسويق تطلعات الصهيونية (بوصفها حركة تحررية تنقذ ضحايا المحرقة النازية) مع ترسيخ الحصرية اليهودية على الأرض التي يمكن أن تسيطر عليها، أكثر جدوى وأكثر قبولاً من قبل رعاة الصهيونية الدوليين من الرؤية البورجوازية الزراعية. وهذا بالإضافة إلى دور الدعم السياسي والاقتصادي والعسكري الهائل واللامحدود الذي تقدّمه الولايات المتحدة لإسرائيل، ما مكّنها من الحفاظ على احتلال عسكري وحشي والاستيلاء على الأراضي والموارد الأخرى من السكّان الفلسطينيين في الأراضي المحتلة عام 1967، وغرس الكتل الاستيطانية اليهودية هناك، وشن هجمات عسكرية متكررة على الفلسطينيين ودول الجوار، والامتناع عن التوصل إلى أي «حلول سلمية عادلة». لذا، فإنّ أيّ تفسير لنجاح استراتيجية الصهيونية العمّالية والمشروع الصهيوني الأوسع لإنشاء دولة يهودية في أرض ذات أغلبية عربية ساحقة مرتبط بمقدار العنف الذي حصل بالفعل حتى قبل النكبة عام 1948.

برد حنظلة

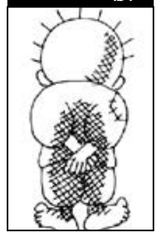

غرفة انتظار

طه يونس

وُلدت وأنا أنتظر العودة إلى عكا، أو عكاء كما كان يحلو لجدي أن يتلاعب باسمها ويدلّلها كأنها محبوبته. كانت البلاد غرفة الانتظار الأولى التي دخلتها. ثم كان عليّ أن أنتظر بعد ذلك أشياء كثيرة. دورنا في صفوف وكالة الغوث، كي نحصل على حصتنا من الإعاشة، الطبابة والتعليم، ورأفة هذا العالم باللاجئين...

وكنا ننتظر الشتاء كي نتخلص من حرارة الصيف التي يزيد من كدرها ضيق المساحة والهواء في المخيم. ثم ننتظر الصيف كي نتخلص من طوفان المياه علينا في الأزقة والبيوت. أخذ معنى الانتظار يتشكّل في الوعي لديّ، فكان فكرتي الأولى عن الحياة. وعندما هاجر أخي الكبير إلى الخليج، فرحت لأن ذلك سيعطيني مساحة في النوم، وتصبح الفرشة لي وحدي، إذ لم يعد هناك من سبب لمدّها في العرض كي تتسع، صرت أنام على فرشة عمودية، وظننت وقتها مقتنعاً أنها خطوتي الأولى إلى الأمام في طريقي لتحقيق ذاتي.

سرعان ما مللت النوم على فرشة عمودية، وقلت لو يرجع أخي فأتسامر معه قبل النوم ثم أعطيه مكاني على الفرشة أو نتشاركها معاً. لقد طحن الانتظار فرحة نومي مُرحرحاً. وصرت أمشي إلى مطار بيروت كل مساء، وأبحث في وجوه المسافرين عن وجه أخي!

وعندما أصبحت أنا ذاك المهاجر العائد في زياراته إلى بيروت بعد سنوات عدة، كان الانتظار أصعب، ولم تحد منه زياراتي الكثيرة، صار المخيم غريباً، تغيّرت الوجوه، أخذ فتى مكاني الذي كنت أنتظر فيه حبيبتي تحت شباكها، فقلت لعله كان ينتظر أختها الصغرى أو ابنة عمها مثلاً. لكن هذا لم يغيّر حقيقة أن ذلك الفتى سرق مني أجمل أشكال الانتظار التي عرفتها.

وكان أن جمعت في قلبي أصدقاء من شتى أنحاء البلاد، فصرت أعرف الغزاويين والضفاويين والمقدسيّين والثابتين في أرضنا المسماة بتاريخ النكبة «الثمانية والأربعين» ووجدت أنهم جميعاً ينتظرون، إمّا تأشيرة عبور، أو جمع شمل، منحة دراسية أو عقود عمل معلقة بسبب جواز سفر غير مفهوم، لقاء يجمع الأحبة في البلاد، صورة للصلاة في القدس تلمع في الأذهان ولو في الخيال.

قلت إذاً إن حياتنا غرفة انتظار كبيرة، ننتظر التحرير والعودة أولاً، ثم نخوض معاركنا مع الأيام، دون أن ننسى انتظار قيام الحرب. الحرب وحدها التي تجعل لانتظارنا معنى أو تسرقه فتصبّ مكانه حزناً قاسياً، يُولّد غضباً ثم انتظاراً جديداً للثأر الذي سيكون.

الأخبار
al-akhbar
السبت 28 أيار 2022 العدد 4639

صورة وخبر

حين أطلق المخرج والمنتج جورج لوكاس المشروع عام 1977، لم يكن يتصوّر أنّ فيلمه «حرب النجوم» سيتحوّل إلى سلسلة تحقّق رواجاً مجنوناً عابراً للقارات، وتدخل التاريخ بعدما حقّقت ثاني أعلى سلاسل الأفلام إيراداً على الإطلاق، مسجّلة أكثر من 9,2 مليارات دولار. استحالت تلك الملحمة الفضائية الخيالية، رمزاً وأيقونة أثّرا في أجيال كاملة حول العالم، وأُنتجت عنها كتب ومسلسلات تلفزيونية وألعاب كمبيوتر وكتب مصوّرة. حتى إنّ عشّاق السلسلة باتت لديهم طقوسهم الخاصة، إذ يحضرون مهرجان «ستار وورز مباشر» في مركز «أنهايم كونفنشن» في كاليفورنيا، وهم يرتدون أزياء شخصياتهم المفضّلة في السلسلة. (روبن بيك ــ أف ب)

المفكرة

«كي لا ننسى» فلسطين

■ في الذكرى الرابعة والسبعين للنكبة الفلسطينية والذكرى الخامسة والخمسين للنكسة، تقيم «مؤسسة الدراسات الفلسطينية» بالشراكة مع «المتحف الفلسطيني» احتفال إطلاق «الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية» يوم الخميس في 2 حزيران (يونيو) من الساعة 11:00 صباحاً حتى الساعة 1:00 بعد الظهر بالتزامن في «المتحف الفلسطيني» في بيرزيت وفي مقر «مؤسسة الدراسات الفلسطينية» في

بيروت. علماً أنّ الموسوعة عبارة عن مشروع رقمي من إعداد «مؤسسة الدراسات الفلسطينية»، ضمن مشروع مشترك مع «المتحف الفلسطيني». يتتبّع المشروع تاريخ فلسطين الحديث منذ نهاية الحقبة العثمانية حتى الوقت الراهن، ويضم آلاف النصوص التي ألّفها خصيصاً للمشروع باحثون، عرب وأجانب، مختصون في القضية الفلسطينية. وتتضمن الموسوعة ما يلي: جدول عام للأحداث بتواريخها المحددة، وجداول زمنية في موضوعات مختارة؛ وإضاءات على تطورات سياسية وعسكرية ومؤسسات وأوجه مهمة من الحياة الفلسطينية الاجتماعية والثقافية والنضالية؛ وسيَر لشخصيات فلسطينية تركت بصماتها في تاريخ فلسطين في القرن العشرين؛ ومئات الوثائق التاريخية والصور والخرائط؛ ونبذة عن كل قرية من القرى الأربعمئة ونيف التي تهدمت خلال النكبة (استناداً إلى كتاب وليد الخالدي «كي لا ننسى» الصادر عن «مؤسسة الدراسات الفلسطينية»)، وربطها بنظام معلومات جغرافية.

احتفال إطلاق «الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية»: س:11:00 صباح الثاني من حزيران (يونيو) ـ مقرّ «مؤسسة الدراسات الفلسطينية» (شارع أنيس النصولي، فردان، بيروت). ستُبث الفعالية بشكل مباشر عبر زووم وفايسبوك

الدراما السورية تحت مجهر عامر العلي

■ يحلّ الممثل السوري عامر العلي اليوم ضيفاً على برنامج «بيت القصيد» الذي يقدمه الشاعر والإعلامي اللبناني زاهي وهبي على قناة «الميادين». يتحدث النجم الشاب عن علاقته بالمسرح وانحيازه إليه بوصفه مكانه الأهم والأحبّ، وعن عمله في التلفزيون منذ انطلاقته في

الأعمال التاريخية التي قدّم فيها أعمالاً كثيرة إلى جانب أعمال درامية أخرى. ويستعيد الحوار ذكرى المخرج السوري الراحل حاتم علي، وعلاقة ماهر العلي بالمخرج باسل الخطيب، ومشاركته في الجزءين الأول والثاني من مسلسل «باب الحارة»، ثم اعتذاره عن عدم الاستمرار، ومشاركته في أعمال أخرى ضمن دراما البيئة الشامية، وكذلك في بعض الأعمال المصرية. يعرج الحوار على الهاجس التجاري عند منتجي الدراما التلفزيونية، وأثر منصات العرض الحديثة على طبيعة الإنتاج الدرامي. ويتناول الحوار «كاستينغ»، وهو آخر العروض المسرحية التي قدّمها العلي. تتخلل الحلقة شهادة من الفنان السوري عباس النوري.

«بيت القصيد»: س:21:00 مساء اليوم على «الميادين»

«دفاتر لميا»... كل الحكاية

■ «دفاتر لميا» هي قصة امرأة سخر منها القدر وعاشت طوال حياتها مُسيَّرة وغير مُخيَّرة. عملت لميا كل سنين حياتها لدى عائلة ميسورة في بيروت. لم تكن تعلم أنَّ هذا المنزل الذي اصطحبها إليه والدها لتكون خادمة فيه، سيصبح مسكنها الدائم وستبقى فيه إلى آخر لحظة من عمرها. لم تكن تدرك أنها ستكبر في هذا المكان الذي سوف تتفتح أنوثتها فيه وتكتشف مشاعر الحب للمرة الأولى والأخيرة في حياتها.

داخل هذا البيت عاشت لميا كل أنواع المشاعر الإنسانية من فرح وحزن وألم وحنين. ثم....ماتت لميا مُخلفة دفاترها الخاصة، فما هو سر هذه الدفاتر؟ ولماذا كانت ترغب بشدة في التخلص منها؟ هذا

ما سنكتشفه في المسرحية التي تنطلق عروضها بدءاً من 9 حزيران (يونيو) لغاية 12 منه على خشبة «مسرح مونو». المسرحية من إخراج شادي الهبر، وكتابة ديمتري ملكي، وتمثيل ريما الحلبي، جميل الحلو، ومها مرجي وأنطوانيت الحلو. أما الإنتاج فهو لمسرح «شغل بيت» وإدارة الإنتاج لكريس غفري.

مسرحية «دفاتر لميا»: س:19:30 ـ بدءاً من 9 لغاية 12 حزيران ـ «مسرح مونو» (الأشرفية)- تباع البطاقات في مكتبات «أنطوان» ـ للاستعلام: 70/989576

يا عشّاق الكتاب... هذه فرصتكم

■ أكثر من 35000 ألف كتاب متنوع سوف يباع بأسعار زهيدة في «أكبر معرض للكتب» (La plus grande braderie des livres) يقام يومي الخميس 9 والجمعة 10 حزيران (يونيو) من الساعة الثالثة بعد الظهر حتى الساعة الثامنة مساء، ونهار السبت من الساعة العاشرة صباحاً حتى الخامسة مساءً. هذا النشاط الاجتماعي الثقافي سوف يجري في «جامعة القديس يوسف» (حرم كلية العلوم الإنسانية) برعاية «عملية اليوم السابع التطوعية» لمساندة المجتمع اللبناني. على أن تعود عائدات المعرض لتنفيذ مشاريع تكافلية.

La plus grande braderie des livres

: من 9 لغاية 11 حزيران ـ «جامعة القديس يوسف» (حرم كلية العلوم الإنسانية ـ طريق الشام) ـ للاستعلام: 01/611456

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnewspaper

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 666314/ 01 ـ 828381 / 03
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 28 أيار 2022
العدد 4639 السنة الخامسة عشرة
Samedi 28 Mai 2022 nº 4639 16ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

مقبول فدا حسين ــ «إسلام» (طباعة سيريغرافيك على ورق ارشيفي ــ 2003)

عبدالمجيد الشرفي
الإسلام... قراءة حداثيّة

نور الدين بالطيب

يواصل عبد المجيد الشرفي الحفر في تاريخ الفكر الإسلامي عبر مساءلة مجموعة من الإشكاليات المطروحة في الفضاء العربي الإسلامي، استناداً إلى القرآن والسنة النبوية. في كتابه الجديد «البداهات الزائفة في الفكر الإسلامي» (دار الانتشار العربي/ بيروت ـ دار محمد علي الحامي العربية/ تونس)، يتناول الأكاديمي والباحث التونسي المتخصص في الفكر والحضارة الإسلاميين، مجموعة من القضايا الإشكالية مثل «عقوبة الإعدام» و«الإسلام دين الدولة» و«في العلم والعلماء» و«القرآن والمصحف» و«أحكام القرآن» و«في البسملة» و«كل ما نزل بمسلم ففيه حكم لازم» مع ملحق حول الشراب في الحجاز في فترة الإسلام المبكر.

خلافاً لكتب الشرفي الأخرى، ليس هذا العمل أكاديمياً، بل «أردناه موجّهاً إلى غير المختصين ومساهمة في النقاش العمومي الذي يدور على الساحة الوطنية أوّلاً؛ وعلى الساحة العربية والإسلامية ثانياً؛ حول مواضيع يكثر الخوض فيها بدون علم» وفق ما جاء في مقدمة الكتاب. يرى الشرفي أنّ المسلم تعامل مع الكثير من المفاهيم والرؤى على أنها «بداهات بسبب التنشئة الاجتماعية» و«نظراً إلى أن المنظومة السائدة تكوّنت في ظروف تاريخية بعيدة الصلة عن المقتضيات المعرفية والاجتماعية والسياسية التي تبلورت بالتدريج في العصر الحديث». كتاب أشبه بـ «دليل» لعامّة الناس في مناقشة «ما يبدو بديهياً في مسائل الدين»، والقطع مع مفاهيم تكلّست واعتُبرت بديهيات في حين أنها ليست من جوهر الدين الإسلامي. ككل كتبه السابقة، يلقي الشرفي هنا حجراً في مياه الفكر الإسلامي الراكدة من أجل إحياء ثقافة الجدل والعقلانية وسط مناخ يسيطر عليه الإجماع واليقين.

حوار

منصورة عز الدين: الكتابة فِعل هدم!

بدأت منصورة عز الدين (1976) الكتابة في طفولتها انطلاقاً من رغبة خيالية في «إحياء الموتى» بعد وفاة والدها. كانت تعيش في قرية صغيرة على ضفاف النيل حيث تمتزج قصص الجنيات بإيقاع خطوات فرس أبي زيد الهلالي وانتصاراته في أحاديث الشمر، بينما يتخصّص العم في حكاية قصص الأنبياء و«معجزاتهم». فضلاً عن الشعر والتراث العربيّين. هكذا كانت «الحكايات» و«النيل» أشبه بجناحَين لخيالها. ومن القرية الصغيرة إلى القاهرة، حملت عز الدين حكاياتها واسئلتها معها، تطوّر شكل الحكاية في مجموعاتها القصصية: «ضوء مهتز» (2001)، «نحو الجنوب» (2013)، «ماوى الغياب» (2018)، فيما كبرت الأسئلة في أعمالها الروائية: «متاهة مريم» (2004)، و«وراء الفردوس» (2009)، و«جبل الزمرد» (2014)، و«أخيلة الظل» (2017)، و«بساتين البصرة» (2020)، وأخيراً «أطلس الخفاء»، كما خاضت مغامرة في كتابة أدب الرحلات في «خطوات في شنغهاي» (2021). تقف منصورة اليوم وخلفها حوالى ربع قرن من الكتابة والتجريب، والكثير من الجوائز والتكريمات. وجواز سفر ممتلئ بالرحلات والإقامات الأدبية. لكنها لا تزال تنظر إلى الكتابة بشكّ التجارب الأولى. وتريد التمرد على نفسها والتخلي عن أدواتها المعتادة، بمساطة لأنّ الكتابة بالنسبة إليها وسيلة لرؤية نفسها والعالم بشكل أفضل.

تقديم وحوار **عبد الله رامي**

منصورة عز الدين: انا مهتمة بالخرائط وكيف تتحكم الجغرافيا بنا وبمصائرنا

■ تهتمين بالأماكن والجغرافيا، فتكتبين عن الأطلس كشاغل كبير ومحرك مركزي للاحداث. نجد آدم في «أخيلة الظل» وهو يحدّق بأطلس العالم (الحقيقي) بحثاً عن مسقط رأس جدته، بينما يشيّد مراد في «أطلس الخفاء» خريطته الخاصة للتعرف إلى نفسه كفكرة لقضاء وقت ما بعد التقاعد.. فما الذي اختلف بين الأطلسَين؟

ـ هذه ملاحظة ذكية. أدم كان يحاول تتبع مسار جدته اللاجئة من المذابح العثمانية حتى وصل بها الحال إلى أن تكون مواطنة أميركية، خصوصاً أنّ الجدة ترغب في دفن هذا الماضي، وكأنه يحدّق في أطلس للعنف، بينما مراد يُعيد تشييد حياته والعالم من خلال تدوين أطلس خيالي. وبشكل شخصي، أنا مهتمة بالخرائط وقسوتها وكيف تتحكم الجغرافيا بنا وبمصائرنا. فالجغرافيا وهي السبب الرئيسي للحروب والانقسامات، كأنها تتلاعب بالتاريخ، فيتبعها مدوّنا ما يترتب على ما تخلقه وتتسبّب فيه.

■ تصفين رحلة مراد في «أطلس الخفاء» لتدوين استبصاراته بأنه «تنازعته مشاعر الحماس والوجل». فكيف تتعاملين مع حماس الكتابة ووجلها؟

ـ الحماس مقدور عليه، بل هو دافعي الأول للقيام بأي شيء. أنا من الشخصيات المتحمسة حتى لأشياء عادية، ربما يزول الحماس سريعاً، لكنه لا يزول في ما يخص الكتابة لأنها أسلوب حياة وطريقة لرؤية العالم بالنسبة لي. أما الوجل فموجود دوماً في كل ما يخص الكتابة من تفاصيل، والفكرة في كيفية التعامل معه لترويضه وتحجيمه، وبحدث هذا بإقناع نفسي بأنني أجرب يدي في منطقة جديدة، ولن أنشر ما أكتبه بالضرورة، ما يقلل التوتر والضغوط فاكتب وكأنني العب. لكن يظهر الوجل بشكل جحيمي بعد الانتهاء من العمل وأثناء تنقيحه استعداداً للنشر، فهذه أصعب فترة عندي، ويكون الأمر أصعب عندما أعيد قراءة عمل لي قبل إصدار طبعة جديدة منه لأنني أكون مقيدة بالتعديل والإضافة.

يظهر الوجل أيضاً لحظة التعرّض في منتصف الكتابة، لإغراء السلوك في طريق آخر وهدم ما سبق أن كتبته، تلك اللحظة المليئة بالشكوك تكون مرهقة، لكنها جزء من متعة الكتابة رغم ذلك.

■ حدث تحول مهم في لغتك بدءاً من «جبل الزمرد»، كما أن اللغة كانت لاعباً أساسياً في «بساتين البصرة». كيف تفكرين في اللغة أثناء كتابة النص؟

ـ هناك جزء فطري وغير مفكّر فيه في العلاقة باللغة وفهم منطقها وتذوق جمالياتها. أما الجزء الآخر فهو مكتسب من خلال القراءات المتنوعة والوعي المكتسب بفقه اللغة وجمالياتها.

منذ بدأت الكتابة وأنا أولي عناية كبيرة للغة، واسعى لأن تكون معبّرة عن طبيعة العمل الذي أكتبه، في مجموعتي القصصية الأولى «ضوء مهتز»، كانت القصص كلها في مساحات بينية بين الحلم والواقع. وبالتالي، كنت أبحث عن لغة لا تقول بقدر ما توحي، لغة مراوغة حمّالة اوجه، كنت واعية بذلك أثناء تحرير النص، إذ تعمّدت تظليل كل الجُمل التي ترجّح احتمالاً ما على آخر بشكل واضح للعودة إليها لاحقاً. حدث ما يشبه هذا أيضاً في «متاهة مريم»، وفي «وراء الفردوس»، حرصت على تجاور مستويات لغوية مختلفة، بعضها ينتمي للمحكية بدرجاتها المتنوعة، وكان في ذهني أن الحوار بين هذه المستويات المتجاورة يخلق درجة ما من الشعرية غير المألوفة.

أما في ما يخص «بساتين البصرة»، فقد انتهيت من كتابتها خلال إقامة أدبية في شنغهاي في تشرين الأول (أكتوبر) 2018. وبعد ذلك، استمر اشتغالي على اللغة والتنقيح الأسلوبي حتى الأشهر الأولى من 2020؛ لأنني كنت مدركة أن اللغة هي البطل في هذا النص تحديداً. لهذا خصّصت لها كل هذا الوقت.

لكن عليّ التذكير بأن ليس كلّ شيء في الكتابة مفكّر فيه ونتاج عن قرارات واعية، لأن الكتابة الجيدة من وجهة نظري هي التي تخون الكاتب وتراوغه وتذهب إلى مقاصد أبعد من مقاصده. فالنص الجيد يمتلك لاوعياً خاصاً به يفاجئ الكاتب نفسه. حين يُعيد الكاتب قراءة النص، قد يكتشف ما يفهم من خلاله نفسه وانشغالاته، وربما حتى العالم بطريقة مختلفة.

ينطبق هذا أيضاً على اللغة، فهي خوّانة بطبيعتها، بل لعل أفضل ما فيها قدرتها على خيانة الكاتب والاستقلال عنه وعن مقاصده.

■ لكن «أطلس الخفاء» انتهى أيضاً في أيلول (سبتمبر) 2018 بحسب ما ذُيّلت نصها. هل كتبت الروايتين في الوقت نفسه؟

ـ نعم، «أطلس الخفاء» كُتبت بالتزامن مع «بساتين البصرة» لأنها بدأت كجزء منها، فشخصية مراد، بطل «أطلس الخفاء»، كانت من شخصيات «بساتين البصرة»، لكنني في مرحلة معينة من التنقيح، شعرتُ بأن الجزء الخاص به يمثل عبئاً على الرواية. كما أن الشخصية ثرية تستحق أن تُكتب في «نوفيلا» مستقلة. وهذا يفسر سبب كتابة الروايتين في الوقت نفسه.

■ تتحدثين عن علاقتك باللغة العربية منذ الطفولة وعن اهتمامك بالتراث العربي، ألم يشكل ذلك عائقاً في التعبير بلغة عصرية في مرحلة ما. خصوصاً أن تلك العلاقة باللغة ربما تجعل أغلب الرافدات التي تدور في رأسك محصورة بمعجم محدّد؟

ـ على الإطلاق، وهذا واضح في كتابتي بتعدد مستويات اللغة فيها ومناسبة الأسلوب اللغوي لطبيعة كل عمل ومضمونه. الفكرة أنني أقرأ التراث العربي بحب واستمتاع ورغبة في اكتشاف طبقاته المتعددة الثرية. ولا أفعل هذا بغرض المحاكاة، ولم أشتبك معه إبداعياً سوى في «جبل الزمرد» و«بساتين البصرة». وفي المرتين، حدث هذا على مستوى أبعد من مستوى اللغة. الحرص على عدم محاكاة اللغة التراثية كان واضحاً في «بساتين البصرة»، فأساليبها اللغوية المختلفة، ففي الأجزاء الخاصة بالبصرة القديمة، لم أرغب في محاكاة اللغة التراثية، بل في إضفاء مسحة كلاسيكية ما على لغتي وتطعيمها بصياغات ومفردات تدل على هذا الزمن من دون تقليد لغته. رغبت فقط في الإيحاء بمستوى سردي أكثر جزالة من المستوى السردي المعاصر.

■ أثناء عملك على رواية، متى تنتهي مرحلة التخطيط للأحداث والشخصيات ويفاجئك النص؟

> «متاهة مريم» محاولة غير مباشرة لكتابة التاريخ الاجتماعي والثقافي المصري منذ ثورة يوليو 1952

ـ كل رواية تُكتَب بطريقة خاصة بها، وتتمثل مهارة الكاتب في الوصول إلى الطريقة المثلى لكتابة الرواية التي يعمل عليها. بدأت كتابة روايتي الأولى «متاهة مريم»، بدون ملاحظات كثيرة وملفات عن الشخصيات والأحداث. ورغم هذا الإعداد والتخطيط المسبق، سرت خلف شخصيات العمل ومنطقه، وتحررت من كثير مما سبق وخططت له، فعملية الكتابة نفسها تنير للكاتب ما خفي عليه وتنبّهه إلى جوهر عمله. المهم أن يجيد هو الإنصات والرؤية. «متاهة مريم» تضمّنت لغزاً ما للخروج من المتاهة التي وجدت البطلة نفسها فيها، وتوقفت لفترة للتفكير في حل لهذا اللغز، ثم اكتشفت أن الحل موجود في قصة كتبتها بالتزامن مع كتابة الرواية. كان هذه القصة كانت جزءاً من الرواية من دون أن أدري، وقد حدث هذا لأنني وقت كتابتها كنت مشغولة ذهنياً بـ «متاهة مريم»، لذا حتى ما ظننته بعيداً عنها من كتابة، كان في صميمها.

هناك أعمال أخرى لم يسبقها تخطيط، إنما نبعت من عبارة مبهمة أو مشهد بصري الهمني البدء في الكتابة، مثلما حدث مع «ماوى الغياب»، التي دوّنت في يومياتي على هامش كتابتها: «أكتب كالمأخوذة. نص يولد من آخر. لا أعلم إلى أين يقودني شلال الكلمات، لكن استمرار الكتابة وحده هو ما قد يمنحني العلامات المرجوة».

■ ذكرت أنّ «أطلس الخفاء» كانت جزءاً من «بساتين البصرة»، كما وجدت حلّ «متاهة مريم» في قصة قديمة... هل تتفقين مع أن الكاتب يكتب نصاً واحداً طوال حياته؟

ـ هذا سؤال صعب لأنّ الأمر يختلف من كاتب إلى آخر. هناك انشغالات أساسية لكل كاتب، وربما أحياناً نجد نصوصاً كأنها طريقة أخرى لكتابة نص سابق للكاتب نفسه.

في حالتي، لا أرى أنه نصّ واحد بل انشغالات متصلة. بمعنى لو أنني مشغولة بفكرة «الحياة المحكومة بالموت» مثلاً، ستكون صدمة الانتهاء والموت كشرط للوجود، ظاهرة بصور مختلفة في أعمالي. كل نص يحمل انشغالات عديدة خاصة به تتغير من عمل إلى آخر، لكن هناك أيضاً انشغال ثابت كأنه عمود فقري رابط. وبالتالي هناك مراحل مختلفة لكل كاتب يكتب على مدار فترة زمنية طويلة.

في بدايتي مثلاً، نجد أن سطوة العائلة على الفرد وابتلاعها له كانت أساسية في «متاهة مريم» و«وراء الفردوس»، سواء العائلة بمعناها الحرفي أو المجازي ممثلاً في المجتمع ككل. بعد ذلك في «جبل الزمرد»، نجد الاشتباك مع «ألف ليلة وليلة». ثم عدت إلى فكرة العائلة بطريقة مختلفة في «أخيلة الظل» من خلال علاقة كاميليا بالأب والأم، وكان سؤالي الرئيسي عن العلاقة المضطربة بالعائلة: كيف يمكن للقهر أن يكتسي بثوب الحنان؟ وكيف أنّ العنف غير المباشر في التربية يلعب دوراً في تحديد مسارات الفرد طوال العمر؟ لكن هل فكرة سطوة العائلة هي أساس هذه الأعمال؟ لا، بل إنها ليست ما تتمحور حوله كتابتي التي تنشغل بالشكل والبنية الروائية والتجريب بقدر ما تنشغل بالمضمون.

المثالان المذكوران في سؤالك، أمرهما مختلف، القصة لم تكن قديمة وقتها، بل مكتوبة بالفعل خلال فترة كتابة «متاهة مريم»، وبالتالي ليس مستغرباً أن تنتمي لعالمها وتكون قطعة البازل المفقودة فيها. أما «أطلس الخفاء» و«بساتين البصرة»، فهما وجهتا نظر مختلفتان لهذا النوع من المعرفة الغنوصية أو فكرة القدرات المفارقة للواقع في الشخصيات كالشعور بأنك ترى ما لا يراه الآخرون أو أنك متواصل بشكل أو بآخر مع ما يفوق حدود الواقع. لكن لكل رواية منهما بنيتها الخاصة ولغتها المختلفة وعالمها المغاير للآخرى.

■ عندما نضع رواياتك بجوار بعضها، نجد أنه بجانب هواجسك الشخصية وأسئلتك التي تطرحينها خلالها، فإن طريقة تناول الحكاية وشكلها يشغلانك دائماً.

ـ كغيري من الكتّاب، أكتب انطلاقاً من انشغالات وأسئلة تخصني، لكن هذا لا يعني أن الهواجس الشخصية والأسئلة المطروحة من جانب الشخصيات هي هواجسي وأسئلتي، فلكل شخصية انشغالاتها وهواجسها المختلفة. انشغالاتي ليست في المكتوب، بل في المخفي بين سطور العمل. وبالعودة إلى سؤالك، أنا مشغولة بالتجريب وبالشكل الروائي منذ بدايتي، وأرى أن لا انفصال بين الشكل والمضمون، فكلما كان الشكل متناغماً مع المضمون، أشعر بأنني في الطريق الصحيح للكتابة. وهذا يعني عدم الركون لشكل واحد، فالأهم عندي ليس حكي حكاية ما، بل كيفية حكيها. وكثيراً ما أعمل على بناء العمل في مرحلة متقدمة من كتابته، بعد المسوّدة الأولى أو الثانية حتى. قد أبدأ كتابة رواية بمشهد ما، ثم أعثر على المشهد الافتتاحي مع جملة النهاية أو في منتصف الكتابة مثلاً.

وهذا بالضبط ما حدث معي أثناء كتابة «وراء الفردوس» حيث عثرت على المشهد الافتتاحي عندما وصلتُ إلى منتصف كتابة المسوّدة الأولى. وحين انتهيت من المسوّدة، أعدت الكتابة من جديد بداية من ذلك المشهد. تطلّب هذا هدم ما سبق أن كتبته والاشتغال عليه مجدداً. لذلك الكتابة عندي فعل هدم بقدر ما هي فعل بناء، أو هدم من أجل إعادة البناء. وفي أثناء كتابة «جبل الزمرد»، ظهرت شخصية «بستان البحر» كشخصية هامشية في البداية، لكنني لاحظت أنها تنطوي على ثراء كبير، فتوسعت في كتابتها، ثم وجدت أنها الأنسب للوصل بين زمني الرواية (الجزء الغرائبي والجزء الواقعي)، وأصبحت هي الراوي والبطل الأساسي. هكذا أسير خلف ما يقترحه عليّ النص، ولا أخشى الهدم لاستكشاف سيناريو محتمل. لذلك غالباً ما يكون لديّ أكثر من نسخة للرواية نفسها.

في المقابل، أحب أن أتمرد على نفسي والخروج عن مناطق الراحة الخاصة بي. أعمل حالياً مثلاً على فكرة تخلو من هذا الانشغال بالبنية، كما تخلو من التخييل، كنوع من التخلّي عن الأدوات التي اشتهرت بها أو صارت سمات أسلوبية لكتابتي. ويمكن اعتبار أن «أطلس الخفاء» كانت محاولة لفعل هذا بدرجة ما، حيث البناء فيها بسيط، بعيداً عن البنية المركبة الموجودة في «أخيلة الظل» أو «وراء الفردوس» مثلاً، والأحداث خافتة ويومية. لكن هل يستطيع الكاتب الخروج بالكامل عن ذاته؟ لا أظن هذا، لكن مثل هذه التحديات تتيح له رؤية نفسه والكتابة في ضوء مغاير.

■ الأحلام جزء مهم وحاضر بقوة في مشروعك كأنك تستثمرين الخيال أو بوابة الأحلام لاختبار الأفكار الكبرى أو كوسيلة لرؤية «العالم في حالته الشذرية» أو اختبار حقيقة اللحظة الحاضرة بقياسها على ما تسميه «الجغرافيا الأصلية للعالم».

ـ أنا مهتمة بالأحلام، وأحلم كثيراً جداً وأدوّن أحلامي أولاً بأول. كما أحاول تفحّص الإمكانات أو الاحتمالات الفنية الموجودة في تلك الأحلام وإلى أي درجة يمكنني الإفادة منها في الكتابة، وما الذي يمكنها إضافته فنياً إلى الواقع. أهتم أيضاً بكتب تأويل الأحلام في الثقافات المختلفة أو انطلاقاً من علم النفس. أتعامل مع كتاب «تفسير الأحلام الكبير» المنسوب لابن سيرين على أنه عمل إبداعي وليس كتاباً في تفسير الأحلام. قرأته أثناء دراستي الجامعية حيث لفت نظري عند بائع الجرائد على الرصيف في وسط القاهرة، وأعود إليه كثيراً من وقتها.

> لا أحب الفانتازيا الخالصة لأنّها أقرب إلى العاب في الفراغ

وأفدت منه في روايتي «وراء الفردوس»، وهناك إشارة لبعض أحلامه في هوامش الرواية. كما عدت إليه بطريقة مغايرة في «بساتين البصرة» عبر حلم «الملائكة التي تجمع الياسمين من بساتين البصرة». وهذا الحلم كان مغوياً بالنسبة إليّ رغم أنه عابر وقد لا ينتبه إليه كثيرون إن قرؤوا كتاب ابن سيرين. وأخيلة الظل» بدأت كحلم، كنت قد دوّنته على الفايسبوك، وعلّق بعض الأصدقاء بأنه فكرة رواية، لكنني استبعدت هذا في البداية، ثم بعد أشهر قليلة بدأت في كتابة الرواية بالفعل.

■ في أعمالك التي تبدو خيالية، غالباً ما نجد حكاية اجتماعية معاصرة وإسقاطاً واضحاً على واقعنا القريب كحكاية جبريل في «أطلس الخفاء»؟

ـ لا أحب الفانتازيا الخالصة، إذ تكون أقرب إلى العاب في الفراغ. وبالنسبة إليّ، فاللجوء إلى الغرائبي هو محاولة لفهم الواقع، والانغماس في العاب فنية. وهو لا يعني عدم الاشتباك مع ما يحدث حولي، فرواية تجريبية كـ«أخيلة الظل» هي في الأساس عن مجاز المذبحة والانهيار، و«ماوى الغياب» بكل غرائبيتها خارجة من رحم الجحيم الأرضي المعيش والمدن التي تُسوَّى بالأرض في الواقع. وفي «وراء الفردوس» كان تجريف التربة الزراعية محوراً من محاور الرواية، و«متاهة مريم» التي تتماس مع مباشرة لكتابة التاريخ الاجتماعي والثقافي المصري من وقت ثورة يوليو 1952 حتى الوقت الذي تدور فيه الرواية.

وبالتالي أنا لست ضد الاشتباك مع قضايا الواقع، بل أراه ضرورياً، بشرط أن يحدث هذا بشكل فني، بما يتناغم مع منطق العمل بحيث تصبح العناصر الغرائبية مغزولة في هذا الواقع ومنغرسة فيه، أي أنّ الفكرة تكمن في كيفية تحويل هذه القضايا لتصبح خادماً للفن لا العكس. فجماليات الفن الروائي هي الأساس، ومن المهم تطويع كل شيء لخدمتها لا الانسياق وراء أن تقول رأيك بشكل خطابي، فالتعبير عن الآراء المباشرة مكانه فن المقال لا الرواية.

■ منذ مجموعتك الأولى، نجد حديثاً عن البيت القديم والعالم الأول وأبراج الحمام والكثير من مفردات الحنين إلى الماضي. لذلك سؤال الزمن لا يمكن تجاهله في أعمالك. هل تعتبرين كل ما هو قديم كـ«أصل» أو «أصيل» أم أنّ الزمن أحياناً يضفي قيمةً على شيء زائف؟

ـ كتابتي أبعد ما تكون عن الحنين إلى الماضي لأن النوستالجيا مضلّلة. على العكس في كثير من أعمالي، فالماضي هو مكمن الداء، ومشكلات كثير من الشخصيات تبدأ من طفولتها وماضيها. لكن في المقابل، أرى أنّ من أدوار الكتابة «الإمساك بالزائل» وإعادة بعثه للعالم بطريقة ما. أتعامل في الإبداع مع المفقود والزائل، ليس بدافع الحنين ولكن رغبة في الاستحضار من أجل الفهم والتأمل، خصوصاً أنّ الكتابة بدأت عندي برغبة طفولية في إحياء الموتى واستعادتهم عندما توفي والدي وأنا في التاسعة من عمري، فرحت أختيل سيناريوات أعيده بها إلى الحياة.

■ كيف تطور مفهوم الكتابة لديك على مدار حوالى 25 سنة؟

من واقع هذه السنوات، الأحظ أنه كلما طالت علاقتك بالكتابة؛ يقل ما تعرفه عنها وتصبح الأسئلة أكثر من الأجوبة. وأنت شاب، تكون لديك وجهات نظر صارمة أشبه بالمانفيستو، وتكون حاداً في مفهومك عن الكتابة الجميلة ورؤاك الجمالية والفنية. لكن مع الوقت، تبدأ في مساءلة مفاهيمك وأفكارك، ثم تشعر بأن ما لا تعرفه أكثر مما تعرفه، وتتعلم الجديد مع كل عمل تكتبه.

خلال الكتابة، تكون كمن يمشي في الظلام أو الضباب، تتلمس خطاك حائراً، أي أن الكتابة، في جوهرها، حيرة معرفية أمام الوجود وحيرة حتى في مواجهة طرق الكتابة نفسها.

وهناك نقطة أخرى، أن الكاتب يمكنه الحكم على أعمال الآخرين بذكاء، لكنه قد يصل إلى مرحلة العماء أمام أعماله، فإما أن يبالغ في تقديرها، أو يبالغ في التشكك فيها والتساؤل عن قيمتها وقدرتها على البقاء. ويحضرني هنا ما كتبه الجاحظ في «البيان والتبيين»: «فلا تثق في كلامك برأي نفسك؛ فإني ربما رأيت الرجل متماسكاً وفوق المتماسك، حتى إذا صار إلى رأيه في شعره، وفي كلامه، وفي ابنه، رأيته متهافتاً وفوق المتهافت». لهذا أرى أن حياة الكاتب تبدأ بعد رحيله، حين تقف أعماله وحدها في مواجهة القراء، بعيداً عن حضور مؤلفها وتأويلاته لنصه وتفاعله مع الآخرين.

■ ككاتبة وصحافية مهمة، كيف ترين المشهد الثقافي الحالي والصحافة الثقافية في مصر الآن؟

ـ المشهد الثقافي صاخب أكثر مما ينبغي. هناك أعمال كثيرة من دون فرز نقدي، لكن هناك ثراء أيضاً، وأظن أن الزمن وحده كفيل بالفرز. كما يشهد سوق النشر الأدبي ازدهاراً كبيراً. أما الصحافة الثقافية، فوضعها صعب كحال الصحافة كلها، وهذا يمتد إلى الوطن العربي كله. الصفحات الثقافية أصبحت قليلة، وهناك ملاحق ثقافية كثيرة اختفت.

■ أخيراً، ما الكتب التي ترجعين إليها بشكل دائم؟ وماذا تقرئين الآن؟

أقرأ حالياً «غيرة اللغات» لأدريان ن. برافي، من ترجمة رامي يونس (أمارجي)، ومستمتعة به جداً، وهو عمل مهم عن الكتابة بلغة غير اللغة الأم والعلاقة بين اللغات المختلفة.

وأعود إلى الجاحظ على الأقل مرةً سنوياً، كما إلى «ألف ليلة وليلة» وكافكا وبورخيس. أنوي قريباً إعادة قراءة أعمال دوستويفسكي. أما الشعر، فلا بد من أن أبدأ يومي بقراءة الشعر عموماً والمتنبي أو طرفة بن العبد والمعري بشكل خاص. أخصص أحياناً وقتاً للعودة إلى شاعر معين لقراءة أعماله، عدتُ أخيراً مثلاً إلى عنترة بن شداد وعمر بن أبي ربيعة.

فصل من رواية

الخزانة المفتوحة (*)

تولوز-لوتريك ــ «في صالون شارع الطاحونة الحمراء» (زيت على قماش ــ 1894)

زهير كريم (**)

الحب هو سير على حبل مثلما يفعله المهرّجون، تفرجوا على اللحظة التي يحدث فيها فقدان توازن ــ طبيبيب، ثم النهاية! مهرّجو الحب كلهم فاشلون، يسقطون في آخر الأمر، الحب هو الشيء الذي يسقط بسببه شخص من مكان عالٍ في بحيرة صغيرة مليئة بالحيّات، أو حفرة عميقة مظلمة. جبار الحارس مثلاً، مسكين فعلاً، أرى الرغبة دائماً في عينيه، نظرات ليس فيها سوى الجوع الذي يصيب العينين بالحول، كان من الممكن أن أجعله يركبني، لن تضيف ولن تنقص مني عدة «رهزات» قبل أن يقذف السم الذي يتعب قلبه ويعمي عينيه، لكنني عاملته بصرامة، وضعته على الخط الذي لن يستطيع تجاوزه ولم أمنحه فرصة أن يضع «قضيبه المتحفّز دائماً في حفرتي». أتعرفون لماذا؟ لأنه حشرة أخرى، مللت رائحة الحشرات! وعلى الرغم من ذلك لست محصنة تماماً من السقوط، أنا حذرة لكني لست محصنة. لقد حدث هذا مع شاب دخل مرة البيت الذي كنت أديره بعد أن ترفعتُ إلى مستوى قوادة، كان يرافقه آخر أعرف آباه جيداً، سألته عنه وتحدثنا قليلاً، وأبوه كان ضابط شرطة سابقاً قبل أن يصدأ «سلاحه» ولم يعد صالحاً سوى للبول، زبون دائم عندي، وهو رجل تافه يحب البنات النحيفات الصغيرات. كلهم في الحقيقة يحبون الصغيرات ولا تفسير عندي بخصوصهم سوى أنهم مرضى وشاذّون. ابن ضابط الشرطة القديم، اختار إحدى البنات، جرّته من قميصه ودخلا إحدى الغرف. الشاب الآخر ظل لخمس دقائق ينظر إلي، استعجلته: بله فضنا. قلت له يجب أن يختار بسرعة، فهو ليس في صالة سينما، أو في حديقة حيوانات، وأفهمته بنبرة جادة بأني لست قرداً، وأن عليه اختيار واحدة من البنات، حفرة عميقة مظلمة. جبار الحارس مثلاً، مسكين فعلاً، أرى الرغبة دائما في عينيه، نظرات ليس فيها سوى الجوع الذي يصيب العينين بالحول، كان من الممكن أن أجعله يركبني، لن تضيف ولن تنقص مني عدة «رهزات» قبل أن يقذف السم الذي يتعب قلبه ويعمي عينيه، لكنني عاملته بصرامة، وضعته على الخط الذي لن يستطيع تجاوزه ولم أمنحه فرصة أن يضع «قضيبه المتحفّز دائماً في حفرتي». أتعرفون لماذا؟ لأنه حشرة أخرى، مللت رائحة الحشرات! وعلى الرغم من ذلك لست محصنة تماماً من السقوط، أنا حذرة لكني لست محصنة. لقد حدث هذا مع شاب دخل مرة البيت الذي كنت أديره بعد أن ترفعتُ إلى مستوى قوادة، كان يرافقه آخر أعرف آباه جيداً، سألته عنه وتحدثنا قليلاً، وأبوه كان ضابط شرطة سابقاً قبل أن يصدأ «سلاحه» ولم يعد صالحاً سوى للبول، زبون دائم عندي، وهو رجل تافه يحب البنات النحيفات الصغيرات. كلهم في الحقيقة يحبون الصغيرات ولا تفسير عندي بخصوصهم سوى أنهم مرضى وشاذّون. ابن ضابط الشرطة القديم، اختار إحدى البنات، جرّته من قميصه ودخلا إحدى الغرف. الشاب الآخر ظل لخمس دقائق ينظر إلي، استعجلته: بله فضنا. قلت له يجب أن يختار بسرعة، فهو ليس في صالة سينما، أو في حديقة حيوانات، وأفهمته بنبرة جادة بأني لست قرداً، وأن عليه اختيار واحدة من البنات، أو أن يدفع أولاً، ويذهب لكي «يرهز» ثم يقذف ويمسح. قلت له إن المناديل الورقية متوفرة في الغرفة، وإن «المرافق» هناك في الزاوية، فلا بد أن يتبول الخارج من غرفة العرس، قبل أن يغادر البيت، وإن هذا المكان ليس فندقاً، حذّرته من القيام بالحركات الصبيانية، يوجد شخص لا بد أنه راه في الخارج عند الباب، وعليه في هذه الحالة أن يختار بين تحطيم عظامه أو أن يكون عاقلاً. قال إنه جاء من أجلي، من أجلي فقط وليس من أجل الجنس، جاء لكي يتمتع بسحر وجهي، وإنه رآني يوماً في السوق مع بنت صغيرة. سأل عني وأخبره صديقه، هذا الذي دخل الآن بأنه يعرفني، قلت له بأني بعيدة عن هذه الرومانسيات، تركت مشاهدة الأفلام إلا في حالات خاصة، لقد ترقّيت إلى رتبة أعلى.

عاد مرة ثانية بعد أيام، جاء ولم يختر بنتاً أيضاً، في داخلي شعرت بالرضا، لا أدري لماذا! كان شاباً وسيماً ومهذباً، جسده حلو، وصوته عذب. وبالصدفة رأيته في العشار بعد أسبوعين من اللقاء الثاني، ابتسم وبادلته الابتسامة، وقفنا وتكلمنا لدقائق، التقينا بعدها مرتين تمشينا فيها على الشط، أكلنا سندويشات فلافل. في اللقاء الثالث، قال إنه ذاهب لحضور مسرحية في مبنى الجامعة، بالنسبة إلي وطوال عمري، لم أذهب لحضور مسرحية، شاهدت بعضها على التلفزيون، أحب أن أضحك، أحب المسرح بشكل عام، لكني لم أشاهد ممثلين وجهاً لوجه على الخشبة، دخلنا والممثلون كانوا - كما قالي - طلاباً، والمسرحية - كما شرح لي - سياسية، ولا أدري من أين جاءت الجرأة لأولئك الطلاب أن يمثلوها، فيها كلام عن المقاومة السرية وعن الثورة على الظلم. هكذا سمعت وسألته - عندما خرجنا - عن المغني، الممثل الذي كان يرفع صوته في الشارع، أقصد ديكور الشارع على المسرح وهو يقول: الدم يطهّر النفوس، يغسل العار.

في الفصل الأخير كانت المدينة تتعرض للقصف، يخرج الفقراء ويهجمون على المحال الغالية، ملابس وأحذية وحلويات، طعام، أثاث وحتى أحذية وملابس داخلية. الشعب يتمرد. القتال يصير في الشوارع، تماماً كما حدث عام 1991. المهم ليس هذا الموضوع، لقد أعجبني الشاب وشعرت بشيء داخل قلبي وفي جسدي لم أجربه منذ زمن طويل، أو أني لم أجربه أصلاً. كان شاباً مثقفاً وخفت عليه، قلت له: أنا أكبر منك بكثير، ومهنتي تعرفها جيداً، لكني مقتنعة بحياتي التي تسير بهدوء بدون عواصف. أنت طالب وشاب وسيم، المستقبل أمامك، وأعتقد أنه من الأفضل لك ولي أيضاً أن لا تراني ولا أراك. بصراحة، كان بيني وبين الحفرة شعرة: ما أنقذني هو الوشم الذي على زندي اليمين والحيّة التي على اليسار. نحن البشر، نساء ورجالاً، مهما شعرنا بالقوة، نحتاج أن نسقط على كتف، هذا صحيح وعادي، لكن على كتف يتحمل سقوطنا، لأن أجسادنا ستكون ثقيلة من شدة التعب، وكتف ذلك الشاب كان ضعيفاً. دعوني أعترف أني خفت عليه، لو وضعت رأسي على كتفه حينها لسقط وسقطت معه. بعدها لم أجد كتفاً أو أني لم أبحث، أو لم أهتم. الحقيقة أني لا أجد الرغبة سوى بوضع رأسي على وسادتي وأنام بعمق بدون أحلام. أريد أن أموت من دون أن أترك خلفي أثراً لحلم متعفّن. أموت واقفة لأنني أعتقد أنّ كل كتف نسقط عليه، هو في النهاية دليل على ضعفنا. لا أريد أن أضعف حتى إني أشعر أحياناً بروح عزرائيل تتحرك في داخلي. يقولون إن الله خلقه برجلين على الأرض وبراس في السماء، وله أعوان بعدد من يموتون. أنا واحدة من أعوان عزرائيل، نعم أنا التي قتلتها، فصلت روحها عن بدنها. صحيح أنّ القديم نفسه واقفة في وسط الغرفة فارتجف من منظرها القاسي لأنها تظهر كأنها خرجت للتو من القبر. وقتها، لا أعرف: هل أصابني جنون أم أنا في كابوس، هل في صحو ما أراه أم في نوم، لكني أرى السكين في يدها، طويلة تلمع في ضوء الفجر، وفي عينيها ضغينة وغضب. عيناها كبيرتان لكنهما مثل حفرتين من تلك التي تخلفها الصواريخ في الأرض عند سقوطها. تنظر إلي وفمها يسيل منه دم أسود، لسانها أسود طويل جداً يتدلى خارج فمها وأسنانها سوداء. تقول: انهضي أيتها القحبة، انهضي جاء يوم الحساب. وفي الضوء القليل الداخل من شباك الغرفة، أقول لنفسي إنه الوقت المناسب للهرب قبل أن تبزغ الشمس، ولكن أين سأهرب، كيف يهرب الناس من الموت، كيف سأهرب من وجهها المرعب وجسدي مخدّر من الخوف، من السكين التي تكاثرت فصارت عشر وعشرين ومئة سكين. الغرفة كلها صارت من معدن يلمع بوجهي، وصوت حية أسمعه يهزّ قلبي، صوت حية أو صوت مريم، يشغلني في أثناء ذلك شيء واحد هو أن أهرب، أريد أن أتلاشى، أغيب عن وجهها الملطّخ بالدم، عن شعرها المنكوش المخيف، فلا أسمع صوت الحية الذي يخرج من عمق حنجرتها، من كلماتها التي تضرب صدري: قومي، قومي يا بنت الحرام، يا عار، قومي لقد جاء يوم الحساب!

(*) مقطع افتتاحي من الفصل الأول من رواية «قصر الصبّار»، الصادرة حديثاً عن «الآن ناشرون وموزعون». عمّان.

(**) العراق/ بروكسل

نص

في أعماق مغارة لاسكو

جورج باتاي

ترجمة **محمد الأشرقي**

1.

قد يكون هناك ملمح فردوسي في الإيروس القديم الذي نعثر في المغاور على آثاره السّاذجة. لكنّ هذا الملمح ليس واضحاً تماماً. ومن المؤكّد أنّ سذاجته الطّفوليّة امتزجت، منذ ذلك الوقت، بثقل ما، ثقل تراجيديّ من دون ريب. وفي الآن نفسه ثقل كوميديّ. ذلك أنّ الإيروس والموت مرتبطان. كما أنّ الضحك والموت، والضّحك والإيروس محكومان بنفس الرّباط. لقد رأينا الإيروس مرتبطاً بالموت في أعماق مغارة لاسكو.

ونحن نعثر، ها هنا، على كشف غريب، كشف أساسيّ، بحيث لا يعود بمقدورنا أن نفاجأ بالصّمت — الصّمت اللّامفهوم — الّذي تلقّف وحده، في البداية، لغزاً مكتظّاً كهذا [...] يتعلّق الأمر بلغز باعث على اليأس طرح نفسه منذ فجر الأزمنة. لسنا مطالبين، في الحقيقة، بحلّ هذا اللّغز. لكن إذا كانت وسائل حلّه تعوزنا، فليس في مكنتنا الفرار منه، إذ إنّه، رغم لا معقوليّته الأكيدة، يقترح علينا، على الأقلّ، أن نعيش في أعماقه، ويطلب منّا، باعتباره أوّل سؤال إنسانيّ، أن نهبط إلى قرار الهاوية التي يفتحها فينا الإيروس والموت.

2.

كان لإيروس القدماء مظهر طفل يافع. لكن الّليس الحبّ مقلقاً جدّاً بحيث يبعث، في النّهاية، على الضّحك؟ إنّ أساس الإيروس هو النّشاط الجنسيّ. غير أنّ هذا النّشاط يقع تحت طائلة الممنوع. الحبّ ممنوع، اللّهمّ إذا تمّ في السرّ. ولكن إذا كنّا نقوم به في السرّ، فإنّ الممنوع يحوّل وينير ما يمنعه بضوء قاتم وإلهيّ في آن. لكنّ هذا الضّوء ليس فحسب ذاك المنبعث من الإيروس، بل ينير الحياة الشعائريّة في كلّ مرّة يحضر فيها العنف الكامل الذي يلعب في اللحظة الّتي ينحر فيها الموت ضحيّته وينهي حياتها... إنّ حروف المقدّس مكتظّة بالقلق، والثّقل الّذي يملؤها هو ثقل الموت عبر التضحية، حياتنا بأكملها مأهولة بالموت. لكن، في أعماقي، يأخذ الموت النّهائي معنى انتصار غريب. إنّه يغمرني بنوره، ويفجّر في داخلي ضحكاً لا نهاية لفرحه.

3.

إنّ عنف الفرح المنخطف عميق الغور في قلبي. وفي نفس الوقت ارتجف وأنا أقول بأنّ هذا العنف هو قلب الموت: إنّه ينفتح في باطني! والتباس هذه الحياة الإنسانيّة هو التباس الضّحك الأهوج والدّموع. فالحياة قائمة على صعوبة المواءمة بين الحساب العقلانيّ، الّذي يؤسّسها، وهذه الدّموع الممتزجة بالضّحك الرّهيب [...] نعلم بأنّنا لا ندخل بسرعة إلى ثروة الممكن.

* «عن دموع إيروس» (منشورات 10/18 ـ 1971)

أخمورة من مغارة لاسكو

رونكو ــ «أحمر على زهري» (زيت على لوح خشب، 1968).

اسمي ريتا، أنطوني!

سمر دياب *

حلمت بأنطوني الليلة. أنطوني رجل تعرّفت عليه في اليونان قبل سنوات. كان في الستين من عمره، يعمل في دهان البيوت ويحب الرسم وشرب الكحول.

أخبرني عن زوجته التي طلّقته حين ثمل مرة وشرع يسكب الطلاء الأخضر على أرضية البيت، رسم حينها وروداً وعصافير على الجدران، وبلّل فراش السرير بالماء حتى طفح، ثم جلس وسط حديقته يتلو أشعاراً لبريفيير.

أخبرني أنه مصاب بسرطان الرئة.

— سأموت أخيراً. هكذا قال لي بابتسامة حقيقية.

سألته عن أمنية ما قبل الموت، فأجابني أنه يودّ لو يقبّل زوجته ثانية ويعتذر منها، فقد رسم تلك الليلة الكثير من الورود الصفراء دون أن ينتبه أنها تفضّل الحمراء.

أظنّ أن أنطوني قد مات منذ سنوات وأحدهم فوق ذكره بتلك العابرة التي سألها عن اسمها، فأجابته بابتسامة عريضة: اسمي ريتا.

وصدقني أنطوني.

* برشلونة/ لبنان

رونكو ــ «أحمر على زهري» (زيت على لوح خشب، 1968).

شذرات

هدهدٌ يحفرُ الذاكرة

أوس حاتم *

الشعرُ وصيةُ العدمِ في ذهنِ الليل.

■■■

القصيدةُ حبلٌ مشنقةٌ كلَّ يومٍ يعدمُ الشاعرُ جزءاً منه بها.

■■■

الوعي مرآةٌ لوعيٍ آخر... مرحباً بك في عالم الوعي.

■■■

رفاتُ الليلِ فراشاتٌ مبعثرةٌ في النّهار.

■■■

رعشةُ ذهنٍ هي القصيدة.

■■■

ماذا لو كان هذا الليل عمقاً من أعماقنا.

■■■

حينما يضجرُ الزمانُ من مكارته الهَرِمة، يلوذُ بذاتي كمنفى.

■■■

عمرٌ يُقاسُ بأعداد أصدافٍ مرميّةٍ بين ذرات الرمال عمرٌ يأبى كل ارتجافات الزمن.

■■■

إرتجف أيها الليل، فهناك من يعبث بأوتار الأثير.

■■■

لأنّ الليلَ يُعرّي الذاكرة، تنبتُ الذكرياتُ في الأعماق... فرفقاً بأعماقنا أيها الليل.

■■■

بين هدهدٍ يحفرُ الذاكرة وفراشةٍ تنسجُ الأعماق، يولد زمان سرمدي.

■■■

لأنّه من سلالةِ الليل نبتت على جبينه نجمة.

■■■

في داخلي أسرار كثيرة تقول حبة رمل.

■■■

هناك متاهاتٌ كأصابعِ اللّانهاية تقولُ فراشةٌ مسافرةٌ في اللّيل.

■■■

حين وُلدَ الليلُ، فاقَ الخيالُ الوجودَ.

* اللاذقية

حسن عبدالله

الإنسان الذي قعد

هؤلاء الذين نسميهم المشاة فئة من الناس سائرة إلى الانقراض. فلم يعُد يظهر الإنسان إلا وهو راكب شيئاً، سيارةً أو باصاً أو قطاراً أو دراجةً أو طائرةً أو باخرة أو مصعداً كهربائياً أو درجاً متحركاً، أو أي شيء آخر من هذا القبيل. والكراسي نفسها في البيوت أو المكاتب بات بعضها يتحرك على عجلات.

بلى، ما زلنا نرى هنا وهناك بعض الناس الذين يستعملون أقدامهم، للانتقال من مكان إلى آخَر، ومعظم هؤلاء يفعلون ذلك بناء على نصيحة الطبيب.

ومثلما كان هناك إنسان العصر الحجري، وإنسان العصر البرونزي، وإنسان عصر التجار، هناك اليوم إنسان عصر الكهرباء والإلكترونيات الذي يمتاز عن أسلافه بقعوده، بعد أكثر من مليون سنة من الركض والوثب والقفز وتسلق الأشجار والسباحة والعراك مع الحيوانات والحشرات، ومع غيره من البشر.

إنّ من حق هذا الإنسان أن يرتاح ويسترخي بعد مسيرة تطوره الطويلة والشاقة، وهذا ما يجهد مصممو حياتنا الحديثة لتوفيره له، ففي كل مكان يكون فيه الإنسان أو يذهب إليه، تناديه أشياء كثيرة للتوقف إن كان ماشياً، وللجلوس إن كان واقفاً، فيستجيب لذلك ممتناً وشاكراً سواء أكان متعباً أو غير مُتعب، فالمهم في النهاية هو القعود.

لا وضعَ مسيئاً للناس
مثل وضعهم عندما يكونوا مارّة
على أرصفة المدن
فهم آنذاك
ليسوا سوى أحجام
نعمل على أن لا نصطدم بها!

انتروبولوجيا

وارد بدر السالم مفكّكاً مرايا الجسد...

خليل صويلح

يفتتح وارد بدر السالم كتابه «الجسد بين الحب والجنس» (العرَب، الصحيفة العربية) بقراءة الجسد المنتهك كاقصى حالات الإذلال، ثم يقشّر طبقات الجسد تبعاً لتصورات تاريخية متباينة، بمراجعة 30 كتاباً اشتغل أصحابها على الجسد بتحولاته الأسطورية والدينية والشبقية. في الجسد المنتهك، تحضر صور سجناء سجن أبو غريب بوصفها تمثيلاً للجسد الأسير، وفقاً لرؤية الباحثة التونسية رجاء بنجحل في كتابها «الشهادة بالصورة». إذ يتحوّل الجسد الشرقي المغتصب إلى عدو صاحبه بإشهاره على الملأ في سرديات بصرية متعسّفة كلحظة انتصار على فكرة الجسد الشرقي وفحولته وانهيار ذكورته الشرقية والإسلامية.

على المقلب الآخر، نجد أن الجسد الفردوسي كان صنيعة الأسطورة الذكورية التي عملت على كنس الأفكار الأنثوية واختزالها إلى مجرد «جماعات صامتة»، قبل أن تستعيد الأنثى كيانها المنهوب باستخدام «الجسد المسلّح» بكل أنواع الإغراء والقوى السحرية الغامضة. لكن «تلال الفردوس» ستتوارى تاريخياً تحت وطأة السلطة الذكورية وعجز الأنثى في مواجهة العنف الجسدي. هناك أيضاً «الجسد المكشوف/ المحجوب»، الجسد الذي يضيء بعريه، والجسد المعتم باللباس الفضفاض، وكأنما النساء «يفرغن أجسادهن» مما يعيق حريته، وسوف تلعب الشبكة الأخلاقية المعقّدة في تحرير أو حجب أجزاء من الجسد بوصفها مناطق إثارة وغريزة، وهو ما وظفته الماكينات الإعلامية بقوة في مواجهة صريحة مع المحرمات الدينية لجهة الحشمة وستر العورة، فالملابس تشكّل الجسد والاختلاف بين الجنسين «من خيط بسيط إلى برّة بثلاث قطع» بحسب ما أرّخته مينيكه شيير. وتشير مريم وحيد في كتابها «الجسد والسياسة» إلى أن لغة الجسد سابقة على لغة اللفظ، ما يعني أن سيميائيات الجسد وأنظمتها الدلالية، تفسّر وتستنتج المعاني من دون لغة، وتالياً يمكن «قراءة الجسد كنصّ» على خلفية معطيات الأجساد الثورية في مصر أثناء ثورة 25 يناير. فنحن إذاً، إزاء جسد بإمضاء سياسي، انتقل من سيطرة الدين إلى سيطرة السلطة. من جهته، يرصد محمد عرب صاصيلا في «أنثروبولوجيا الجسد والحداثة» الجسد الشعبي وجسد القديس، «ذلك أن لكل جسد إمكانياته في التعبير عنه، فالجسد الشعبي المحكوم بالتقاليد والأعراف الرسمية والطقوس الدينية الخاصة به، ينفلت أثناء الكرنفالات المناسباتية، ويتحرّر مما يكبّله، ويهزّ من كل ما يحمله من موروث ديني وطقسي ضاغط»، فيما يمتاز الجسد المقدّس بفرادنيته، وأناقته، ونزوعه إلى العزلة الروحية، وتبجيل رفاته نظراً إلى قدراتها الخارقة. وهو ما يقودنا إلى الجسد المهزوم بفعل الشيخوخة وصولاً إلى انطفائه الأخير. لكن ماذا بخصوص «الجسد المتألم»؟ تستعرض إلين سكاري قضية التعذيب البشري وأصوات الآلام التي تخرج عن سياق اللغة كتعبير عن الجسد في الامه القصوى، فالألم «يهدم اللغة» ويقوّضها أو يفككها. ومن ناحية أخرى، سنجد فرقاً بين عبارتي «جسدي يؤلمني»، و«جسدي يتألم»، فالأولى تقع خارج حدود غرفة التعذيب، والثانية داخلها. وفي الحالتين، ثمة غياب للوعي. كأن الجسد بمجمله «يحمل عبء بشريته عبر تاريخيته الطويلة، فهو جسد تاريخي حمل معه الطقوس والنذور والأديان والثقافات، كما أنه جسد جغرافي، وجسد ثقافي كونه ترجم سيرة عصره».

مراجعة 30 كتاباً اشتغل أصحابها على الجسد بتحولاته الأسطورية والدينية والشبقية

يتناول صاحب «شظية في مكان حسّاس» في الجزء الثاني من كتابه العشق الجنسي للجسد، والمسكوت عنه في النصوص المقدّسة، والمسافة الفاصلة بين المقدّس الديني والمدنّس الجنسي. وهو ما عالجته زهرة ثابت في أطروحتها «العشق في النصوص المقدّسة» بدراسة طريفة القص والسرد والروي ودلالات اللذّة وخطاب العشق الملتبس. وفي «أنثروبولوجيا الطعام والجسد»، تربط كارول م. كونيهان، نوع الطعام بالنسق الاجتماعي والطبقي، ذلك أنّ الطعام والجنس متداخلان مجازياً، فيما تختلف النظرة الشهوانية للجسد لجهة النحافة والسمنة بين جغرافيا وأخرى تبعاً لنوعية الطعام ودلالاته الرمزية والبيولوجية. يكتفي جال ليك هينيج بقراءة «تاريخ الأرداف» ملخّصاً تاريخ الجسد أنثروبولوجياً بوصفه «حقول أقواس غير عادية»، فهو يستعير لوحات ومنحوتات ومخطوطات في دراسات جمالية تتكئ في جزء منها على رسومات رافاييل، وماتيس، وبيكاسو، وغزليات الأدب الفرنسي في القرن السادس عشر، وكتابات بلزاك عن «الالتواء الفاسق»، ونيكي دي سان (العالم مستدير. العالم نهد).

يعقّب وارد بدر السالم على مصطلح «عاصفة الردف»، قائلاً: «الردف عاصفة الجسد كلّه، فالعاصفة موضعية مهما اتسعت، والعاصمة هي المركز الأخير لكل بلاد». وفي مطرح آخر، يقودنا دينيس دبروغمون إلى إشكالية الحب الصوفي عن طريق تحليل الأساطير بقصد استخراج المعنى المضمر، وتالياً فإن التصوّف ما هو إلا أسطورة ذات أبعاد حسيّة وغريزية، وهو بذلك ينسف حالة الارتقاء السماوي نحو ما هو أرضي مدنّس، و«أن المغرمين هم صوفيون من دون أن يعرفوا هذا». ويقتحم باسكال كينيار في كتابه «الجنس والفزع» فضاء الحياة البشرية بوصفها «غابة جسدية شهوية» منذ «إيروس» إلى الحب والجنس في الميثولوجيا الإغريقية، محاولاً تفكيك منظومة الجسد وعناصرها عبر الأسطورة بآليات سردية متسلسلة بما يشبه الحفريات لاكتشاف ما هو مسكوت عنه في تاريخ البشرية في ما يتعلق بالجنس والرغبة والفزع والافتتان، متنقلاً من لوحة إلى أخرى، ومن كتاب إلى آخر للتأكيد على تلازم الرغبة الحسيّة مع الخوف استناداً إلى عدد لا يحصى من الرسوم والتماثيل العارية. فهو يقول: «الشيء المخبّأ هو السّر». ويخلص بالقول: «في القوانين القديمة، المتعة دخيلة دوماً، لا تميّز بين الخوف والبهجة. أمّا الفزع، فهو أول هدية يقدّمها الجمال وفقاً لما يقوله أفلاطون».

يعدد صاحب «عذراء سنجار» أنواعاً من الأجساد التي تعكس مرايا مختلفة في جزء منها على رسومات رافاييل، وماتيس، وبيكاسو، وغزليات الأدب الفرنسي في القرن السادس عشر، وكتابات بلزاك عن «الالتواء الفاسق»، ونيكي دي سان (العالم مستدير. العالم دسمة، ومعجماً للجسد بكل أحواله وتبدلاته التاريخية والحسيّة.

سيرة

... ومحمود الورداني مؤرّخاً سيرة زمنه

مهند عبد العظيم

في أحد الحوارات، يقول محمود الورداني: «كل ما كتبته، لا أعتقد أنه يشكل إضافة ما، ولا أظن أنّ الإضافة كانت تعنيني مطلقاً، ما يعنيني هو الكتابة ذاتها. لا أكتب من أجل أن أضيف شيئاً أو فكرة أو موقفاً أو رأياً محدداً. الكتابة هي عملية اكتشاف، ولو كنت أكتب من أجل أن أضيف، لما كتبت شيئاً. قبل الكتابة، لا تكون الأمور واضحة... لا الشخصيات ولا ملامح الواقع ولا إلى أين تمضي الأحداث. حسب تجربتي، أنطلق من إحساس ما غامض، من عالم أو حكاية أو تصور أو معنى ما غير محدد، والمنتج النهائي هو عملية اختيار كل هذا واستكماله من خلال الكتابة».

في كتابه الجديد «الإمساك بالقمر ـ فصول من سيرة زمانَنا» (دار الشروق ـ مصر)، لا يلتزم الورداني بطريقة محددة للكتابة. لا يتحرك من نقطة بهدف، يتجاوز الشكل المعتاد للكتابة الذاتية، تمثّل ذاته في العمل صوت راوٍ يحكي عن زمن عاش فيه.

ينتمي الورداني إلى جيل السبعينيات المصري، ونسبة كبيرة من أبناء هذا الجيل تنتمي إلى اليسار. ورغم ما أرّخ له في الكتاب، لم يقدم الورداني يساراً خالياً من الأخطاء، بل انتقده ولم يخف أخطاءه، وربما من هنا تأتي أهمية هذا العمل: إنه سيرة زمن لا سيرة ذاتية، أقدم عليها كاتب يرى أن الجماعة المنتمي إليها ظُلمت، أو أنه ظُلم، وأن أفكارها على صواب دائماً، ينقد أفكار الجماعة مثل هذا النوع. لا يلتزم بشكل معيّن في الكتابة، في وقت تجده فيه يحكي عن يوسف إدريس ونجيب محفوظ وصلاح عيسى. وفي وقت آخر، يحكي عن بيت الرفيقة نعمات وعنها، يقفز بالسرد من منطقة إلى أخرى، لكن اللذة تكمن في أن تتقمّص كل شيء تتذكره». يلعب صاحب «أرض البرتقال» هذه اللعبة بخفة مدهشة. يتقمّص كل ما يتذكره، يحكي من قلب الجرح الغائر الذي مسّه ومسّ زمنه. في الفصل السابع من الكتاب، يقول «العم محمود» كما يُلقّب: «أريد هنا أن أؤكد مرة أخرى أنني لم أخطط لما أكتبه، بل فوجئت بكل ذلك وهو يتدفق بتفاصيله. والحقيقة أنّ كل ما أتمناه، هو أن أتمكن من الاقتراب منه واستدعائه». تدلّل هذه الفقرة على أن الكتابة في لحظة ما تأتي كألم يضغط على صاحبه ولا يخرج الألم هذا إلا بالكتابة، أو كما يقول بردياثيف إنّ الأنا تجهد في الخروج من وحدتها أخذة بشتى السبل: المعرفة، الجنس، الحب، الصداقة، الحياة الاجتماعية، الفن. وربما هذا ما فعله الورداني في كتابه. خرج عن ذاته، داعياً آخرين إلى قراءة زمنه، غير متأثر إلى أي فكر ينتمي، وربما هذه اهم ما يميز الأدب الجيد.

عندما يذكر أدب السيرة الذاتية، ينقسم القراء إلى فريقين. فريق يراه أدباً يحكي من منطلق الذاتية المتطرفة، التي تجعل الكاتب بطلاً أو مظلوماً، وبعضهم الآخر يراه هو الأدب وحده وكل ما هو موضوعي في هذا الأدب يفقده صدقيته ومغزاه. ومما يمنح «الإمساك بالقمر» قيمةً وأهمية مغايرة عن كل السير الذاتية العربية، أنه تجاوز معنى ومفهوم كلمة «الذاتية». ينقض المتعارف عليه، يتجاوز التصنيف الأدبي، والشكل المتعارف عليه في الجماعة من قبلها، يراجع أفكارها وأفكاره، يحاسب مواقفه كما يحاسب مواقف هذه الجماعة.

في إحدى رسائل فلوبير، قال صاحب «مدام بوفاري»: «ليس بالأمر اللذيذ أن تكون شخصاً آخر حين تكتب، يقفز بالسرد من منطقة إلى أخرى، ويفقد التتابع الزمني. ورغم هذا، لا تفقد الكتابة جمالها، ولا أهميتها».

ومن هنا، يتجاوز الكتاب فكرة الراسمالية التي تحتّم أن تكون الكتابة منتجاً أدبياً له تصنيف وشكل محدد. تمنع الكاتب من أن يغرق في نهر ما يكتب، وتحول بينه وبين صدق ما يكتب.

الانتماء إلى فكرة أو جماعة يحتّم على المرء أحياناً كثيرة عدم انتقادها أو انتقاد أفكارها. وكما جرت العادة في أوطاننا العربية، الانتماء إلى الأوساط الثقافية أو السياسية يصنع حالة قطبية، تمنع الموضوعية من ذكر أحداث تاريخية سابقة، وتخلق حول رموز هذه الأوساط حماية مطلقة، وتعاملهم في أحيان أخرى كالهة لا تخطئ ولا يصح انتقادها. في الكتاب، يقدم الورداني نموذجين لنقد الجماعة من قلبها. يذكر مواقف شجاعة الصحافي والمؤرخ صلاح عيسى، وفي لحظة أخرى ينتقد مواقفه السياسية قبل موته، رغم أنه ينتمي إلى فكره السياسي نفسه.

والنموذج الآخر هو القاص يوسف إدريس، يذكر مواقفه ومساعدته لجيله، وإسهاماته في الحياة الثقافية، ويذكر مواقفه المخزية أيضاً، وينتقدها بشدة، ويقف أمام تناقض إدريس مندهشاً مثلنا جميعاً.

لعلّ هذه ميّزة أخرى للكتاب، فلَما نجدها في عالمنا العربي اليوم، أن نكون أمام كتابة حقيقية تتجاوز الانتماءات والاعتبارات والأفكار السياسية. اختار الورداني عنواناً ربّما يبدو روائياً أكثر منه متعلقاً بسيرة زمن. لكنه يوضح سبب اختياره في بداية كتابه، مشيراً إلى أن السبب كان أنّ جيله شعر بأنه أمسك القمر عقب أحداث واعتصامات يناير 72. وهذا يضيف إلى الكتاب بعداً جمالياً آخر.

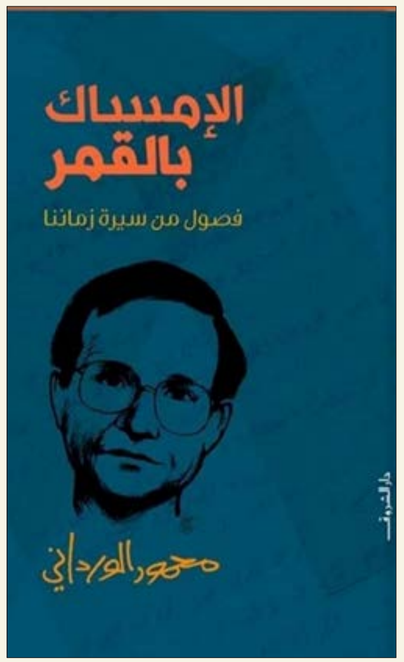

يقدّم نقدياً تجربة اليسار وجيل السبعينيّات

لمحات

عبد الاله بلقزيز

متى نشأت الحداثة في التاريخ العربي المعاصر؟ وهل كانت ليبرالية أم اشتراكية أو يسارية أو إسلامية أو قومية؟ في كتابه «من الإصلاح إلى النهضة» الصادر بطبعته الثالثة عن «مركز الدراسات والوحدة العربية»، يغوص الباحث المغربي عبد الإله بلقزيز في خطاب الأصالة ويتوقّف عند الحداثة منذ لحظة انبثاقها إلى نكستها بهزيمة حرب 67 وجدلية الأنا والآخر عند الفرد العربي. ويحاول تشريح مكونات مختلف التيارات الفكرية العربية واستخراج حصيلة نقدية تبرز نجاحاتها وفشلها على جميع الأصعدة. كما يحلّل أفكار أربعة مفكرين عرب هم أحمد فارس شدياق، أحمد لطفي السيد، علي عبد الرازق، طه حسين.

هدى عبد

تُسلط رواية «حبيبتي مريم» (الفارابي) لهدى عيد الضوء على أوجاع الإنسان بأسلوب سري أسر. تواصل الكاتبة اللبنانية مناقشة القضايا الكبرى ومواجهة خطاب الهيمنة وتفكيكه. تتعدد الأصوات في الرواية، فكل قسم يسرده راوٍ مختلف من منظوره الخاص، مستخدماً ضمير المتكلم وفقاً للزمان والمكان الذي ينتمي إليه. القسم الأول يرويه حكيم ابن مريم، الثاني حبيب مريم ، الثالث ترويه مريم نفسها، والقسم الأخير ترويه جودي ابنة مريم. هكذا تتداخل الأزمنة الروائية بين الحاضر والماضي، ويتحول كل جزء من القصة إلى لوحة داخل اللوحة الأم. الرواية شبيهة بأحجية الصور الصغيرة المُقطعة التي تتطلب التركيب للوصول إلى تشكيل الصورة الكبرى.

عياد بو مزراق

ما هي أهم المصطلحات المؤسِّسة للحداثة النقدية والإبداعية في كتابات أدونيس وجابر عصفور؟ وما هي إشكاليّاتها النظرية والإجرائية التي تُعطل اكتمال النظرة النقدية العربية المعاصرة؟ أسئلة عديدة تشكّل موضوع كتاب عياد بو مرزاق «إشكاليات المصطلح وتَعطُّل النظرية النقدية» (مركز دراسات الوحدة العربية). يعترف الباحث المغربي بأن البحث في الأفكار والنظريات بتجرّد علمي هو أمر بالغ الصعوبة. خصوصاً إذا كانت هذه الأفكار تخص مفكرين من أعلام الفكر العربي والحداثي عُرفا بالإنتاج المعرفي الغزير. يتضمّن الكتاب أربعة فصول يحاول الكاتب خلالها تتبع أفكار أدونيس وجابر عصفور وهما يؤسّسان لمشروع نقد الفكر العربي.

نادين باخص

تقول نادين باخص بأنّ الطفل «يعجّ بالمشاعر والأفكار التي يجب أن تُواكَب بمستوى لائق». لذلك خصّصت الكاتبة السورية سلسلة قصصية موجّهة للأطفال بعنوان « ألوان الذاكرة» (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر). السلسلة التي أبدعت رسوماتها الفنانة ضحى الخطيب، تضم أربعة كتب مختلفة هي: «في رأسي نغم»، و«طاحونة جدّي»، و«ناي جبران»، و«أقرب إلى السماء». حاولت نادين التنويع في مواضيعها لجذب اهتمام الطفل، فدارت قصصها عن أغنيات فيروز بهدف «تهذيب ذائقة الطفل الفنية وتثقيفه موسيقياً»، إلى جانب تعريفه بأهم المبدعين اللبنانيين. «ألوان الذاكرة» ليست التجربة الوحيدة للكاتبة والشاعرة السورية في عالم الأطفال، إذ طرحت سابقاً قصص «لستُ بيضة مسلوقة» و«عقلي يقول لي»، إضافة إلى أعمال أدبية أخرى.

ياسوناري كاواباتا

«الخطيئة أم الحب، أيهما كان السبب في موت كل من أحب؟» سؤال يؤرّق كيكوجي بطل رواية «سرب طيور بيضاء» للكاتب الياباني الراحل ياسوناري كاواباتا عن معركة الإنسان الأبدية، بين الروح والجسد وبين الخير والشر. صدرت الترجمة العربية للرواية بطبعة جديدة عن «المركز الثقافي العربي» (ترجمة الشاعر الراحل بسام حجار). تدور الأحداث في مجتمع ياباني تقليدي يمتاز ببُنيات ثقافية صارمة. فن احتساء الشّاي موضوع أساسي في الرواية، فهذا المشروب مرتبط بطبقات النخبة وله طقوس مُعقّدة مُسربلة بالتقديس وتقاليد يخضع لها الجميع بدقة متناهية، بحيث يُعتبر الخروج عليها مصيبة كبرى في عُرف المجتمع. رواية ذات مغزى فلسفي عميق عن الثواب والعقاب وعن الخطيئة والمغفرة.

خوليو ياماناريس

أربعة أجيال لعائلة الجدّ دومينغو تجتمع لوداعه ونثر رماده في قاع البحيرة في رواية «طرائق مختلفة للنظر إلى الماء» (دار سبعة ـ ترجمة طلعت شاهين). يلتئم شمل أفراد العائلة خلال جنازة الجد ويعيدون بناء تاريخهم الشخصي وتاريخ قريتهم التي أجبروا على الخروج منها نتيجة إقامة الديكتاتور فرانكو خزانات مياه ضخمة باعتبارها مشاريع قومية للري وتوليد الطاقة الكهربائية.

لكن هذه المشاريع كان لها تأثير مأساوي على المحيط، إذ حجزت المياه من خلفها في وديان عميقة بها العديد من القرى، ما أدى إلى إغراقها وتهجير سكانها. سعى الكاتب في هذه الرواية لتخليد تلك القرى المندثرة الرابضة تحت خزانات المياه وتصوير أثر السدود على الحالة الاقتصادية والمعيشيّة لسكانها.

توثيق

جمال حويل: يوميّات معركة جنين

منى سكرية

في سجلّ جمال حويل أنه مقاوم، وواحد من أربعة قادة خاضوا معركة جنين من 1 إلى 15 نيسان (أبريل) 2002، وأنه أسير في سجون العدو الصهيوني مرات عدة، فأسير محرّر، ثم عضو منتخب في المجلس التشريعي الفلسطيني عام 2006، وهو عضو في المجلس الوطني الفلسطيني، وفي المجلس الثوري لحركة «فتح»، وحائز شهادة دكتوراه في العلاقات الدولية من جامعة القاهرة، وشهادات عليا من «جامعة بير زيت» والجامعة الأردنية، ويعمل أستاذاً للعلوم السياسية في «الجامعة العربية الأميركية» في جنين. هذا في سيرته الظاهرة، أما شخصية حويل النضالية والفكرية والعسكرية، فإنها تتجلى في مؤلفه «معركة جنين الكبرى 2002/ التاريخ الحي» (مؤسسة الدراسات الفلسطينية)، وقد أدلى بشهادته المتعددة الأبعاد كداوره، والناقد بكل جراة لمعنى النصر ومعنى الهزيمة في تلك المعركة، وبالكثير من الحب المتدفق والوجدان الملتهب والقناعة بالعمل المسلح، وبالسخط على الصمت العالمي وعلى صمت الأمم المتحدة تجاه معاناة الشعب الفلسطيني.

شيء من ذات المقاوم، الكاتب جمال حويل أضاءات للقارئ، ولذوي تجربة العمل المقاوم، قدرة على تخطي الآلام في استثارة التقييم وتجاوز إبداء الملاحظات، وتحدي النمطية في الانتماء للانتماء فقط، فكشفت عن ثغرات، وتضخيم وأسطرة، مع التوثيق اليومي لأسطورة صمود أهل المخيم، وإبداع المقاومين «وتجلي الوحدة الوطنية في استشهاد الأبطال المقاومين الذين توحدوا حتى في قبورهم»، والوحدة الوطنية التي كانت خطاً أحمر عند البرغوثي وقادة الفصائل التي تشكلت في جنين في تلك المعركة وهم: كتائب شهداء الأقصى، سرايا المقاومة وكتائب القسام، وتخبط القيادة السياسية التي ـ وإن تحوّل فيها أبو عمار المحاصر في مقر المقاطعة إلى الرمز/ التحدي ـ إلا أنّ حويل يذكر أنّ «القيادة العسكرية والأمنية الفلسطينية على المستوى الفلسطيني الرسمي، لم تشارك ولم تساعد في وضع الخطة لأسباب سياسية تتعلق بخيارات السلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية في مرحلة ما بعد أوسلو»، إضافة إلى عدم امتلاك المقاومين في المعركة سوى قاذفة «ار. بي. جي» واحدة «مع العلم بأنه تمت مصادرة العديد من هذه القذائف والقاذفات من مقار أجهزة أمنية في مختلف مدن الضفة الغربية بقيت رهينة مخازنها، إلى أن اجتاحتها وصادرتها قوات الاحتلال الإسرائيلية».

بات المخيّم مقلع المقاومين والاستشهاديّين ومعقل الرعب للجنود الإسرائيليين

يتضمن الكتاب أربعة فصول، وفصلاً خامساً بعنوان «خلاصات معركة جنين: ملاحظات نقدية» وهو الفصل/ البوصلة لترميم الأخطاء، وتنقيب الثغرات في التخطيط والميدان وغياب الإسناد.. ولكن في الكتاب عن معركة جنين تلك، ما هو أعمق من الحفر في الوجدان الفلسطيني.

في المقدمة، التي كتبها الأسير مروان البرغوثي، يصف العمل بأنه «نوعي بكل المعايير»، مبيّناً تعليله لذلك، وبالقول: «إنني عشت تجربة مخيم جنين عقلاً وفكراً وقلباً ووجداناً ونفساً وروحاً، وإن لم أكن حاضراً فيها جسداً، وأكاد أشعر حتى اللحظة بدفء مشاعر أهل المخيم ورائحة الدم وبسالة المقاومة ورصاص المقاتلين وقنابلهم وتحدي النساء والأطفال لجيش الاحتلال». وما لم يقله الأسير مروان البرغوثي عن مشاركته هذه بالجسد، أكده حويل بوصف البرغوثي «مهندس انتفاضة الأقصى» ورئيس أركانها، والأب الروحي لتاسيس «كتائب شهداء الأقصى». بعد عشر سنوات من الانقطاع عن الدراسة بسبب معركة جنين والأسر، شكّلت فكرة الكتاب هاجساً شخصياً مسكوناً بهمّ جماعي فلسطيني، اعتمد خلالها حويل «منهجية النار» التي يؤمن بها «نظراً وممارسة»، فتداخلت رواية ما حصل بين المقاوم والكاتب، ما أعطى لصفحات الكتاب النكهتين والبعدين: أن تكون مقاوماً، وأن تتخطى ذاتك لتروي الرواية لأنه «كان هناك تحيّز حزبي واضح وعدم موضوعية في كتابة هذه الشهادات»، لكنه يميّز بين الأدبيات الصادرة في هذا الموضوع، كتاب الأسير وليد دقة بعنوان «يوميات المقاومة في مخيم جنين 2002»، مع الإشارة هنا إلى صدور عدد يتجاوز أصابع اليدين عن معركة جنين تلك.

مخيم جنين الذي تاسس عام 1950 في مكانه الحالي بعدما غمرت المياه موقع المخيم السابق، بات مقلع المقاومين والاستشهاديين ومعقل الرعب للجنود الإسرائيليين. احتل المرتبة الثانية بعد نابلس في عدد الشهداء في انتفاضة الأقصى عام 2000 ونحن على أبواب ذكراها، وفي أسطورة صمودها عام 2006، وفي أسرار قوتها.

الثاني»، فقد أورد الكتاب نبذة عن موقعها الجغرافي وأهميتها التاريخية «وقد ورد اسمها منذ 4300 عام في مخطوطات ومكتشفات مصرية وبابلية وأشورية وورد اسمها في الإنجيل والتوراة». كما توقف عند المعارك والمقاومة في تاريخها المعاصر. إذ بدأت جنين بحركة مقاومة باكرة للاحتلال الإنكليزي وانحيازه للحركة الصهيونية. تتضح صورة معركة جنين في الفصل الرابع (الصورة والأسطورة: يوميات المعركة). ومن خلال هذه اليوميات، يدخل الفصل الخامس إلى «خلاصات معركة جنين: ملاحظات نقدية» ومعها يتربّع جمال حويل على عرش الصراحة والجرأة الذاتية. يؤكد على أهمية الوحدة الوطنية والتنسيق والتعاون الفصائلي لأنّها صمام البقاء والصمود، وعلى تلاحم المقاومة مع الأهالي لأنّ اكتساب تاييدهم أمر في غاية الأهمية لنجاح المقاومة واستمرارها، كما على ضرورة تطهير البيت الفلسطيني من الجواسيس والخونة والطابور الخامس وتحصين المجتمع والمقاومة الفلسطينية منهم (ونزيد برأينا تعجيل تطهير السلطة الفلسطينية الحالية من تنسيقها الأمني مع سلطات العدو باعتقالها اليومي للشرفاء من المقاومين)، إضافة إلى ملاحظات تصويبية عسكرية تتعلق بالعمل الميداني. يختتم جمال حويل كتابه بشعار: «ما دام الاحتلال قائماً، لا بد من أن يظل خيار المقاومة قائماً». ومعه نختتم بالإشارة إلى تجربة المقاومة في لبنان وما حققته من انتصارات على العدو الإسرائيلي عام 2000 ونحن على أبواب ذكراها، وفي أسطورة صمودها عام 2006، وفي أسرار قوتها.

أوراق

ربط غوستاف دالمان الطقس بعيد «شم النسيم» في مصر الذي يتوافق مع «عيد النيروز» (حسين فاطمي)

طقس «نسّ البنات» في الخليل

زكريا محمد *

يحدثنا غوستاف دالمان في كتابه الثمين «العمل والعادات في فلسطين» عن طقس خاص جداً من مدينة الخليل، يدعى: نَسّ البنات. «في ما يخص البنات في الخليل، فإن السبت أو الخميس الذي قبل الفصح هو يوم «نَسّ البنات» في الكروم. فهن يذهب للتنزه (بشْطَحوا)، ويركبن المراجيح التي يعلّقنها على الأشجار، ويأكلن خضرة الطبيعة، ويرقصن الدبكة. وفي السابق يفترض أن الشباب كانوا يشاركون في هذا. لكنّ شيخاً أفتى بمنع ذلك... ويقول الواحد عن هذا: بنيْسوا الأواعي، حيث إن الجذر نس قد يكون مرتبطاً بنيسان، وبذا يمكن ترجمته على أنه يعني: «إقامة [عمل] نيسان بالأشياء»» (1)

النص للأسف قصير جداً، ولا يقدم لنا وصفاً إضافياً للطقس. ويبدو أن غوستاف لم يشهده شخصياً، بل سمع عنه سماعاً من بعيد. لذا ففي النص قدر من الغموض. أما التعبيران الأساسيان في النص فهما:

1- نسّ البنات

2- بنَيْسوا الأواعي. والأواعي هي الملابس باللهجة الفلسطينية. هذا إذا كان نقل دالمان للكلمة صحيحاً.

أما دالمان، فقد ربط الطقس بعيد «شم النسيم» في مصر الذي يتوافق مع «عيد النيروز». لكن لا شيء في وصفه للعيد أو الطقس يوحي بذلك. شم النسيم. وشهر نيسان، الذي يدعى في فلسطين باسم «شهر الخميس» مليء بالأعياد والطقوس. على كل أي، فحين عرض دالمان لكلمة «نسّ» في الاسم، افترض أنها أتت من نيسان، باعتبار أن الطقس يجري في نيسان. أي أن تعبير «بنيسوا» يعني بشكل ما أن البنات «ينيّسن»، أي يقمن طقس نيسان. والحق أن هذا غير مقنع بالمرة في ما يبدو لي. ولو كان هذا صحيحاً، لقيل «بنيسنوا» أو «بنيّسن». أي لما حُذفت النون الثانية. بذا فاقتراح دالمان لا يحل لنا مسألة «النس» في الطقس.

انطلاقاً من ذلك، وفي غياب معلومات أخرى عن الطقس، يبدو أن علينا الذهاب للجذر (نسس) لكي نفهم «نسّ البنات» وتنييس الأواعي، أي الملابس. وفي العامية الفلسطينية، فالناس يستعملون تعبير: «بينِس نسّ» بمعنى يذهب مسرعاً من دون أن يشعر به أحد، أو محاولاً ألا يشعر به أحد. وهذا يتوافق على الأقل مع القواميس. فالنس سير سريع ما فيها: «الليث: النس لزوم المضاء في كل أمر، وهو سرعة الذهاب لورد الماء خاصة... أما النسّ فإن شمراً قال: سمعت ابن الأعرابي يقول: النس: السوق الشديد، والتنساس السير الشديد» (لسان العرب).

وإن كان المعنى العامي هو المقصود في «نس البنات»، فهو يشير إلى أن البنات في هذا العين يخرجن مسرعات متخفّيات، أو شبه متخفّيات، إلى الطبيعة للقيام باحتفالهن الخاص. أي أنهن عملياً يخرجن من دون علم الأهل، أو يحاولن أن يظهرن كذلك. إنهن يغادرن البيت على الضد من رغبة الأهل، أو أنهن يتظاهرن بذلك. بالتالي، فالجذر يتيح لنا افتراض أن جملة «نس البنات» تعني: خروج البنات نسّاً، أي بقدر من التخفي.

غي أن الجذر «نسس» أوسع من ذلك. فهو يعني الطرد والإبعاد: «قال أبو النجم: ونسّ وغراتُ المصيف العقربا. نس: طرد. ووغرة الحر: شدته. يقول: جاء الصيف، فخرجت الهوام» (ابن قتيبة، المعاني الكبير). والمعنى الأدق لشطر أبي النجم في ظني هو أن حرارة الصيف تُخرج العقارب من أوكارها، أو تطردها من أوكارها. وهذا يتوافق مع فكرة أن الاسم يعني: خروج البنات. لكن النس في البيت، قد يعني الطرد أيضاً. وهو معنى تؤكد عليه القواميس التي تقول إن النس هو الطرد والزجر: «في الصحاح: النس: الزجر. وقد نسّها نساً. قاله الجوهري: كالنسنسة فيهما. وقال شمر: نسنس ونسّ، مثل نشنش ونشّ، وذلك إذا ساق وطرد. وقال الكسائي: نسست الناقة والشاة أنسّها نساً: إذا زجرتها فقلت لها: إس إس... والنس: اليبس» (الزبيدي، تاج العروس). بذا فقد يكون معنى «نس البنات» إخراج البنات من بيوتهن. أي عملياً طردهن من بيوتهن، وزجرهن عن أن يقعدن في هذه البيوت. وهذا يعني أن الأهل هم عملياً من يخرجون البنات من البيوت. وهذا أيضاً أمر يمكن فهمه. فهن قد بلغن سن الزواج، وقد جاء الوقت كي يتدبرن عرساناً لهن. أي عليهن أن يهيّئن أنفسهن لمغادرة بيت الأهل إلى بيت الزوج. بذا، فطقس نس البنات هو بروفة لما سيحصل مستقبلاً، أو استعداد لما سيحصل مستقبلاً. إنه إخراج رمزي للبنات من بيوت الآباء.

أما في ما يخص تنييس الأواعي- الملابس، فيبدو أنه اشتقاق من المعنى الذي نتحدث عنه. ويقال إنّ ملابس البنات كانت تُنقع في ماء الزهور والأغصان ربما لإعطائها ريحاً طيبة. لكن ربما أيضاً لكي تبدو ملابس جديدة. أي أنها لن تكون ملابس بيوت الأهل بعد، بل ملابس الخروج من البيت.

عليه، فنسّ البنات طقس النضوج الجنسي، والخروج رمزياً من بيوت الأهل للبحث عن زوج وبيت آخر.

> قد يكون معنى «نس البنات» إخراج البنات من بيوتهن

نوّار الغبيراء

لعل لطقس نس البنات أن يكون على علاقة بطقس الغبيراء الذي حدثتنا عنه بعض المصادر العربية الكلاسيكية. فعندما تُخرج شجرة الغبيراء نوّارها، تعمد نساء مدينة «هراة» إلى الطبيعة وحدهن، ويمارسن طقساً مشابهاً. والوصف المقدم للطقس ينضح بالرغبة الجنسية، أي أنه ملوّن ومبالغ فيه قليلاً، لكن إشارة الخصب فيه سليمة. يقول المقدسي في «أحسن التقاسيم» عن طقس نساء هراة: «ويقال إن نساءهم يغتلمن إذا أزهرت أشجار الغبيراء كما تغتلم السنانير [القطط]»». ويضيف ياقوت الحموي في «معجم البلدان»: «ويقال إن نساءهم يغتلمن إذا أزهرت الغبيراء كما تغتلم القطاط». ويؤكد القزويني في «آثار البلاد وأخبار العباد» الأمر بقوله: «قالوا: إن نساءها يغتلمن إذا زهرت الغبيراء كما تغتلم السنانير». غير أن القزويني في «آثار البلاد وأخبار العباد» يخبرنا أنّ الأمر لا يتعلق ببلاد فارس وحدها. فالطقس ذاته يمارَس في «بلد باشاي» في الموصل العراقية: «قرية من أعمال الموصل يقال لها بلد باشاي. حكى الشيخ عمر التسليمي، وكان من أهل التصوف، قال: وصلت إلى هذه القرية، فلما كان وقت خروج نور الغبيراء اهتاج بنسائها شهوة الوقاع، يستحْيين من ذلك لغلبة الشهوة ولا قدرة للرجال على قضاء أوطارهن. فعند ذلك أُخرجن إلى واد بقرب الضيعة، وهن بها كالسنانير عند هيجانها، إلى أن انقضت مدتهن ثم تراجعن إلى بيوتهن وقد عاد إليهن التمييز! قال: وسمعت أن كل سنة في هذا الوقت تحدث بهن هذه الحالة».

وهكذا تفقد نساء الموصل عقولهن عند تزهير الغبيراء، ثم يعود لهن «التمييز» والعقل، بعد أن ينتهي الطقس. أما الغبيراء، فشجرة شهيرة جداً. وقد ورد ذكرها في حديث نبوي، دار حوله جدل كبير في المصادر العربية: «إياكم والغبيراء فإنها ثلث خمر العالم». ويبدو لنا أنه كان يُصنع من الثمار الحمراء لهذه الشجرة خمرة محددة. وبالفعل، فهناك طراز من الخمر يدعى «الغبيراء». وهي خمر يختلف عليها، ويقال إنها من الذرة. لكنّ ثعلباً يخبرنا أنها: «خمر تُعمل من الغبيراء» (لسان العرب). وهذا هو الأصح في رأينا.

وإذا كان هناك من علاقة بين طقس «نس البنات» و«طقس الغبيراء»، فهو طقس أنثوي صافٍ لا يشارك فيه الرجال مطلقاً. وهو ما ينفي ما ذكره دالمان من أن الرجال كانوا يشاركون في الطقس إلى أن أفتى شيخ ما بتحريم مشاركتهم.

(1): غوستاف دولمان، العمل والعمال في فلسطين، مجلد ½، ص 445-445، بالإنكليزية، دار الناشر، 2013. وكان الكتاب قد صدر بالألمانية عام 1928، وتُرجم جزء منه حديثاً إلى الإنكليزية وصدر عن «دار الناشر- رام الله». ويبدو أن ترجمته العربية ستصدر في وقت غير بعيد.

* شاعر فلسطيني

Samedi 28 Mai 2022 no20
السبت 28 أيار 2022 العدد العشرون

القوس

www.alqaous.com

12 صفحة

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

محبستوش الروح

11-10

المرأة والرجل... والميزان ثالثهما
3-2

النصوص تسبق النفوس
5-4

«الهوية الجندرية» والتحقيقات الجنائية
7-6

نمطية الصورة السينمائية للمرأة
9-8

في الواجهة

المرأة والرجل... والميزان ثالثهما

تسعى النساء في لبنان، منذ عقود، للحصول على حقوقهن كاملة، وإثبات وجودهن في مختلف المجالات، من دون ان يحققن تقدّمًا كبيرًا. اذ ان معظمهن لم ينلن بعض أبسط حقوقهن، ولا يزال عدم المساواة بين الجنسين متفشياً في مجالات اساسية، بدءاً من الاعراف والعادات والتقاليد وصولًا إلى البنية القانونية

«ما يجعل النّاس برابرة او متمدّنين إنّما هو المرأة»
بطرس البستاني (1819 - 1883)

■ **بشرى زهوة، سمر فرحات**

تنص مواثيق حقوق الإنسان على أن للمرأة والرجل الحقوق نفسها. مع ذلك، غالبًا ما يتم التعامل مع النساء بدونية. على سبيل المثال، تُحرم كثيرات من النساء من الحق في التعليم وفي الحصول على أجر متساوٍ عن العمل نفسه. ومن أبرز مصادر التمييز ضد المرأة في لبنان:

■ منح السلطات الدينية صلاحية تنظيم مسائل الأحوال الشخصية بموجب المادة (9) من الدستور. ويشكل ذلك أحد المصادر الأساسية لتكريس التمييز ضد المرأة، خصوصًا في قضايا الزواج والطلاق وحضانة الأطفال والإرث.

■ الاعتبارات الاجتماعية، إذ تلعب الثقافة المجتمعية دورًا مهمًا في نشر الوعي بحقوق المرأة، والتخلص من العادات البالية كالزواج المبكر وحصر وظيفة المرأة في العناية بالزوج والأطفال وسائر افراد العائلة.

■ الاعتبارات السياسية، إذ لا تزيد نسبة مشاركة المرأة في البرلمان على 5%، علمًا ان اقتراحات قوانين عدّة قُدّمت لإدخال نظام «الكوتا» النسائية في قانون الانتخابات، لكن أيًا منها لم يُقر حتى اليوم. كما لا يحق للمرأة اللبنانية إعطاء الجنسية لأولادها، ويتذرع بعض المُشرّعين لحرمانها من هذا الحق بعوامل ديموغرافية واعتبارات سياسية وبارانويا «التجنيس».

■ التمييز الاقتصادي والنظرة النمطية الدونية للمرأة في مجال العمل والإنتاج وكسب المال. فرغم أن المرأة تُمثل أكثر من نصف المجتمع، وأن 44% من حملة الشهادات الجامعية العليا هم من النساء، لا تزال مشاركة المرأة في سوق العمل تتقدم على نحو بطيء، ولا تتعدّى 29% من القوى العاملة في لبنان. علمًا ان تحرّر المرأة اقتصاديًا يؤمن لها نوعًا من التحرّر الاجتماعي والسياسي.

تشغل حقوق المرأة موقعًا بارزًا على خريطة الفكر والثقافة، وهناك جهد واهتمام وسعي سياسي لتمكين المرأة، ليس فقط باعتبارها شريكًا مساويًا، ولكن لأنّ العبء الأكبر من التنمية المجتمعية يقع على عاتقها. وقد حصلت المرأة اللبنانية حقها في الاقتراع والترشح عام 1953، أي في مرحلة مبكرة من عمر الجمهورية اللبنانية.

في الانتخابات النيابية الأخيرة، حقّقت السيّدات تقدّمًا في مشاركتهن في صنع القرار بعدما زاد عدد النائبات من ست (في دورة العام 2018) إلى ثماني سيدات هذا العام، من أصل 115 مرشّحة.

■ ثلاث نائبات أُعيد انتخابهن هنّ: بولا يعقوبيان، عناية عز الدين، وستريدا جعجع.

■ ثلاث نائبات دخلن البرلمان عن المجموعات «التغييرية» هنّ: نجاة صليبا، حليمة القعقور، سينتيا زرازير.

(قوى الامن الداخلي)

الضابطة العدلية بالمؤنث

يبلغ عديد النساء في قوى الأمن الداخلي نحو 900 امرأة، بينهن 20 ضابطة، وفي أمن الدولة حوالي 400 بينهن ضابطتان، وفي الأمن العام حوالي 800 بينهن 5 ضباط

■ اثنتان انتُخبتا على لوائح حزبية هما: غادة أيوب وندى البستاني.

فهل يمكن للنائبات، بعددهن القليل، أن يُحدثنَ تغييرًا يسهم في إقرار القوانين المنصفة للمرأة وبلغي او يعدل القوانين المجحفة؟ النائبة المنتخبة عن دائرة الشوف عاليه نجاة عون صليبا (مديرة مركز حماية الطبيعة وأستاذة مادة الكيمياء في الجامعة الأميركية في بيروت)، شددت على أهمية إقرار الـ«كوتا» على «ألا تكون النسبة أقل من 30% لترتفع لاحقًا إلى 50%. وبعدما يصبح هذا الأمر طبيعيًا وتعتاد الناس الفكرة، حينها يمكن إلغاء القانون». وأكّدت عون لـ«القوس» على أهمّية تعزيز دور المرأة في الحكم المحلّي أيضًا، إذ أن الـ«كوتا» يجبّ أن تُقرّ ليس فقط في المجلس النيابي، بل في المجلس البلدي.

وعن إشكالية حق المرأة اللبنانية في إعطاء الجنسية لأولادها، تجزم بأن «هذا حق، وإذا كان هذا الحق يُخيف بعض المذاهب، فليسقطوه عن الرجال أيضًا. انا مع المساواة بين المرأة والرجل في كل الأمور». وأشارت إلى أنّها ستدعم إقرار قانون يقضي برفع سن حضانة الأم إلى ثمانية عشر عامًا.

«حجابي مش ضد العدل»

النائبة المنتخبة حليمة القعقور (دكتورة في القانون الدولي العام وحقوق الإنسان، انطلقت من الجامعة اللبنانية في كلية الحقوق والعلوم السياسية للدفاع عن حقوق المرأة) نشرت أبحاثًا في قضايا المساواة بين الجنسين. من القضايا المهمة التي دافعت عنها القعقور حق المرأة المُحجبة في دخول سلك القضاء من دون تمييز على أساس الدين أو الشكل أو

> **نجاة عون: منح الجنسية حق وإذا كان هذا الحق يُخيف بعض المذاهب فليسقطوه عن الرجال أيضًا**

اللباس. وهي عملت مع طالباتها في كلية الحقوق على تأسيس حملة «حجابي مش ضد العدل»، عام 2019، بهدف إلغاء التمييز تجاه المحجّبات كونه يتعارض مع حرية المعتقد الذي ينص عليه الدستور اللبناني (المادة 9)، والمعاهدات الدولية المصدّق عليها، كما يُعدّ إنتهاكًا واضحًا وصريحًا للمادة (7) من الدستور التي تنص على أنّ «كل اللبنانيين سواء لدى القانون وهم يتمتعون بالسواء بالحقوق المدنية والسياسية، ويتحمّلون الفرائض والواجبات العامة دونما فرق بينهم». وكذلك المادة (12) التي تنص على أنّ «لكل لبناني الحق في تولي الوظائف العامة لا ميزة لأحد على الآخر إلّا من حيث الاستحقاق والجدارة حسب الشروط التي ينص عليها القانون».

وهي نَدّدت أخيرًا، عبر صفحاتها على مواقع التواصل الاجتماعي على خلفية رفض توظيف فتاة محجّبة، بإجراءات التمييز مشيرة إلى أنه «بينما تتصاعد حدّة الأزمة الاقتصادية، يبدو مذهلًا استمرار فصول التمييز الدّيني الذي تمارسه مؤسّسات لبنانيّة على مواطنات محجّبات، مع رفض متجر السّوق الحرّة في مطار بيروت توظيف الشّابّة دينا الدّر لمجرّد ارتدائها الحجاب. هذه الإجراءات التي تمارس على أرض مرفق عام، تناقض حقّنا كنساء باختيار لباسنا، وكذلك حقّنا باختيار الرّموز الدّينيّة، وهو ما تكفله مقدّمة دستورنا والتزاماتنا الدوليّة، لا سيما المادّة 18 من العهد الدّوليّ الخاص بالحقوق المدنيّة والسّياسيّة. وإضافة إلى المنطلق الحقوقيّ الذي لا يمكن المسّ به، فإنّ الأزمة الاقتصاديّة اليوم تتطلّب اعتماد سياسات لدمج النّساء من دون تمييز في العجلة الاقتصاديّة، كشرط أساسيّ لتحقيق النّمو الاقتصاديّ».

العدالة انثى؟

حضور المرأة في السلطة القضائية ازداد بشكل ملحوظ خلال السنوات الأخيرة ووصل إلى حد المناصفة، ويتوقّع أن تشكّل النساء غالبية القضاة خلال عامين. رغم ذلك، لا تزال هناك حواجز تعيق دخول المرأة إلى السلطة القضائية وتقدّمها المهني في سلك القضاء، ويبدو ذلك واضحًا في التوزيع الجندري للمراكز القضائية من زوايا عدّة. أوّلًا وفق فئتها: إذ لا تزال المرأة مستبعدة من بعض المناصب القضائية العليا والحساسة، ولا يزال تمثيلها ناقصًا بشكل واضح في بعض المجالات مثل القضاء العسكري والعدالة الجنائية. ثانيًا وفق الاختصاص الوظيفي: إذ لم تتمكن القاضيات من ترأس غرف في المحاكم الدينية التي تختص بكثير من مسائل الأحوال الشخصية ذات التأثير الكبير على حياة النساء والرجال. وأخيرًا وفق تواجدها الجغرافي: إذ يوجد ميل إلى تركّز القاضيات في العاصمة بيروت بدل المناطق الريفية.

مشاركة النساء بشكل كامل، وبالمساواة مع الرجل، في السلك القضائي هي غاية بحدّ ذاتها، لأنها تفي بحقهنّ في المشاركة على قدم المساواة مع الرجل في كل جوانب صنع القرار.

ستنشر القوس تقرير خاص عن «العنف ضد المرأة في لبنان» في آخر شهر حزيران المقبل

أبرز انتهاكات حقوق المرأة في العمل

◄ قوانين الضمان الاجتماعي: مثلًا عدم إقرار المساواة لاستفادة زوج المرأة العاملة المنتسبة الى الضمان اذا كان غير عامل وغير مضمون، من دون أي شروط. وعدم استفادة المضمونة من تعويض الامومة الا اذا انتسبت الى الضمان قبل عشرة أشهر من تاريخ الولادة.

◄ التفاوت في المداخيل بين الجنسين مقابل نفس العمل والانتاج

◄ فرصة الأمومة غير الكافية إذ تقتصر على عشرة أسابيع فقط تشمل المدة التي تسبق الولادة والمدة التي تليها.

◄ غياب خطة واضحة لدمج المرأة في سوق العمل، كتحديد ساعات العمل في بعض الوظائف، مما يجبر المرأة على تولي وظائف دون غيرها لتتناسب مع دورها كأم.

◄ حرمان المرأة المُحجبة من حقها في العمل في بعض الوظائف الخاصّة والرسمية كالقضاء مثلًا.

أول قاضية لبنانية محجّبة في استراليا

عيّنت ولاية نيو ساوث ويلز الأسترالية، مطلع أيار الجاري، المحامية الأسترالية اللبنانية الأصل رنا محمود ضاهر، قاضية في محاكم الولاية، لتصبح أول سيدة مسلمة محجبة تعيّن في منصب قضائي في أستراليا.

يذكر أن عدد القاضيات في المحاكم المحلية الاسترالية عام 2020 كان 57 سيدة فقط من مجموع 142 قاض وأن نسبة القاضيات في جميع محاكم الولاية في نفس العام كان 36 في المائة فقط.

.... وفي بريطانيا

عام 2020 عُينت رافيا أرشد، 40 سنة، نائبة قاض في محكمة ميدلاندز بعدما عملت لنحو 17 عاماً في مجال القانون. وقالت أرشد يوم تعيينها: "أعرف أن ما حصل لا يتعلق بي شخصياً. إنها مسألة مهمّة بالنسبة إلى جميع النساء، وليس فقط للمسلمات منهن، لكنها تعني الكثير للنساء المسلمات تحديداً".

«الرسائل الزينبية»

هناك تصوّر شائع بأن المناداة بحقوق المرأة هو نهج غربي المنشأ، تمّ نشره وتسويقه في الدول العربية لزعزعة القيم الاجتماعية فيها، كونه وسيلة من وسائل الاستعمار الفكري. إلّا أنّ بداية المطالبة بحقوق المرأة العربية كانت على يد مفكّرين ومفكرات عرب في أواخر الحكم العثماني كجزء من الفكر النهضوي.

كانت الأديبة اللبنانية زينب فواز (1845-1914) من أوائل النساء اللواتي نادَينَ بالدفاع عن حقوق المرأة، وقد نشرت رسائل عن حقوق المرأة في الصحف المصرية عام 1892 سمّيت في ما بعد بـ «الرسائل الزينبية».

وهناك أيضاً رائد تحرير النساء العربيات، المفكّر قاسم أمين (1863-1908)، الذي ألّف عام 1899 كتابه الشهير «تحرير المرأة»، ونادى فيه بأفكار جذرية مثل «أنّ المرأة مساوية للرجل في كلّ شيء»، مشدّدًا على حريتها «في التعبير والعمل وعدم التحقير»، وداعيًا إلى مشاركتها في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

أما المفكّر بطرس البستاني (1819-1883) الذي نادى بحق المرأة بالتعليم والتحرّر في خطاب ألقاه عام 1849، فقد كان أوّل من كتب عن هذا الموضوع في كتابه «تعليم النساء»، تلاه عام 1869 المفكّر رفاعة الطهطاوي (1801-1873) الذي ألّف كتاب «المرشد الأمين في تعليم البنات والبنين»، وأكّد فيه أنّ تعليم المرأة من شأنه أن يسمح لها بأن تتساوى مع الرجل في العمل والانتاج.

مرافعة

إعداد **صادق علوية**

عام 1979، اعتمدت الجمعية العامة للامم المتحدة اتفاقية القضاء على كل اشكال التمييز ضد المراة. بعد 17 عاماً، في 1996، انضمّ لبنان إلى هذه الاتفاقية بموجب القانون الرقم 572 الصادر في 24/7/1996. غير انه تحفظ عن البند «2» من المادة 9 المتعلق بمنح المراة حقاً «مساوياً» لحق الرجل في ما يتعلق بجنسية أطفالها. وكذلك عن الفقرات «ج» و«د» و«و» و«ز» من البند «1» من المادة 16 (تتعلّق الفقرة «ج» بالحقوق المتساوية في الزواج، والفقرة «د» بحقوق الام في الامور الخاصة باطفالها، والفقرة «و» بالولاية والقوامة والوصاية على الاطفال وتبنّيهم، والفقرة «ز» في شقها المتصل باسم الاسرة). يمكن القول إن المراة اللبنانية تتمتع بالحقوق نفسها الممنوحة للرجل في ما يتعلق بالاعمال والتجارة والصناعة والزراعة والاعمال الحرة والنشاطات المهنية، إلا ان التطبيق لا يزال بعيدا عن النصوص. إذ لا يزال عدد كبير من اصحاب العمل يميّزون بين العاملات والعمال لجهة الراتب. ويمتنع بعض القطاع الخاص عن توظيف محجّبات مثلاً. وفي القطاع العام حيث الرواتب موحّدة وفرص المراة في الدخول الى الوظيفة العامة مساوية للرجل، لا يزال معهد الدروس القضائية يمتنع عن قبول دخول محجّبات إلى سلك القضاء. في خرق لاتفاقية منظمة العمل الدولية الرقم 111 لعام 1958 بشان التمييز في الاستخدام والمهنة، والتي تنص على عدم جواز «استبعاد» توظيف احد بسبب الدين. وفي خرق ايضاً لمبدا المساواة بين المواطنين الذي تنصّ عليه المادة السابعة من الدستور «كلّ اللبنانيين سواء لدى القانون وهم يتمتّعون بالسواء بالحقوق المدنية والسياسية ويتحمّلون الفرائض والواجبات العامة دونما فرق بينهم»

المرأة والرجل في القانون

النصوص تسبق النفوس

تمييز الاحوال الشخصية

تتنوّع القوانين الطائفية للأحوال الشخصية بحسب الطوائف والمذاهب. وتميّز بعض هذه القوانين التي تمنح سلطات مطلقة للمحاكم الشرعية والمذهبية والروحية بين النساء بحسب دياناتهن، وبين المراة والرجل من الديانة نفسها، ما يمكن معالجته بإقرار قانون موحّد للأحوال الشخصية، ولا سيما تعديل المادة التاسعة من الدستور التي تنص على أن الدولة تضمن للأهلين على اختلاف مللهم احترام نظام الأحوال الشخصية والمصالح الدينية... وباستثناء قانون الإرث لغير المحمديين (1959) الذي يعتمد المساواة في الحقوق بين الذكور والإناث في بعض شؤون الميراث من حيث الحصص، فإن قوانين الأحوال الشخصية المعمول بها تفتقد إلى المساواة بين الرجل والمراة. وتكمن أهمية الأحوال الشخصية أن أثرها ينعكس على بقية القوانين، لا بل يتقدم عليها، كحالة تصرّف المراة القانوني لصالح أبنائها. إذ يُمنع عليها ذلك اذا لم تكن لها الولاية الجبرية الممنوحة للوالد.

وأثر قوانين الأحوال الشخصية ليس عارضاً أو هامشياً في هذا المجال، بل له الدور الرئيس في حياة الأسرة. فالأب، بموجب هذه القوانين، هو الولي الجبري للأولاد ولا ولاية للأم. بمعنى أوضح، لا يمكن للوالدة أن تدّعي باسم ابنها أمام القضاء أو أن تتقدم باي معاملة رسمية باسمه، إذ تحضر فوراً عبارة: «يوقّعها الوالد كونه الولي الجبري». على سبيل المثال، تقديم ادعاء بضياع هوية الابن القاصر أو طلب تصحيح شهرة الاولاد اذا كانوا قاصرين لا يُقبل الا من الوالد بصفته الولي الجبري، حتى في حالة الطلاق. فالمذاهب الإسلامية، مثلاً، تعطي الأب حق الولاية الجبرية على أولاده ولو كانوا في حضانة امهاتهم، والأمر نفسه ينسحب على طوائف مسيحية. فالمادة 22 من قانون الاحوال الشخصية للطائفة الإنجيلية في سوريا ولبنان تعتبر أن الزوج هو رأس العائلة الشرعي والطبيعي، وهو يحدّد ويعيّن وسائل وكيفية العيش العائلي بالاتفاق مع زوجته، وله وعليه حق وواجب الولاية الجبرية على اولاده

رابط لقانون تنظيم القضاء السني والجعفري:

حتى بلوغهم سن الرشد.

وفي الاتجاه نفسه، يولي قانون تنظيم القضاء الشرعي السني والجعفري القضاء الشرعي اختصاص النظر في قضايا الولاية والوصاية والقيمومة والنفقة والحضانة وضمّ الاولاد الى أوليائهم. ويُصدر القاضي السني حكمه طبقاً للأحكام المتعلقة بتنظيم شؤون الطائفة الدينية المنصوص عليها في القرارات الصادرة عن المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى في الأحوال الشخصية للمسلمين السنة.

وفي حال عدم وجود أي نص، يعود الى قانون حقوق العائلة العثماني الصادر في 1917/10/25، وإلا يحكم طبقاً لأرجح الاقوال من مذهب الامام أبي حنيفة. كما يصدر القاضي الجعفري حكمه طبقا للمذهب الجعفري، ولما يتلاءم مع هذا المذهب من أحكام قانون العائلة العثماني الصادر عام 1917.

رابط لقانون العائلة العثماني:

علما أنه اذا كانت الولاية الجبرية تقع مبدئياً لصالح الاب عند وجوده وتجعله وحده مسؤولاً عن اعمال ولده القاصر، الا انه في حال عدم وجوده فإن الولاية لا تنتقل للأم، بل للقاضي الذي بإمكانه ان يعيّن الأم، وما ينتقل اليها فقط هو واجب الرعاية والرقابة.

وتعتبر محكمة التمييز في حكم لها صادر عام 2004 أن اتخاذ قرار تسمية الطفل والقيد في سجلات النفوس يعتبر من حق الأب الولي الجبري للتوقيع نيابة عن أولاده القاصرين. وينحصر بالأب، بصفته الولي الجبري، أن يقوم، في ما خص أملاكهم، بأعمال الادارة العادية. وليس للأم هذا الحق الا اذا عيّنها القاضي لهذه المهمة.

وفي حالة الولد غير الشرعي الذي ينتسب لأمه ولا يمكن نسبته الى ابيه، وبما ان الولاية على الولد الشرعي هي للأب، تعتبر هيئة الاستشارات والتشريع أنه لا يعقل ان يكون للولد غير الشرعي ما ليس للولد الشرعي من ولاية للأم، وتكون بالتالي هذه الولاية للقاضي. ولهذا الاخير، إذا اراد، ان يختار الام وليّةً على الولد (استشارة رقم 159/ر/1979).

كما تنص المادة 8 من قانون تنظيم جوازات السفر اللبنانية على انه «... لا يعطى قاصر جواز سفر الا بإجازة من وليه مصدّقة من مختار المحلة او القرية، او بحضور الولي بالذات وتوقيعه أمام الموظف المختص».

رابط لقانون تنظيم جوازات السفر

جنسية الام لمجهول الوالد فقط

لاعتبارات طائفية، فإن لبنان من الدول التي تعتبر المراة فرداً لا يتمتع بحق منح الجنسية، ويحصر رابطة الدم بالأب دون الأم. ويرد في مستهلّ المادة الأولى من القرار الرقم 15 (1925/1/19): «يُعدّ لبنانياً: كل شخص مولود من أب لبناني»، في حين أن الولد المجهول الوالد من أم لبنانية ينال الجنسية بموجب المادة 2 من القرار نفسه. علماً أن لبنان ينبغي أن يتقيّد بالمبادئ الأساسية التي ترد في الاتفاقيات التي يبرمها والتي تتناول موضوع الجنسية، ومنها أن لكل فرد حق التمتّع بجنسية ما، ولا سيما المادة 15 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان واتفاقية لاهاي لعام 1930 التي تنص على أنه «من المصلحة العامة للمجتمع الدولي أن يحمل جميع أعضائه على التسليم بأنه يجب أن تكون لكل شخص جنسية...».

حتى أن القانون الذي اقرّه مجلس النواب في 27 حزيران 2019، والرامي الى إعفاء أولاد المراة اللبنانية المتزوجة من غير لبناني والحائزين على اقامات مؤاتية، من الاستحصال على اجازة عمل، أعاده رئيس الجمهورية الى مجلس النواب رافضا نشره. وانطلاقا من مبدأ عدم التعاطي مع المرأة ضريبياً بطريقة تمييزية عن الرجل، تم تعديل نصوص ضريبة الدخل لتأمين حد مقبول من المساواة.

رابط لقانون الجنسية:

قانون العمل

لا يميّز قانون العمل بين المراة والرجل، سواء في الأجر أو في فرص العمل وشروطه أو في الحق في العمل أو في الأجر، لا بل يحظر التفرقة بسبب الجنس بين العامل والعاملة في ما يخصّ نوع العمل، ومقدار الأجر، والتوظيف، والترقية، والترفيع، والتأهيل المهني والملبس.

عام 2000، قرر المجلس النيابي، بموجب القانون رقم 207 تاريخ 2000/5/26، تعديل المواد 26 و28 و29 و52 من قانون العمل لضمان المساواة في الحقوق والواجبات بين العامل والعاملة. وعام 2014، عُدّلت إجازة الأمومة المدفوعة في قانون العمل لتمدّد إلى عشرة اسابيع قبل الولادة وبعدها، وذلك بإبراز شهادة طبية حول تاريخ الولادة المحتمل. كما يحق للمراة العاملة التي استفادت من إجازة الأمومة مع بقاء الأجر كاملاً أن تتقاضى أجراً عن مدة الاجازة السنوية العادية التي تحصل عليها خلال السنة نفسها، عملاً بأحكام المادة 39 من قانون العمل. ويحظر صرف المراة من الخدمة او توجيه إنذار إليها خلال مدة إجازة الأمومة، ما لم يثبت أنها استخدمت في محل آخر خلال المدة المذكورة.

وتحظر المادة 27 من قانون العمل تشغيل النساء في صناعات واعمال تؤثر سلباً في صحتهن، وفي صحة الجنين إذا كانت المراة حاملاً.

هنات آلاف الدولارات بلا نتيجة

عام 2016، أبرمت مذكرة تفاهم مع الحكومة الايطالية قدّمت بموجبها هبة مالية (563,500 يورو) لدعم الحكومة اللبنانية في تعزيز مشاركة المراة في الحكم المحلي والتنمية. وفي عام 2017، طلب رئيس الحكومة إلى جميع الإدارات والمؤسسات العامة التنسيق والتعاون مع مكتب وزير (لا وزيرة) الدولة لشؤون المراة لتفعيل الدور المناط بـ «ضابط إرتكاز النوع الاجتماعي» المكلف في الإدارة أو المؤسسة العامة التابع لها، في إطار خطة الوزارة لإنشاء قاعدة بيانات حول أوضاع المراة العاملة في الإدارات والمؤسسات العامة. ولكن، منذ ذلك الحين، لم تحصل المراة على أي جديد في هذا الشأن.

وعام 2019، أبرمت الهيئة الوطنية لشؤون المراة اللبنانية (NCLW) وصندوق الأمم المتحدة للسكان (UNFPA) اتفاقية تضمّنت هبة بقيمة 60 الف دولار أميركي لتعزيز مشروع قدرات الآلية الوطنية للمراة من أجل النهوض بالمساواة بين الجنسين.

الضمان الاجتماعي

عام 1987، مُنحت الأجيرة المنتسبة إلى الضمان الاجتماعي حق الاستفادة من تقديمات الضمان عن أولادها غير اللبنانيين، وعُدّل نظام التقديمات في تعاونية موظفي الدولة عام 1999 في الاتجاه نفسه.

ولا يميّز الضمان، في ما يتعلق بتعويض نهاية الخدمة للمضمونين، بين الرجل والمراة. اما نظام التقاعد والصرف من الخدمة الخاص بموظفي الدولة، فلم يقرّ المساواة بين الموظف والموظفة الا في عام 2001، مع تعديل المادة 26 من المرسوم الاشتراعي الرقم 1983/47 بموجب القانون الرقم 343.

وعلى صعيد الضمان الاجتماعي أيضاً، تم بموجب القانون الرقم 483 الصادر عام 2000 إدراج نص أساسي في قانون الضمان ينص على ما يلي: «يُفهم بكلمة المضمون الواردة في هذه المادة المضمون والمضمونة على السواء دون أي تمييز». لكن التمييز واقع في حالات كثيرة، منها:

تعدد الزوجات: تنحصر تقديمات الصندوق في ما يتعلق بالعناية الطبية، بالزوجة الأولى دون سواها، الأمر الذي يستدعي تدخلاً تشريعياً.

زوج المضمونة: اشترط قانون الضمان اللبناني لاستفادة الزوج من تقديمات العناية الطبية أن لا يمارس عملاً مأجوراً وأن لا يكون مستفيداً من أي نظام رسمي، إضافة إلى توفرّ أحد الشرطين التاليين:

- أن يكون قد بلغ الستين عاماً مكتملة على الأقل.

- أن يكون غير قادر على تأمين معيشته بسبب عاهة جسدية أو عقلية بغض النظر عن سنّه.

(ميخائل موراليس هادريخاك ـ كوبا)

حبر على ورق؟

انضمّ لبنان الى اتفاقيات أخرى يتمحور موضوعها حول حماية المرأة أهمها:

إتفاقية منظمة العمل الدولية رقم 45 لسنة 1935 المتعلقة باستخدام النساء في العمل تحت سطح الأرض.

اتفاقية الأمم المتحدة لسنة 1955المتعلقة بحقوق المرأة السياسية.

الإتفاقية المتعلقة بعدم التمييز في مجال التعليم الصادرة عن الأونيسكو، سنة 1964.

- إتفاقية منظمة العمل الدولية بشأن سياسة العمالة، سنة 1964.

تنص اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة على وجوب اتخاذ الدول الاطراف التدابير اللازمة للقضاء على التمييز ضد المرأة في ميدان العمل لكي تكفل لها، على أساس تساوي الرجل والمرأة، الحقوق نفسها ولا سيما:

(أ) الحق في العمل.

(ب) الحق في التمتع بفرص التوظيف نفسها، بما في ذلك تطبيق معايير الاختيار نفسها في شؤون التوظيف.

(ج) الحق في حرية اختيار المهنة والعمل، والحق في الترقي والأمن الوظيفي، وفي جميع مزايا وشروط الخدمة، والحق في تلقي التدريب وإعادة التدريب المهني، بما في ذلك التلمذة الصناعية والتدريب المهني المتقدم والتدريب المتكرر.

(د) الحق في المساواة في الأجر، بما في ذلك الاستحقاقات، والحق في المساواة في المعاملة في ما يتعلق بالعمل المتعادل القيمة، وكذلك المساواة في المعاملة وفي تقييم نوعية العمل.

(هـ) الحق في الضمان الاجتماعي، ولا سيما في حالات التقاعد، والبطالة، والمرض، والعجز، والشيخوخة، وأي شكل آخر من أشكال عدم القدرة على العمل، وكذلك الحق في إجازة مدفوعة الاجر.

(و) الحق في الوقاية الصحية وسلامة ظروف العمل بما في ذلك حماية وظيفة الإنجاب.

وتوخياً لمنع التمييز ضد المرأة بسبب الزواج أو الأمومة، ولضمان حقها الفعلي في العمل، يقتضي على الدول الأطراف اتخاذ التدابير المناسبة:

(أ) حظر الفصل من الخدمة بسبب الحمل أو إجازة الأمومة والتمييز في الفصل من العمل على أساس الحالة الزوجية، مع فرض جزاءات على المخالفين.

(ب) إدخال نظام إجازة الأمومة المدفوعة الأجر مع التمتع بمزايا اجتماعية مماثلة، من دون أن تفقد المرأة الوظيفة التي تشغلها أو أقدميتها أو العلاوات الاجتماعية.

(ج) تشجيع توفير ما يلزم من الخدمات الاجتماعية المساندة لتمكين الوالدين من الجمع بين التزاماتهما الأسرية وبين مسؤوليات العمل والمشاركة في الحياة العامة، ولا سيما عن طريق تشجيع إنشاء وتنمية شبكة من مرافق رعاية الأطفال.

(د) توفير حماية خاصة للمرأة أثناء فترة الحمل في الأعمال التي يثبت أنها مؤذية لها.

معهد الدروس القضائية يمتنع عن قبول محجّبات في سلك القضاء في خرق لاتفاقية منظمة العمل الدولية الرقم 111 لعام 1958 بشأن التمييز في الاستخدام والمهنة

ابرم لبنان اتفاقيات عدة لرفع الغبن عن المراة ومساواتها بالرجل إلا ان بعضها لا يزال قاصراً عن إرساء هذه المساواة لعدم صدور تشريعات تطبيقية

شرط أن تكون هي التي تعيله، بغضّ النظر عن سن الزوج، سيما أن عنوان المادة 14 من قانون الضمان تنص على أن أفراد العائلة هم الأشخاص الذين يعيشون على نفقة المضمون، وذلك لسبب بسيط، هو أن إعالة الزوج من قبل زوجته أمر يفترض أن يكون استثنائياً ومؤقتاً بحالة البطالة. إلا أننا نعتقد انه يجب أن يكون ذلك في المرحلة التي تلي إقرار الضمان الصحي لبقية الشرائح، ومنهم أصحاب العمل والمهن الحرة.

وهذا الأمر يطرح إشكالية. إذ افترض القانون أنه من غير المنطقي أن يكون الزوج غير عامل، أو رب منزل مثلاً. لذلك، هناك رفض للاقتراح المتداول بشمول الضمان زوج المضمونة بصفته زوجاً، الا في المرحلة التي تلي إقرار الضمان الصحي لبقية الشرائح، ومنهم أصحاب العمل والمهن الحرة، منعاً من الاستفادة بغير حق والاحتيال على القانون. وحينذاك، من الممكن أن يشمل زوج المضمونة المطلقات والأرامل: المراة المطلقة أو الأرملة التي لا تعمل لا تتمتع بأية تغطية صحية، سيما إذا كان عمرها دون الستين إذ لا يمكن لأحد أولادها أن يضمنها. علماً أن عدم عملها يعني وجود من يعيلها، ما يقضي بضرورة تعديل القانون لإفادتها عن اسم الأولاد الذين يعيلونها، بغض النظر عن سنها. والمفارقة أنها إذا كانت على عاتق زوجها، يسمح لها القانون بالاستفادة من تقديمات الضمان على اسمه بغضّ النظر عن سنها. لذلك، يقتضي اضافة نص الى المادة 14 من قانون الضمان ينص على أن «الوالدة المطلقة او الأرملة تستفيد بغض النظر عن السن مع الاحتفاظ بباقي الشروط لا سيما لجهة النفقة والسكن».

الشقيقات غير المتزوجات: الشقيقة التي لا تعمل وتعيش مع شقيقها لا تتمتع بتغطية صحية عن طريق شقيقها، ما يقضي بضرورة تعديل القانون على أن يشمل شقيقة المضمون، شرط أن يكون الشقيق هو من يعيلها بغض النظر عن سنها. ولكن يقتضي أن يكون ذلك في المرحلة التي تلي إقرار الضمان الصحي لبقية الشرائح، ومنهم أصحاب العمل والمهن الحرة، منعاً من الاستفادة بغير حق والاحتيال على القانون.

الابنة العزباء: الابنة العزباء التي لا تزاول عملاً مأجوراً ولا تزال على عاتق والديها وتجاوز سنها الخامسة والعشرين لا تتمتع بحماية أنظمة الضمان الاجتماعي، وكذلك الابن الذي تتوافر فيه حالة البطالة ولا يزال يعيش مع والديه، إلا في الحالة التي يكون فيها أي من الأولاد من كلا الجنسين من ذوي الاحتياجات الإضافية من دون تحديد السن، ربما لأن القانون يفترض العمالة الكاملة للشباب، الأمر الذي لا ينسجم مع واقعنا الحالي.

المختبر الجنائي

الهوية «الجندرية» والتحقيقات الجنائية

رغم فكرة ان الجميع متساوون بموجب القانون، يتم التعامل مع الرجال والنساء المشتبه بهم بشكل مختلف في إطار نظام العدالة الجنائية. غالباً ما تؤثر «الهوية الجندرية» للمشتبه بهم على سير التحقيقات الجنائية التي، بدورها، تؤدي الى استنتاجات مستعجلة يمكن ان تصعّب لاحقاً الوصول الى الحقيقة. فالمشتبه بها التي تكسر دورها الجندري او تخرق النمط الاجتماعي المتعارف عليه تكون، في كثير من الاحيان، عرضة للاحكام المسبقة أثناء التحقيقات الاولية، وخلال الاجراءات القضائية اللاحقة، حتى في قاعات المحاكم. بالإضافة الى تاثير الهوية الجندرية بحد ذاته، يلعب المظهر الخارجي للمشتبه بها تاثيرا عميقاً على نتيجة التحقيقات الاولية. فتشكّل القرارات القضائية الصادرة أثناء التحقيقات الاولية وفترة المحاكمة، والمبنية على الاحكام المسبقة والخلاصات والاتهامات والادانات المتسرعة، العائق الاساسي امام الوصول الى الحقيقة، وتحول دون توفير الإجراءات القانونية الواجبة على قدم المساواة بموجب القانون. التزاماً بالقواعد العلمية المهنية وتعزيزاً لمعايير العدل والانصاف، من المفترض ان يتجنّب القائمون على نظام العدالة الجنائية، من محققين ومدعين عامين وقضاة وغيرهم، الاحكام المسبقة، ليكون البحث والتحقيق في جميع الاحتمالات والفرضيات المنطلق العلمي الاساسي لمنع افلات المجرمين من العقاب، بغضّ النظر عن هويتهم الجندرية

يولّد المظهر الخارجي للمشتبه بها انطباعاً أولياً لدى المحققين يمكن ان يؤثر على نتيجة التحقيقات

وجدت العديد من الدراسات الحديثة صلة واضحة بين الأحكام النهائية وجنس الجاني حسب نوع الجريمة

(ليكس فرانكو - البرازيل)

■ جنان الخطيب

تعتبر المحاكمة العادلة من العناصر الأساسية لحماية حقوق الإنسان، والوسيلة الإجرائية للمحافظة على سيادة القانون، فتشكل بالتالي كفالة إقامة العدل وإحقاق الحق. لكن في مؤسسات نظام العدالة الجنائية، التي لا ينبغي أن تلعب فيها الهوية الجندرية دورًا، يُنظر إلى الرجال والنساء المشتبه بهم ويعاملون بشكل مختلف. ففي حين انه من المفترض محاكمة جميع الأفراد على الجرائم المرتكبة على قدم المساواة، إلّا أنه في الجرائم حيث تكون المشتبه بها امرأة، غالباً ما تؤثر «الاحكام المسبقة» خلال التحقيقات الأولية بشكل عميق على القرارات القضائية، فتشكّل العائق الأساسي أمام الوصول إلى الحقيقة.

تأثير الهوية الجندرية على إجراءات اتخاذ القرار القضائي هو عملية متعددة الأوجه تتطلب مرور المحكوم عليهم عبر العديد من العمليات التي يقوم فيها مسؤولو نظام العدالة الجنائية بتقييمهم (المدعون العامين، المحققون، القضاة السابقون، الضباط في السجن وما إلى ذلك). صحيح ان الاختلاف بين الجنسين في ما يتعلق بخطورة «التاريخ الجنائي» يشكل جزءًا من تفسير سبب اختلاف نتائج الأحكام بين الرجل والمرأة ، الا ان هذه الاختلافات القائمة على الجذر في مرحلة العقوبة تتاثر ايضاً في وقت مبكر من الدعاوى القضائية.

دراسات النوع الاجتماعي

لطالما اهتم الباحثون بما إذا كان الرجال والنساء يتلقون معاملة مختلفة من قبل القائمين على نظام العدالة الجنائية، بما في ذلك القضاة والشرطة والمدعون العامون. فقد تعددت دراسات النوع الاجتماعي (Gender Studies) في حقل العلوم الجنائية والتي ناقشت تاثير «الهوية الجندرية» للمشتبه به على إجراءات اتخاذ القرار القضائي.

ووجدت بعض الدراسات الجندرية ان «القوالب النمطية الجندرية» هي سبب الاحكام المسبقة والتناقضات عند تقييم الجناة من مختلف الهويات الجنسية. حيث تُعتبر المرأة ضعيفة جسديًا ويُتوقع منها إظهار الطاعة. وفي حال كسرت المرأة القالب النمطي والتقليد المتعارف عليه في مجتمعها، ستكون عرضة لأحكام إدانة مسبقة وخلاصات مستعجلة قبل ختم التحقيقات، مما قد يساهم في مزيد من التساهل الممنوح للرجل في إطار العدالة الجنائية.

إضافة الى ذلك، وجدت العديد من الدراسات الحديثة صلة واضحة بين الأحكام النهائية وجنس الجاني حسب نوع الجريمة. فإذا كسرت المرأة دورها الجندري، والتي يُتوقع عمومًا منها ارتداء ملابس أنثوية نموذجية وأن تتسم بالتهذيب والرعاية، تعاقب بشدة وصرامة أكثر مقارنة مع الجاني الرجل لنفس الفعل المرتكب. على سبيل المثال، إذا كانت الأم تؤذي طفلًا، فقد تتعرض لعقوبة أقسى مما لو كان الأب يؤذيه. بالتالي، فإن الجندر ليس عاملاً قانونياً، لكنه يبدو العامل الأكثر تأثيرًا خلال مراحل التحقيقات الجنائية وإجراءات المحاكمة.

الى ذلك، يولّد المظهر الخارجي للمشتبه بها انطباعاً أولياً لدى المحققين يمكن أن يؤثر على نتيجة التحقيقات بغض النظر عن أي عوامل أخرى. ففي جرائم الدعارة مثلاً، ولأن المشتبه بها ترتدي ملابس عصرية متحررة، فإن ذلك يزيد بشكل كبير من احتمال تلقيها حكماً مسبقاً بالإدانة حتى قبل بدء التحقيقات. والعكس صحيح أيضاً، يمكن ان يزيد اللباس المحتشم للمشتبه بها بشكل كبير من احتمال تبرئتها منذ البداية. في كلتا الحالتين، تضيع الحقيقة، فتلك الاحكام المسبقة هي، في جوهرها، المحدد الأساسي للنتيجة النهائية للمحكمة.

في المقابل، وجدت دراسات أخرى أنه رغم تكافؤ الجرائم المرتكبة، تستمر معاقبة الرجال الجناة أكثر من الجانيات على معظم أنواع الجرائم. فيتم الحكم على الرجال إلى حد كبير بقسوة أكبر بينما يتم التعامل مع النساء برفق. في هذا الإطار، يُنظر للرجل على أنه «الجاني المثالي» في حين تعتبر المرأة «الضحية المثالية». يمكن أن تعود هذه الصورة النمطية الى واقع انه غالبًا ما يرتبط العنف بالرجال أكثر من النساء، وتخلق الأعراف الثقافية والاجتماعية تصورات معينة عن الذكورية والأنوثة، وترتبط الأفعال المختلفة بالجندر اعتمادًا على هذه التصورات. بحسب هذه الأبحاث، في مراحل التحقيقات الأولية، عادة ما يتم التعرف على النساء على أنهن بريئات أوفي حالة صحية سيئة دفعتهن إلى ارتكاب الجريمة، مما يجعل التعامل معهن من قبل القائمين على التحقيق أكثر تساهلاً، وبالتالي فإن النساء ليسن فقط اقل احتمالا أن ينتهي بهن الأمر في السجن، ولكن عندما يحكم عليهن بالسجن، يحصلن على عقوبة أقل من تلك التي يحصل عليها الجاني الرجل لنفس الجرم المرتكب، إضافة الى ذلك، لا يتعلق الأمر فقط بإصدار أحكام بالسجن وطول مدة هذه الأحكام، إذ أن الاختلافات بين الجنسين يمكن ان تؤثر ايضاً على مبلغ الكفالة المحدد على سبيل المثال. فالنساء بشكل عام يتكبّدن مبلغ كفالة أقل من الرجال.

ووجدت دراسات أخرى ان الأعراف الاجتماعية تجعلنا نعتقد أن النساء لسن خطرات أو أنهن لا يرتكبن جرائم. ومع ذلك، إذا ارتكبت المرأة جريمة، فغالبًا ما يُنظر إلى ذلك على أنه خارج عن ارادتها او سيطرتها وأنها «مجنونة»، أو لأنها هي نفسها «ضحية»، أو لأنها «سيئة»، وبما أن لكل مجتمع ثقافة وتوقعات لأدوار الجنسين، تختلف القوالب النمطية الجندرية التي يتم وضع المرأة خلالها، مما يفتح النقاش حول نطاق توصيف المرأة بـ«السيئة».

■ «المجنونة»

تاريخياً كان هناك اعتقاد راسخ بأن سبب ارتكاب المرأة للجرائم هو بسبب عدم استقرارها العقلي. تشير الأبحاث إلى أن حوالي نصف حالات النساء اللواتي يرتكبن قتل الأطفال لديهن أمراض عقلية.

■ «السيئة»

هناك عنصر إضافي للشر يفرض ارتكاب الجريمة. ويرجع العنصر «السيئ الإضافي» إلى انتهاك العديد من القواعد والأعراف المجتمعية بما في ذلك الدور الجندري للمرأة، مما يجعل من الصعب وصف المرأة بالجنون او بالضحية. على سبيل المثال، المرأة السليمة عقلياً ونفسياً التي تقتل طفلها من شأنه ان يصنفها على أنها «سيئة» بدلاً من «مجنونة».

■ «الضحية»

وبصورة أدق «متلازمة النساء المعنفات»، كونهن يتعرضن للعنف المنزلي، ولهذا السبب تقدم المرأة على قتل الشخص الذي عنّفها لأنها فقدت السيطرة. من خلال استخدام «متلازمة النساء المعنفات»، كسبب أو عذر للقتل، فإن النساء لا يتحملن المسؤولية عن افعالهن، بل هن ضحايا، والفعل الذي فعلنه هو لانهن كن في وضع الضحية.

أحكام مسبقة على الرجال والنساء

في جرائم التحرش، في كثير من الأحيان يُنظر إلى ملابس المرأة بمثابة «دعوة» للتحرش بها، وتبريراً لفعل المتحرش. وغالباً ما يتم إلقاء اللوم على الضحية. وخلال التحقيقات يتم استجواب النساء باستمرار حول ما كن يرتدينه يوم الحادثة. يؤيد الكثير من الناس الفكرة القائلة بأن ضحايا التحرش والعنف الجنسي يتحملون المسؤولية عن اعتداءاتهم.

في جرائم العنف المنزلي، في كثير من الأحيان يُنظر إلى الرجل على أنه الشخص الذي بدأ الهجوم وأنه كان أكثر عدوانية. ولكن إلى جانب النساء، يقع الرجال أيضًا ضحايا للعنف القائم على النوع الاجتماعي، فإلى جانب الحالات الأخرى، فان الرجال المعوقون جسديًا أو فكريًا هم أكثر عرضة بأربع مرات مقارنة بغيرهم لأن يكونوا ضحايا للعنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي من قبل القائمات على مراكز الرعاية.
اتركوا الاحكام المسبقة، كي لا يفلت المجرم من العقاب.

جريمة في السينما

إعداد **شفيق طبارة**

نمطية الصورة السينمائية للمرأة

لا شيء مهماً في حياة جين (دلفين سيريغ)، الأم التي تسكن في شقة صغيرة في بروكسل مع ابنها المراهق. تقضي وقتها في الأعمال المنزلية، التسوق، الطبخ، تنظيف المنزل، الكوي، الغسيل... في فيلم «جين ديلمان، 23 رصيف التجارة، 1080 بروكسل» quai du 23 ،Jeanne Deilman / Commerce، 1080 Bruxelles" (1975)، نعيش مع جين ثلاثة أيام (3 ساعات و45 دقيقة) مفعمة بالملل. الكاميرا ثابتة في مكانها، بينما جين تطبخ، تأكل، تحتسي القهوة، تغتسل... نراها أمام أعيننا من دون أن تنطق بشيء، بالكاد نسمع بعض الكلمات مصحوبة بأصوات المحيط الخارجي. يتيح لنا الوقت الطويل رؤية تفاصيل ايامها وملاحظة التغيرات الطفيفة في حياتها الروتينية. نشاهدها يومياً حتى نخلص الى انها هي المسيطرة على كل شيء. لكن الطريقة المعتمدة لتصوير الشخصية بهذه الطريقة لفترة طويلة، تهدف إلى إظهار العزلة لامرأة تعيش في مجتمع يقيد حياتها ويملي عليها الأدوار، وتبقى سجينة هذا الواقع. لعل اللحظة التي تختصر شخصية جين، وتكشف عن حقيقتها المقنعة وحياتها، هي عندما توجه سؤالا لابنها: «كيف لك أن تعرف؟ أنت لست امرأة». جين ليست سوى وسيلة استخدمتها المخرجة البلجيكية شانتال اكرمان لتظهر حياة المرأة في فيلم استثنائي. لا حبكة، لا دراما، لا موسيقى، لا رومنسية، فقط جين وحياتها وانعدام المشاعر. بنهاية الساعة الأولى المضنية من الفيلم، بعد أن تابعنا عن كثب يومها النموذجي الأول، نصبح متناغمين جداً مع إيقاعات ديلمان، لدرجة أننا في اليوم الثاني نلاحظ أن شيئاً غير عادي يحصل، هناك شيء صغير تغير، ويصبح هذا الاضطراب البسيط مصدراً غير محتمل للتشويق، ما يدفعنا نحو فوضى لا هوادة فيها. ما فعلته اكرمان هو تغيير يمكن ألا يُرى، ولكن لأننا تعودنا على رؤية جين بطريقة معينة، يصبح أي تغيير غير مرحب به. الفيلم هو أكثر الأفلام العظيمة رتابة وملالً، من خلاله

> **يميل الهيكل السردي إلى تقسيم دور المرأة إلى نساء قادرات قويات: امهات، زوجات... ونساء مستهلكات: عاهرات، فاسقات، قاتلات... ويضع الاول فوق الاخير في تسلسل هرمي للقيم**

تقول لنا اكرمان: إن كنتم تريدون صورة نمطية عن المرأة، تفضلوا. لا يزال الفيلم الأكثر تأثيراً والأكثر تحليلاً حول جوانب تتراوح بين التجربة الاجتماعية للمرأة والهويات الجنسانية والصورة النمطية للمرأة في الأفلام.

عرض الفيلم في العام نفسه الذي صدر فيه مقال الكاتبة البريطانية لورا مولفي «المتعة البصرية، والسينما السردية» الذي قدم للمرة الأولى فكرة أن معظم الأفلام تأخذ منظوراً ذكورياً. جادلت لورا في مقالها أن الأفلام السائدة ترضي بشكل خاص المتفرج الذكر من خلال عرض رغباته على الشاشة. ويُنظر إلى النساء على أنهن أشياء تُعرض لمتعة المشاهدين الذكور. قبلها بسنتين نشرت الكاتبة أنّيت كون كتابها «صور المرأة: النسوية والسينما» قالت فيه ان النسوية والسينما يمكن أن توفرا الأساس لأشكال جديدة من التعبير، ما يتيح الفرصة لسينما بديلة نسوية من حيث لغة الفيلم. عام 1975، أيضاً، صدر فيلم المخرجة انييس قاردا «رد النساء: أجسادنا، جنسنا» / Reply: Our Bodies، Our Sex Women، الذي يركز على أجوبة مجموعة من النساء تُطرح عليهن أسئلة يواجهنها يومياً في المجتمع. القضايا التي تناولها الفيلم استوفت الرؤية النمطية للمرأة في لحظة تاريخية معينة، ونظمت مناقشات حول قضايا أكثر دقة قادمة. أصرت النساء اللواتي ظهرن على الشاشة أنه «يجب إعادة اختراع النساء» لإعادة فهمنا للأنوثة بحد ذاتها.

ما حاولت هؤلاء المخرجات والكاتبات فعله هو محاربة الصورة النمطية للمرأة في السينما، والبعيدة كل البعد عن الواقع، حيث تنسى التعقيدات التي يجب أن تنطوي عليها الشخصية الانثوية، ويتم تصنيفها في أدوار معلبة ومحافظة بسبب الموقف الأبوي السينمائي. الصور والقوالب النمطية المخصصة لأدوار النساء تشكل صورة ثنائية إيجابية مقابل صورة سلبية ويميل الهيكل السردي إلى تقسيم دور المرأة إلى نساء قادرات قويات: أمهات، زوجات... ونساء مستهلكات: عاهرات، فاسقات، قاتلات... ويضع الأول فوق الأخير في تسلسل هرمي للقيم.

«اليوم الذي أصبحت فيه امرأة»

The day I Became a Woman

«اليوم الذي أصبحت فيه امرأة» فيلم يتمرد على الحرمان الاجتماعي والثقافي. وعن حرية المرأة المقيدة بالعادات والتقاليد والدين. فيلم يتألف من ثلاث قصص كل منها عن مرحلة عمرية معينة من حياة المرأة. «حواء» الطفلة التي تبلغ عامها التاسع، تكتشف أنها لم تعد قادرة على اللعب مع الأولاد الذكور بعدما كانت تمضي أيامها معهم لأنها صارت «امرأة». قصة تروى من وجهة نظر الطفلة التي لا تشعر ولا تعرف ما معنى كلمة «امرأة» التي تطلق عليها. نواكب هذا اليوم الذي غيّر حياتها ودمّرها نفسيا وأثّر على رفاقها الصبيان.

«أهو» فتاة تقرر خوض سباق الدرجات الهوائية رغم رفض زوجها للأمر. يساند قرار زوجها عدد من رجال القرية، فيلحقون بالزوجة ليعيدوها الى البلدة. برمز السباق الى مواجهة القيود الذكورية، وشوفينية الرجال تجاه النساء، ويكشف نظرة الرجل الى المرأة المقولبة تحت شرف العائلة.

«حوراء» عجوز تطلب مساعدة صبي صغير ومجموعة من أصدقائه لتذهب الى مراكز التسوق من أجل شراء كمية كبيرة من الأجهزة المنزلية بهدف إنشاء منزل «خيالي» على الشاطئ. إلا أنها تدرك أن الحرية التي كانت تسعى إليها لا تتمثل بشراء البضائع أو كل شيء كانت تريده في حياتها الماضية. بل هي أكبر بكثير من الأشياء المادية. هذه القصص، جمعتها المخرجة الايرانية مرضية مشكيني، وسلطت الضوء بمهارة على العادات الاجتماعية والدينية للقضايا والقصص التي تطال المرأة. استخدمت الرمزية وحتى الصور السوريالية لإعطاء عمق لكل قصة. تقدم وجهة نظرها في ما حدث بالفيلم وتترك مساحة للتفكير، الحكم والتمرد على المجريات. استطاعت اظهار واقع المرأة في إيران وحتى داخل المجتمعات المحافظة والمقيدة العادات والتقاليد.

ذكوريته وحدها قضت عليه

في سبعينيات القرن الماضي، كان أمل الذكوريين الإطباق على الحركة النسوية والانتهاء منها. التقط المخرج الايطالي ماركو فيريري هذه الذبذبات المتصارعة، فأنتج فيلماً في خضم سنوات صعود الكفاح النسائي، متنبئاً بسطوة للحركة النسوية. «المرأة الأخيرة» La Derniere Femme، (1976) قصة حب فاشلة بين شخصين متناقضين للغاية، ستثبت كيف أن النسوية تعيش أيام صعودها. جيرارد المهندس الذي تركته زوجته، هو وابنه، لأسباب نسوية بحتة، على علاقة مع مربية ابنه في الحضانة. تلزم الاجازة الاجبارية في العمل المهندس الشاب على المكوث في المنزل مع حبه الجديد وطفله الذي لم يتعلم المشي بعد. العلاقة الجديدة تهدد الحق في الحضانة بعدما تعود الزوجة لانتزاع الطفل من والده.

أحداث متتالية تعاكس الذكر الوحيد في الفيلم الذي قضى أكثر من نصفه عارياً، ممسكاً بعضوه الذكري وكأنه سلاحه الفتاك، يستعرضه طوال الوقت باعتزاز، ومنه يستمد ذكوريته وقوته. يتمادى جيرار أكثر فأكثر، يلاعب عضو ابنه الرضيع في وجه امرأته متفاخراً بذكورية الصغير الذي لا يفقه شيئاً. يضحكنا تارة بانقياده الأعمى وراء قضيبه، ويغضبنا بسبب عبوديته أمام ما يظنها عظمة الذكورية. أمام الطفل الصغير رجل وامرأة عاريان معظم الوقت. الذكر الواثق من نفسه، العازم على إحكام السيطرة على امرأته الجديدة بعدما أفلتت النسوية من بين ذراعيه، ليس أمامه إلا ممارسة الجنس وإثبات قوته أمامها وأمام نفسه. من جهة ثانية هناك فاليري، فتاة فائقة الجمال، أحبت هذا الذكر المسموس بداء كره النسوية. أمام الضجيج الكبير الذي يفتعله جيرارد وانتصاب قضيبه طوال الفيلم، تبد هي باردة هادئة لا تكاد تجاريه، لا بل تشعر في كثير من الأحيان بثقة متضعضعة بالنفس بأنها ليست أكثر من مفعول بها. لولا بعض نوبات الغضب لما رأينا في فاليري أكثر من امرأة عارية جميلة.

لكن هذا لن يستمر طويلاً. بينما لا تنتهي محاولات جيرارد لإثبات تفوقه من خلال قضيبه عوضاً عن الجميلة التي تقف أمامه وتعتني بابنه، يتحول اهتمام فاليري تدريجيا بعيداً: الطفل، فصديقها السابق. لكنّ الطامة تكون بانجرارها إلى ما يمقته جيرارد الذكوري: إلى المجموعات النسوية التي تشارك فيها زوجته السابقة. في عالم فيريري، يغرق الرجل في غرائزه التي تكاد تطيح به، بينما تتفوق المرأة بتفوق فطرتها على غريزتها، بإيجاد معنى مختلف للحياة لا يمكن للرجل استيعابه. في «المرأة الاخيرة» لا نخرج من جدران المنزل إلا نادراً. الصورة قاتمة، العري ثقيل، الأجواء غير مريحة. الطفل الصغير الذي يشرع بتقليد والده يخلف شعوراً بالانزعاج العميق. الإيقاع البطيء أحياناً والمتسارع في أحيان أخرى يلقي بثقل ماساوي واستفزازي. بينما نتوقع حباً بين المرأة الجميلة والرجل الممتلئ رغبة، وبينهما وبين الرضيع الصغير، نجد أننا عالقون في ثوان أخيرة خانقة تمهد لكارثة. تتسمّر المشاعر والعواطف، حتى اللحظة الأخيرة لا نستطيع التقاط انفاسنا. في المشهد الاخير الذي اعتبر أجمل نهايات فيريري بترويعه ايانا، اعتراف بهزيمة الجسد، بتلطخ جيرارد بدماء عبوديته لنفسه. هزم جيرارد نفسه بنفسه، قد يظن البعض أن النسوية سببت له ذلك، لكن الحقيقة أن ذكوريته وحدها قضت عليه.

السينما النسوية وفيلم المرأة

يجب أن يتحدى الفيلم النسوي الهياكل الفكرية والنمطية السينمائية المحددة مسبقاً، وأن يتضمن نوعاً من التحليل المتقاطع حول العرق، الطبقية، الجنس، الدين وما إلى ذلك. كما ينبغي أن يتضمن نقداً لهياكل السلطة التي تقيم هذه الأفكار، وأن يتحدى التقييم ووضع الناس في صناديق لا تناسبهم. لا يحتاج الفيلم النسوي لامرأة مخرجة، لكن يجب أن يشمل كل المذكور أعلاه. تعرض الأفلام النسوية الفلسفة النسوية وتظهر هذه الحركة من خلال وجهة نظر أنثوية، وغالباً ما تنتقد الاضطهاد السياسي والثقافي للمرأة في المجتمع. وهي تنطلق من نظرية أدبية وسينمائية وتصف ايضاً الأساليب غير التقليدية لقراءة الأفلام وفهمها وتقييمها من وجهة نظر كيفية تصويرها للمرأة.

يتم تعريف صناعة الأفلام النسوية أيديولوجياً، وغالباً ما تشير هذه الأفلام إلى ضرورة إعادة النظر في تاريخ الفيلم والصور النمطية والصيغ القائمة، وتخريب المسلمات وإعادة تعريفها والتخلص من الصور المختزلة (الأم الصالحة، العاهرة...) وإلغاء الأدوار المحددة من خلال تقديم نساء قويات ومستقلات يتجاوزن التعريفات الموروثة، وأيضا تقديم النساء في أدوار محفوظة تاريخياً للرجال.

ينتقد العديد من النسويات نظرية الفيلم النسوي لإفراطها في التجريد والشمول ولأنها قائمة على مصطلحات منمقة وغير تجريبية. لذلك سيكون من الصعب للغاية تحديد ما هي الأفلام النسوية في تاريخ السينما. في ما يلي سنذكر الأفلام التي تصور المشاكل التي تواجهها النساء في أوقات مختلفة ودول مختلفة من العالم. فلننظر قليلاً إلى الوراء لنرى كم عدد الأفلام التي ضاعت في التاريخ الواسع للسينما، ونشيد بأعمال شانتال اكرمان وأنييس قاردا وجين كامبيون وكيلي ريتشادت وبيدرو المودوفار وغيرهم ممن صنعوا سينما خالية من التحيز أو الصور النمطية تتحدث عن المرأة بطرقة صادقة ومنفتحة وثورية.

«امرأة تحت التأثير»

A woman Under The Influence

مابل، الشخصية المحورية في الفيلم، التي تؤدي دورها جينا رولاند بحضور طاغ فذ، جميلة، رقيقة، مظلمة، حزينة، تقارب حافة الجنون أحيانا، لكنها ليست مجنونة على الإطلاق. هي امرأة ذات روح حرة جريئة منطلقة، ترفض القوالب الاجتماعية المفروضة على صورتها. أم وزوجة، لكنها ترفض تصور المجتمع لهذه الأدوار. تحب أن تصرخ حين يحلو لها ذلك، تحب أن تبكي، حين يحلو لها ذلك، تهيم على وجهها وتسهر مساء حين ترغب. امرأة تضرب عرض الحائط بتصور المجتمع لها كام وامرأة، وترفض خاصة نظرة النساء الأخريات لانطلاقها وحياتها. ولا تتورع أبدا عن مقارعة زوجها الكلمة بالكلمة والفعل بالفعل، ولا تهيب الجلوس مع اصدقائه الرجال في جلساتهم الرجالية. المجتمع بنظرته للمرأة وما يجب عليها أن تكون يصدر حكمه عليها، ويراها فاقدة للأهلية وفي حاجة لمصحة عقلية لتخرج منها على شاكلة النساء الأخريات القانعات بتصور المجتمع لهن. لكن مابل لن تفقد روحها وتمردها وجنونها المميز قط. تبقى على جموحها وروحها المحلقة رغم محاولات كسرها ووضعها في قفص.

فلسطين

على مدار عقود من الظلم الذي الحقه الاحتلال بالشعب العربي الفلسطيني، كانت سياسة الاعتقال والحبس من اكثر السياسات التي حاول المحتل من خلالها القضاء على كل نفس يطالب بالحرّية، حتّى غدت فلسطين باكملها في الاسر. فغزّة منعزلة فردياً عن بقية مدن فلسطين تحت حصار هو اشبه بزنزانة تضم آلاف الفلسطينيين المقهورين والمحرومين من ابسط حقوقهم. فيما يعيش اهالي الضفة في سجن كبير تقيّد فيه حركتهم وينتهك فيه السجان حياتهم بكل معانيها. اما فلسطينيو الداخل فهم مسجونون باجسادهم؛ ممنوعون من التعبير عن انتمائهم، ومميّز ضدهم بناء على هويتهم العربية الفلسطينية. ورغم مرارة هذا الواقع، إلّا ان في السجن الكبير سجوناً اصغر تضيف بها الحياة اكثر كلما قرّر المحتل ان يزرع في الناس الخوف والرضوخ

فلسطينيات في قبضة الاحتلال
محبستوش الروح

■ نداء يوسف

أقام المحتل مباني ومنشآت لسجون يمارس فيها أقذر الأفعال في محاولة لسلب إنسانية الأسير وإفراغه من الأمل والعاطفة. من بين هذه السجون «الدامون»، وهو السجن الخاص بالنساء الفلسطينيات. في ذهن كل فلسطينية صورة عن هذا المكان؛ عن بشاعة جدرانه، عن كراسيه المستخدمة في التعذيب، عن خبث ولؤم سجّانه، وبرودة غرف التحقيق.

مارس الاحتلال سياسة الاعتقال بحق النساء الفلسطينيات منذ عام 1967، فكانت فاطمة برناوي من القدس أول أسيرة يتم اعتقالها والحكم عليها بالسجن المؤبد. ومنذذاك، تعدّت سلطات المحتل على النساء، أمهات وبنات وقاصرات، واعتقلت أكثر من 16000 فلسطينية على مدى سنوات الاحتلال، من بينهن 3000 فلسطينية اعتُقلن في الانتفاضة الأولى، و900 خلال الانتفاضة الثانية، وعادت سياسة الاعتقال بحق النساء لتتصاعد بشكل ملحوظ منذ عام 2015، إذ اعتُقلت نحو ألف امرأة خلال الأعوام اللاحقة.

واقع الاسيرات اليوم

حتى اليوم، هناك حوالي 32 فلسطينية في سجن الدامون، تعد الأسيرة ميسون موسى أقدمهن. إذ تم اعتقالها عام 2015 وحكم عليها بالسجن 15 عاما. أمّا الأسيرات الأخريات فهن من مختلف الأعمار، ومن بينهن قاصر هي نفوذ حمّاد، و10 أمهات، يعانين جميعاً سوء المعاملة على يد إدارة السجون التي تحرمهن من زيارات مفتوحة يلتقين خلالها بأطفالهن، وتستخدم أمومتهن

> لدى وصول المعتقلات إلى مراكز التحقيق، تنزل بهن أقذر وسائل التعذيب الجسدي والنفسي إضافة إلى استفزاز عاطفتهن وابتزازهن

ضدهن كوسيلة ضغط وتعذيب نفسي. ولعلّ أحدث القصص وجعاً قصّة الأسيرة خالدة جرّار التي توفيت ابنتها قبل خروجها من السجن بأشهر قليلة، وحرمها الاحتلال من إلقاء نظرة الوداع الأخيرة عليها أو المشاركة في جنازتها.

أمّا أكثرال قصص وجعاً، فهي قصّة الأسيرة إسراء جعابيص التي بدأت في الآونة الأخيرة حملات على شبكات التواصل الاجتماعي حملة للتعريف بها وبقضيتها والمطالبة بالإفراج عنها، أو على الأقل علاجها مما أصابها من تشوهات وأوجاع لا تزال ترافقها حتى اليوم، بعد أن فجّر رصاص الاحتلال عبوة الغاز التي كانت داخل سيارتها ما أدى إلى إشعال النيران بها وتشويه وجهها وأيديها. وحعابيص أم مقدسية كانت تنقل أغراضاً إلى بيتها الجديد عندما تعطلت سيارتها وانفجر بالون الهواء الخاص بمركبتها قرب حاجز إسرائيلي. بعد الحادث، وُجهت إليها تهمة الشروع بالقتل والتحريض كونها تمجّد الشهداء على مواقع التواصل الاجتماعي. حكاية اسراء هي اختصار لحكاية ظلم الاحتلال وقهره للنساء واعتقالهن انتقاماً، وحرمانهن من العلاج المناسب.

اساليب مختلفة والظلم واحد

تنتهك دولة الاحتلال، بشكل واضح، كل القوانين الدولية الخاصة بحقوق المعتقلين المحميين من المدنيين، وبمن تتوافر شروط تسميتهم بأسرى الحرب من مقاتلين ومدنيين على حد سواء. إضافة إلى قهر السجن والسجان، تتعرض الأسيرات الفلسطينيات لأشكال مختلفة من التّعذيب، فيتم اعتقالهن فجراً ونقلهن في ما يصطلح على تسميتها بـ «البوسطة»، في رحلة عذاب طويلة. ولدى وصولهن إلى مراكز التوقيف والتحقيق، تنزل بهن أقذر وسائل التعذيب الجسدي والنفسي. فإضافة إلى محاولة استفزاز عاطفتهن وابتزازهن بقصص عن حياتهن الشخصية، ومحاولة كسر العزيمة داخلهن، إلّا أنّ للتعذيب الجسدي أيضاً نصيباً في هذا القهر. فقد عانت الأسيرات مما يسمّى «شبح الموزة»، وهي وسيلة تعذيب يتم خلالها ربط جسد الأسيرة بكرسي بطريقة تشبه التفاف الموزة على بطن الكرسي، وهي من أكثر الوسائل تعذيباً إذ تبقى الأسيرة في هذه الوضعية لساعات ما يؤدي إلى أوجاع مزمنة في الظهر ترافقها طيلة حياتها. وقد تمتد فترات التحقيق والتعذيب الملاحق لها وقتاً طويلاً من دون محاكمة، خصوصاً في حالات الاعتقال الإداري الذي تستخدمه دولة الاحتلال في مواجهة أبناء وبنات الضفة، فور شعور أي من عناصر المخابرات باحتمال وجود خطر أمني، وعليه يتم اعتقال الأسيرات بشكل عشوائي من دون تقديمهن للمحاكمة بحجة سرية الملف وعدم إمكانية تقديم أي أدلة، وقد تمكث الأسيرات المعتقلات إدارياً في السجون أشهراً وأعواماً من دون محاكمة أو دراية بطبيعة الملف أو «التهمة» المنسوبة إليهن.

خلال فترة السجن، تواجه الأسيرات تضييقاً وعقوبات مختلفة، أشدها قسوة عقوبة العزل الانفرادي، وتتمثل في عزل الأسيرة في غرفة صغيرة مطلية باللون الأسود أو الرمادي بالكاد تتسع لسرير أو «برش» للنوم. وبإضاءة قوية ليلاً نهاراً، ولا تضم هذه الغرف حمامات إلا في ما ندر، وفيها كاميرات مراقبة مع جولات تفتيش تتعمّد حرمان الأسيرة من النوم أو الراحة. أمّا عن الحقوق التي يفترض أن يتمتّعن بها كنساء، كحقّهن بالخصوصية وتوفير بيئة صحية تتلاءم وخصوصية احتياجات المرأة من ملابس وفوط صحية، فتنتهك إدارة السجون كل ذلك، إضافة إلى تعرض الأسيرات في غرف التحقيق لشتائم وإيحاءات قذرة من المحققين.

النيل من العزيمة

من الواضح أن عملية الأسر لا تهدف إلى النيل من الأسيرة وحدها فحسب، بل لتنال من عزيمة كل فلسطينية تفكر بتحدّي الظروف من حولها وأن تصرخ لا في وجه المحتل. ويلاحظ في الآونة الأخيرة أن الاعتقال الإداري يحدث في أوساط جامعية ويمس فتيات في بداية مسيرتهن التعليمية أو على وشك التخرج وبدء حياتهن العملية، وفي ذلك انتهاك واضح لحق الفلسطينيات في التعليم، ولكنه أيضاً محاولة للتخويف وزرع الخضوع في الروح الجماعية والنفس المقاوم الموجود في الجامعات الحاضنة للنضال الفلسطيني. وكما عادة الفلسطينيات أن يتحلّين بالمقاومة، نجد أنّ في تجربة الأسر إحياء لمفاهيم إنسانية ووطنية ترويها الأسيرات في نصوص جمالية تعبر عن معنى مفاده «إن حبستوا جسم البطل محبستوش الروح .. روحه بحجم الجبل تحمل عنا الجروح» .

حماية المعتقلين بحسب القانون الدولي

المعتقلون

توضح اتفاقية جنيف الرابعة بشأن حماية الأشخاص المدنيين في وقت الحرب، المؤرخة في 12 آب/ أغسطس 1949، في مادّتها الرابعة أن الأشخاص موضع الحماية في هذه الاتفاقية هم «أولئك الذين يجدون أنفسهم في لحظة ما وبأي شكل كان، في حالة قيام نزاع أو احتلال، تحت سلطة طرف في النزاع ليسوا من رعاياه أو دولة احتلال ليسوا من رعاياها». وتنص في المادة 27 على أنّ لهؤلاء - الذين وصفتهم بـ «الأشخاص المحميين» - «في جميع الأحوال حق الاحترام لأشخاصهم وشرفهم وحقوقهم العائلية وعقائدهم الدينية وعاداتهم وتقاليدهم. ويجب معاملتهم في جميع الأوقات معاملة إنسانية، وحمايتهم بشكل خاص ضد جميع أعمال العنف أو التهديد، وضد السباب وفضول الجماهير».

المعتقلون جنائياً

في الحالات التي يقوم بها الأشخاص المحميون بممارسة أفعال جرمية تخالف قانون الاحتلال، يمكن للاحتلال إعمال قانونه بحسب المادة 64 من اتفاقية جنيف الرابعة. وعليه يجوز لدولة الاحتلال أن تقوم بتقديم المتهمين بالقيام بهذه الجرائم من الأشخاص المحميين للمحاكمات العسكرية غير السياسية التي تم تشكيلها قانونياً، شريطة أن تعقد هذه المحاكمات وما يتبعها من استئنافات في البلد المحتل، بحسب ما جاء في المادة 66 من الاتفاقية نفسها. ويجب أن تكون العقوبة في هذه الحالات متناسبة مع المخالفة أو الجريمة التي ارتكبت، كما أضافت المادة 68 من الاتفاقية أن يكون الاعتقال أو الحبس هو الاجراء الوحيد السالب للحرية بحق الأشخاص المحميين.

ومن الأحكام العامة في معاملة المعتقلين التي توجبها اتفاقية جنيف الرابعة:

- يحتفظ المدنيون بكامل أهليتهم المدنية ويمارسون الحقوق المترتبة على ذلك بقدر ما تسمح به حالة الاعتقال.
- إعالتهم مجاناً وتوفير الرعاية الطبية التي تتطلبها حالتهم الصحية.
- يُجمع أفراد العائلة الواحدة، خصوصاً الوالدين والأطفال، معاً في معتقل واحد طوال مدة الاعتقال.

وتنص الاتفاقية على الحقوق الأساسية المتعلقة بالغذاء والملبس والحماية من التعذيب والاعتداء وأخطار الحرب إضافة إلى بعض الحقوق الاقتصادية والاجتماعية.

أمّا عن الحماية الخاصة بالمعتقلين جنائياً، فهي تشمل كل ما ذكر كحد أدنى، إضافة إلى اشتراط فصلهم وتمييزهم عن أسرى الحرب والمعتقلين أمنياً، فضلاً عما سبق ذكره بأن العقوبة يجب أن تتناسب والجرم المعقود.

المعتقلون سياسياً/أمنياً

تبيح المادة 78 من اتفاقية جنيف الرابعة، وبشكل واضح، اعتقال الاحتلال أشخاصاً محميين لأسباب أمنية، وتحيل القواعد والاجراءات القانونية المتبعة خلال الاعتقال إلى قوانين وقواعد دولة الاحتلال. واشترطت في ذلك أن تكفل هذه القواعد والاجراءات حق المعتقلين في الاستئناف، والسرعة في البت، وإعادة النظر في القرارات بشكل دوري، وإذا أمكن أن يعاد النظر فيها كل ستة شهور عن طريق محكمة/جهاز مختص تشكّلة دولة الاحتلال.

شهادات الاسرى من معتقلات العدو الإسرائيلي

هدير البوسطة

بهاء الدين عودة *

بمجرد ذكر هذا العنوان أمام أي عربي بالغ، تتبادر إلى ذهنه الأغنية الرقيقة العذبة للسيدة فيروز، وربما يبدأ بترديد كلماتها البسيطة المنسابة، وتقليد إيقاع موسيقاها. فهي من الأغاني التي تتسم بشعبية عالية عمت بلاد العرب. لكن الأمر يختلف في حالة الأسير الفلسطيني. فهدير البوسطة لديه له دلالة مختلفة، تمتزج فيها كلمات وموسيقى فيروز مع سَير المعاناة وايقاعات العذابات في السجون، حيث تصبح الألحان نشازاً وثقيلة على الآذان من أصوات السجّان القذرة، ونباح الكلاب المتوحشة على الأسرى، وأصوات احتكاك السلاسل التي تكبّل يدي الأسير وقدميه، داخل هيكل من حديد، تتعالى فيه أصوات الأنين بسبب الأوجاع خلال ساعات طويلة تستغرقها الرحلة داخل هذه الكتلة الحديدية لا يذوق فيها الأسير طعمًا للراحة. فما بالكم اذا كان مريضًا. عندها يمكن تخيّل مقدار العذاب في هذه البوسطة، لتغدو هذه الرحلة جرثومة أخرى تنال من مرضه ونفسيته، لكن الإرادة هي التي تحول بين هذا العذاب وبين الاستسلام له.

تعالوا نقترب أكثر إلى حال الأسير داخل هذه البوسطة حيث يكون مقيداً لا يمكنه استذكار الموسيقى إلا للاحتيال على الوقت. مسيرة البوسطة تمتد لساعات وأيام. يغني الأسير في سره، ويتذكر فيروز وأغنيتها ويقارنها بواقعه المأساوي، ويفتح الأسير بوابة ذكرياته لينتقي منها ما ينسيه واقعه، وربما يحاول طرق ابواب مستقبله كله ليكون طاقة الفرج بعد هذا الكَرب، فيفكر في هذه المرحلة بماضيه وحاضره ومستقبله القريب والبعيد، وبمصيره ومصير قضيته، وحاله وأسرته، شعبه وهمومه الفردية، لعله يخرج في نهاية النفق المظلم إلى شعاع أمل ينير به واقعه.

بالعودة إلى الحديث عن البوسطة، تعالوا اصطحبكم للتعرف عليها، البوسطة؛ هي وسيلة نقل الأسرى إلى السجون والمحاكم ومراكز التحقيق، مسؤولة عنها وحدة تسمى «نحشون»، شكلها الخارجي يشبه بقية الحافلات التي تقل البشر صباحًا إلى عملهم، أو السياح إلى الأماكن السياحية، ولكنها من الداخل هيكل حديدي ضيق الساحة، تضم مقاعد حديد تتسع لـ 25 أسيراً وزنازين انفرادية تتسع لشخصين لا تتجاوز مساحتها مترًا مربعًا واحد، والقفص الحديدي والزنازين تحتوي على شبابيك محجوبة بالشبك (المعدن المطرّى) لحجب الرؤية، ويقوم أفراد «نحشون» بإقفالها بالأقفال لمنع أي محاولة هروب، وخلف هذه الأبواب عناصر من «نحشون» مدججون بالأسلحة لـ«حماية» أنفسهم من أناس عُزّل لا حول لهم ولا قوة.

قبل النقل بيوم، يبلغ الأسير بالأمر، فيجهز حقيبته بأغراض سيحتاجها في الرحلة، مثل الوسادة وبعض الملابس، لأن النقل قد يستغرق اسبوعًا كاملًا، بحسب المسافة إلى السجن. في وقت مبكر من صبيحة اليوم التالي، يحضر السجانون لنقل الأسير الى غرفة الانتظار داخل السجن نفسه، حيث يجري تفتيشه وتجريده من ملابسه ومن الأجهزة الإلكترونية، قبل أن يوضع في غرفة صغيرة المساحة مع عدد كبير من الأسرى، لا تحتوي على مقاعد وتضمّ حماماً مكشوفاً. هناك، يمكث الأسرى ما لا يقل عن ثلاث ساعات، قبل أن يحضر عناصر وحدة «نحشون» الذين يتولون بدورهم إعادة تفتيش الأسرى وتقييدهم بالسلاسل ثم إدخالهم الى زنازين البوسطة التي تكون في الصيف كتلةً من اللهب، وفي الشتاء، تنهش ببرودتها جلود الأسرى. يُترك الأسرى داخل كتلة الحديد هذه لمدة لا تقل عن ساعتين. البوسطة ابداعٌ بالوحشية وابتكار خلاق لوسائل التعذيب بطريقة هادئة بعيدةً عن الضرب واللكمات، إذ تنال من الجسد ومن النفسية، من دون ضرب او ايذاء مباشر. بعد انتظار، تتحرك البوسطة إلى وجهتها الأولى، وهي في الغالب سجن آخر، يستغرق الوصول إليها تقريبًا ساعة لنقل أسرى آخرين يخضعون للاجراءات نفسها. وبعد الانتهاء من «التحميل»، وانتظار ساعات، يدور محرك البوسطة معلنًا بداية المرحلة الثالثة مع سجن جديد والإجراءات نفسها... قبل المرحلة الرابعة، وهي الأخيرة في يوم البوسطة الأول الطويل الذي ينتهي في ساعة متأخرة من الليل. في هذه النقطة الأخيرة من الرحلة، يسوق أفراد «نحشون» الأسرى إلى قسم في نقطة تجمع البوسطات، داخل سجن الرملة، يطلق عليه اسم المعبار، وهو عبارة عن غرفة لا تصلح للحياة البشرية، ويقدّم للأسرى فيها أسوأ انواع الشراب والطعام، ويمكثون فيها إلى اليوم التالي في رحلة العذاب التي تُستأنف بدءاً من الثالثة والنصف فجرًا. اليوم الثاني يشبه الأول وبقية الأيام التي تستغرقها رحلة البوسطة.

وأريد أن احيطكم علمًا بأن بالإمكان نقل الأسير مكان أسير آخر مباشرة من دون الحاجة إلى البوسطة بكل سهولة ويسر، ويستغرق النقل المباشر من 45 دقيقة إلى ساعتين. ولكن كما شرحت سابقًا هي وسيلة للتعذيب فقط. بعد كل هذا، عندما تتردد على مسامع الأسير اغنية «هدير البوسطة» تقلّب عليه أوجاعه وذكريات هدير آخر هوَ هدير العذاب.

* أسير فلسطيني معتقل في سجن ريمون،
تاريخ الاعتقال 18/09/2016،
محكوم 12 سنة ونصف

ماهي «سيداو»

سيداو (CEDAW) اتفاقية دولية للقضاء على جميع اشكال التمييز ضدّ المراة

The Convention on the Elimination of All Forms of Discrimination against Women

01 عدم التمييز
ضرورة تعديل التشريعات الوطنية التي تتعارض مع مفهوم المساواة

02 حقوق المراة السياسية
حقّها في التصويت وتقلّد المناصب والمساهمة في سنّ السياسات العامّة. وحقها بمنح الجنسية لاطفالها وزوجها

03 حقوق المراة الاقتصادية والاجتماعية
حقها في التعليم والامان الوظيفي والرعاية الصحية والاستقلال المادي

04 حق المراة بالمساواة
حقها في التملّك والتصرّف بممتلكاتها واختيار مكان السكن والزواج واختيار الزوج والتدخل في شؤون اطفالها والوصاية عليهم

05 تشكيل لجنة القضاء على التمييز ضد المراة
تقديم التقارير المبينة لآلية العمل في الدولة والتي تتوافق مع بنود الاتفاقية

06 إدارة الاتفاقية
تتعهد جميع الدول المشاركة بضمان الحرص على جميع بنود اتفاقية سيداو

CEDAW

اعتمدت الجمعية العامة للامم المتحدة هذه الاتفاقية عام 1979 على انها مشروع قانون دولي لحقوق المراة

صدّقت الجمهورية اللبنانية عليها في 16 نيسان 1997 لكنها تحفظت على:

- المادة 9 (2) من اتفاقية سيداو في ما يتعلق بالجنسية
- عدة فقرات فرعية من المادة 16 (1) تتعلق بقوانين الاحوال الشخصية
- المادة 29 (1) بشأن تسوية المنازعات المتعلقة بتفسير الاتفاقية لدى محكمة العدل الدولية

منذ عام 2021 ازدادت اللامساواة بين الرجال والنساء في لبنان

%22 معدل مشاركة النساء البالغات في القوى العاملة

%65 من حوادث العنف المنزلي المُبلّغ عنها يرتكبها افراد الاسرة

%71 منها تقع ضمن الاسرة المعيشية للشخص الناجي او الجاني

%18 من حالات العنف المُبلّغ عنها ضد المراة على حوادث عنف جنسي

المصدر: هيئة الامم المتحدة للمراة

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، شفيق طبارة**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous | al_qaous | alqaous22 | alqaous | 01/34 99 54
info@alqaous.com | www.alqaous.com